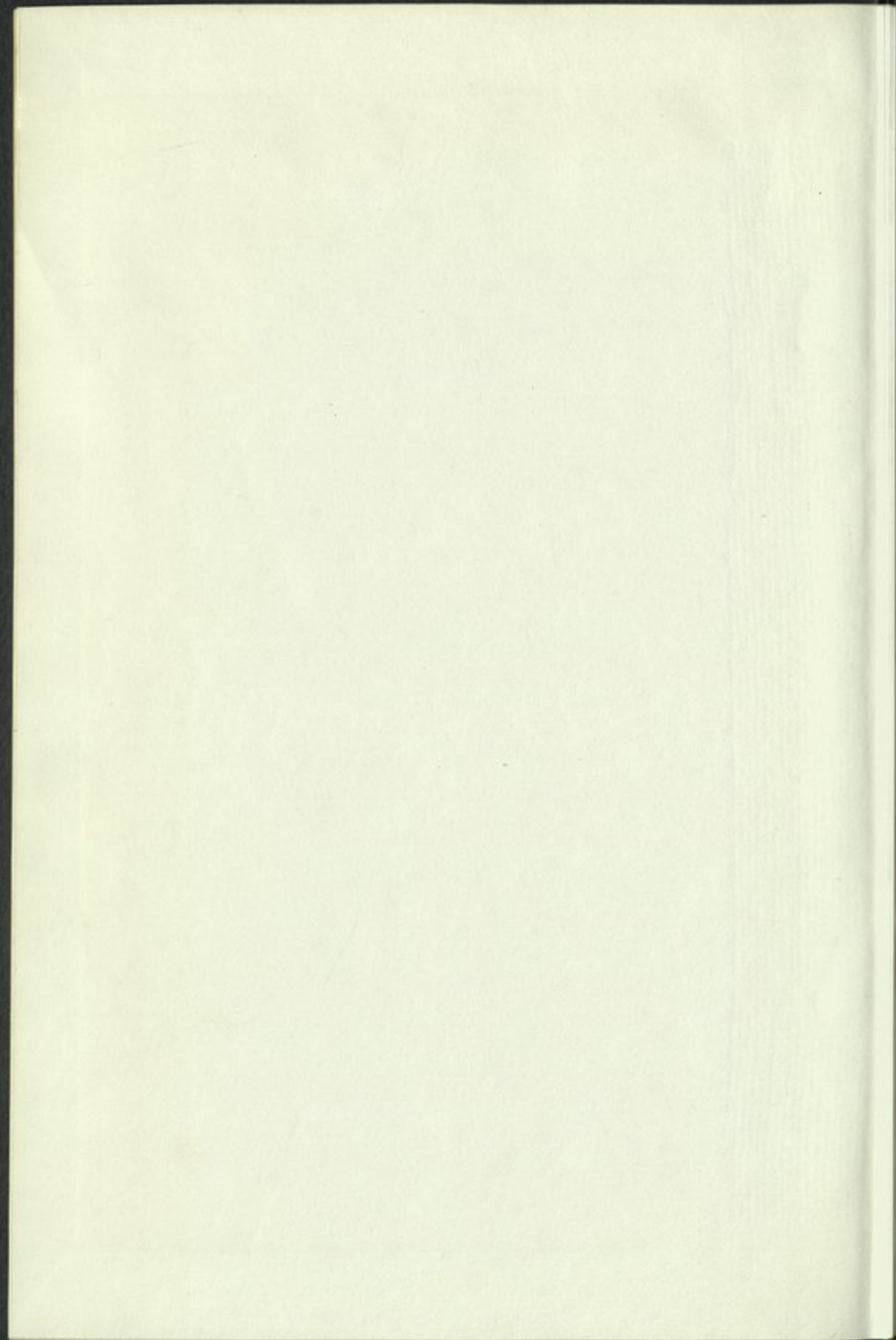
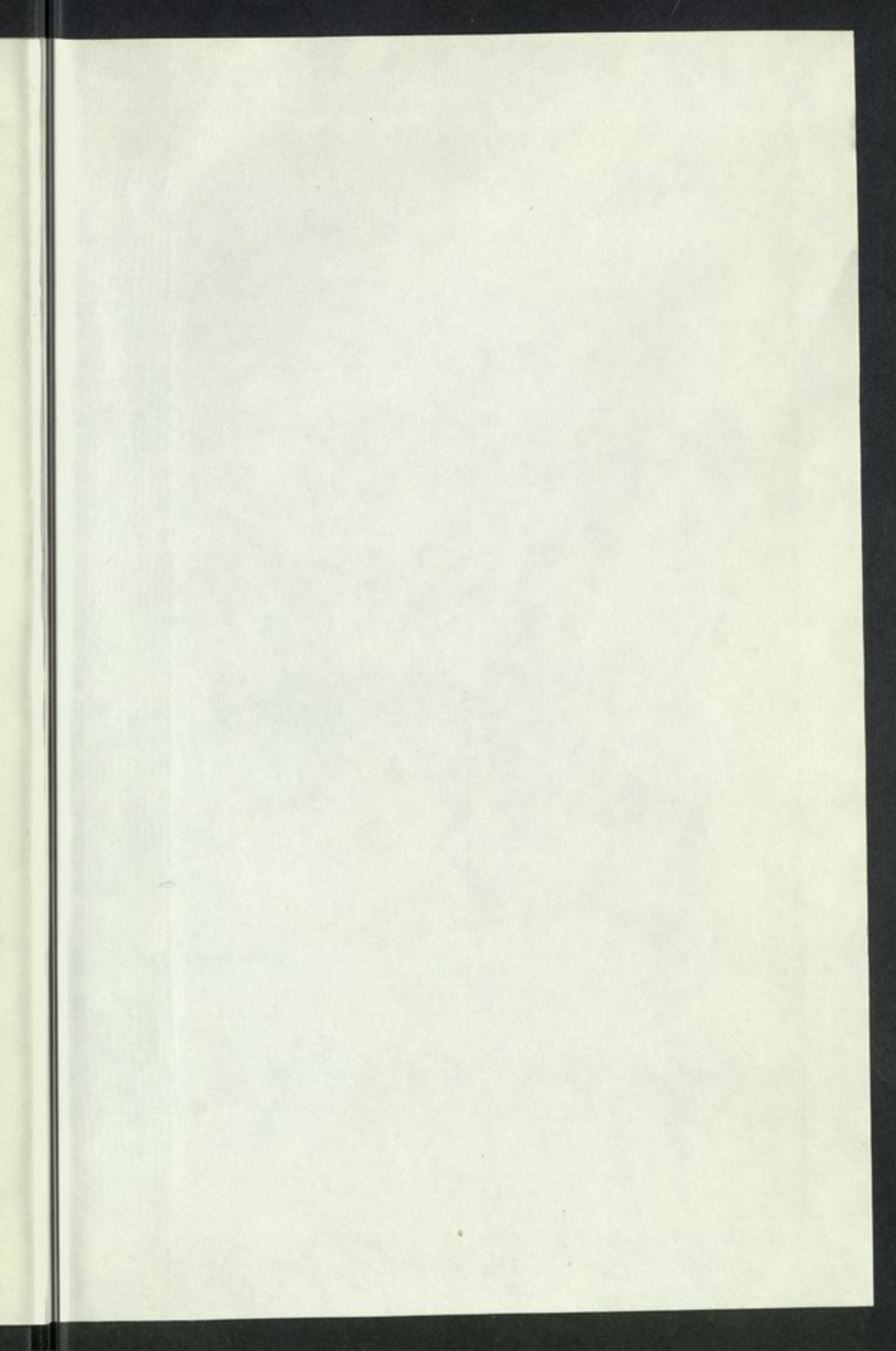
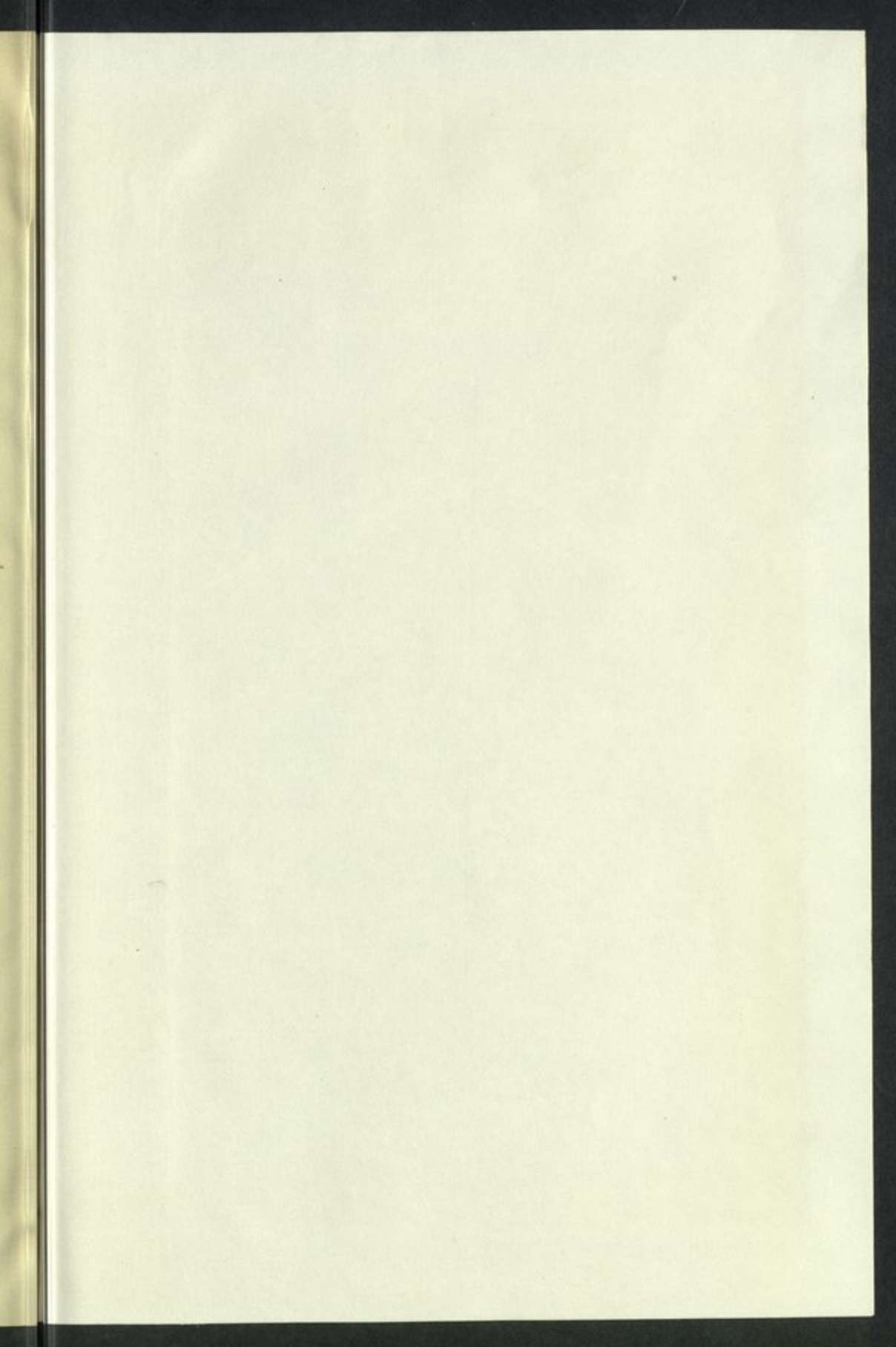


Eng. & Arch. Library





1870



ری سامراء

1822

1822

أما المؤلف المطبوع في الري

المطبوعات العربية

- ١ - « ري أراضي الخرج في نجد » تقرير فني حول مشاريع الري في نجد نشر في مكة المكرمة سنة ١٩٣٩ .
- ٢ - « الري في العراق » طبع في مطبعة التفتيش الأهلية ببغداد سنة ١٩٤٢ . (نقد)
- ٣ - « المصادر عن ري العراق » - كتاب جمع فيه المؤلف المصادر التي تبحت في شؤون الري في العراق ، ولخص محتوياتها ، وعلق عليها . طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٢ . (نقد)
- ٤ - « بين عدن والأردن » ترجمة لكتاب سير ويليم ويلسكوكس : طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٣ .
- ٥ - « وادي الفرات ومشروع الجبانية » . الجزء الأول ، ومعه ١٨ خارطة و ١٥ تصويراً ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٤ . (نقد)
- ٦ - « وادي الفرات ومشروع سدة الهندية » ، الجزء الثاني ، ومعه ٢٢ خارطة و ٢٦ تصويراً ، طبع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٥ .
- ٧ - « في ري العراق » ، الجزء الأول ، ومعه أطلس يضم ١٦ لوحة خارطة ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٥ .
- ٨ - « تطوّر الري في العراق » . ومعه ٢٨ لوحة بين تصوير وخارطة ، طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٦ .
- ٩ - « مشروعات الري الكبرى - خزان هور الشويجة » طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .
- ١٠ - « مشروعات الري الكبرى - خزان بحيرة الشارح » طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .
- ١١ - « مشروعات الري الكبرى - إحياء النهر الجعفري » (معد للطبع) .

١٢ - « مأساة هندسية أو النهر المجهول » يبحث هذا الكتاب في منشأ النهر الذي حفره المتوكل في سامراء لايصال المياه الى المتوكلية وفي تطوره وتطور الامور الغامضة التي لا بست هذا المشروع ولا سيما أسباب فشله ونتائج الفشل الخطيرة بالنسبة الى خطط انشاء العاصمة العباسية في سامراء .

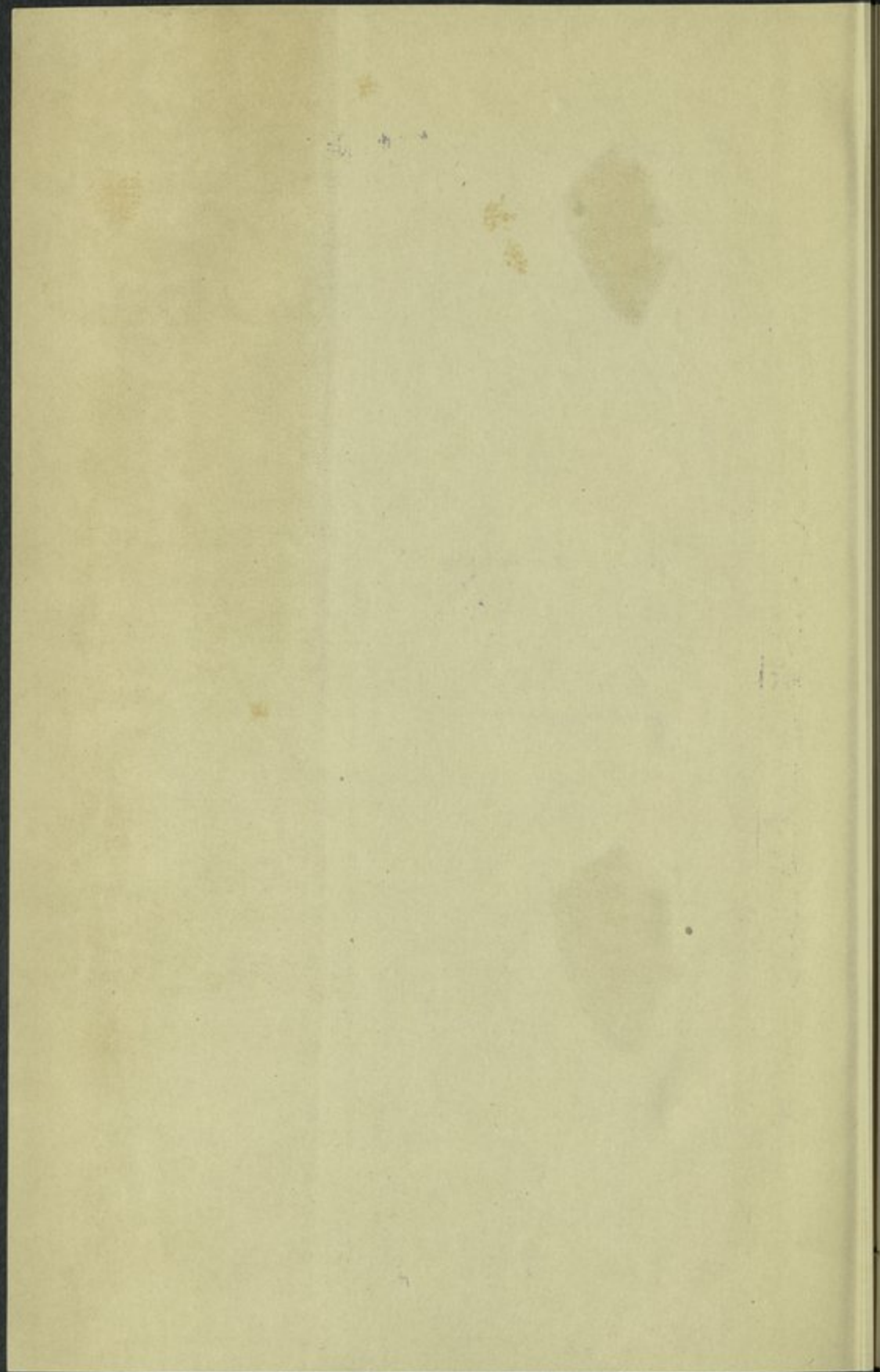
١٣ - « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » ، الجزء الأول ، وهو هذا الكتاب .

١٤ - « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » الجزء الثاني (تحت الطبع)

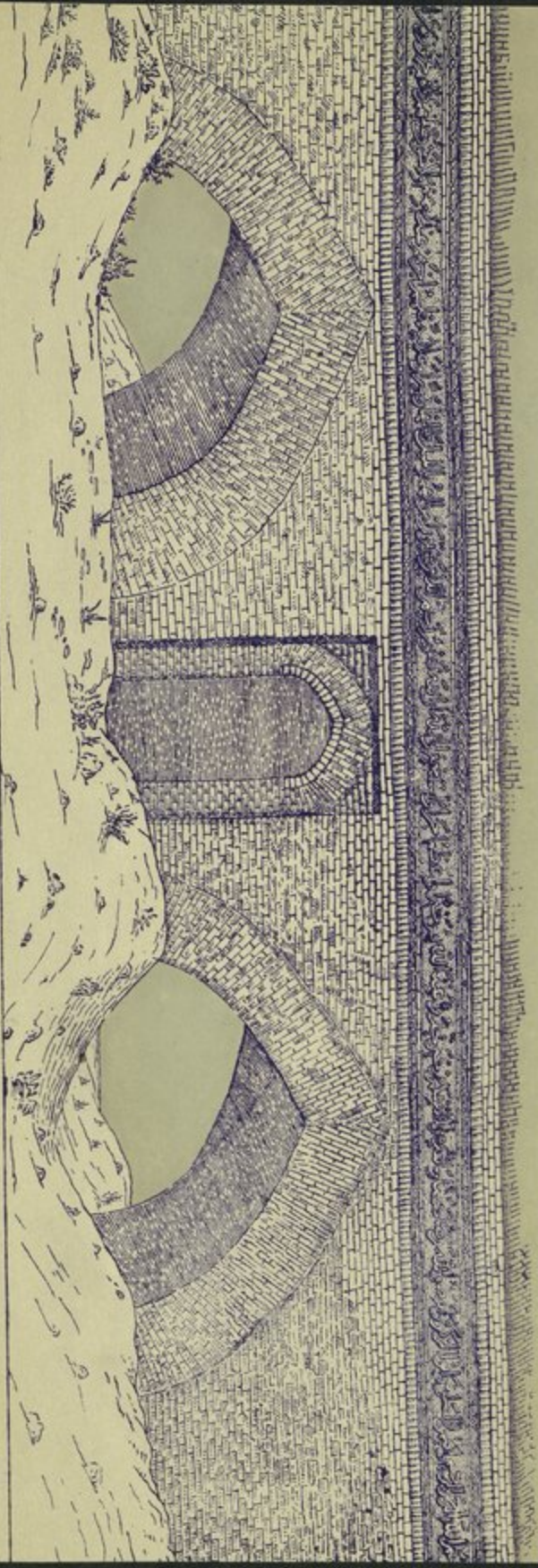
١٥ - « معجم المصطلحات الهندسية » وهو معجم للمصطلحات الهندسية عن المؤلف بجمعها وترجمتها من الانكليزية الى العربية والتعليق عليها (معد للطبع) .

المطبوعات الانكليزية

1. «Handbook of Instructions for Discharge Observers in Iraq» Compiled by the author and Mr. F. S. Bloomfield. Printed at the Government Press, Baghdad, 1932.
2. «The Capitulatory Régime of Turkey - Its History, Origin and Nature» 401 pages. The Johns Hopkins Press, Baltimore, U. S. A., 1933.
3. «Iraqi Irrigation Handbook», Part I, Iraqi State Railway Press, Baghdad, 1944 (with 16 Plates in Portfolio) .
4. «Iraqi Irrigation Handbook, » Part II (in Preparation) .
5. «Irrigation in Iraq — its History and Development.» Facts and Prospects in Iraq Series (English Edition). The Commercial Press, Jerusalem, 1945.
6. «The Hindiyah Barrage — its History, Design and Function» (With 17 maps and 22 illustrations). The Government Press, Baghdad. 1945.



جست رحمتی الذي انشاه المستصر على سد جيجيل سنة تسع وعشرين وثمان مائة



بسم الله الرحمن الرحيم

B
A

626.8
S962A
v.1
c.1

دار التوراة والعلوم الإسلامية

رَبِّي سَيِّدِي مَا هُوَ

فِي مِحْضِ الْخُلُقِ الْعِبَادِيَّةِ

بِمَنْعِ لَعْنَةِ الْكُتُبِ فِي تَرْجُحِ سَمْعِ دُنْيَا نَجْمِ «الْبَهْرُ وَالْبَهْرُ»
و«الْبَغْيُ» فِي «فَنَاءِ سَمْعِ» وَجِبْرِ الْبُحْرَانِ لِلْبُحْرَانِ وَبِالْكَتْمِ الْبَغْيِ
وَفِي الْبُحْرَانِ بِمَسَارِعِ الرِّبَا الْفَرْجِيَّةِ فِي مَنَظْمَةِ سَمْعِ دُنْيَا مِحْضِ
الْخُلُقِ الْعِبَادِيَّةِ

الجزء الاول

— الطبعة الأولى —

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

69327

طبعة المعارف - بغداد

١٩٤٨



21

الأهتداء

ألى أولئك من الذين هم البررة وقد جردوا الجيوب من الدنيا الصيرة تبارك

اليسار مع الجنة مني سمع عرفوا العارز وقد علموا أولئك من الذين هم الصيرة

المجود التي بنيتهم فمحلها بمائة سنة الحياء من الذين هم الصيرة الذين

أقرح كتابي هذا

المؤلف

1846

Received of the
Hon. Secy of the Navy
the sum of \$1000
for the purchase of
books for the
Library of the
Department of the Navy

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منذ دخلت معترك الحياة الهندسية العملية في مصلحة الري قبل ثماني عشرة سنة وأنا مسحور ومعجب بعظمة مشروعات الري القديمة في سامراء ، تلك المشروعات التي تعد من أهم مشروعات الري في العالم المتحضر ، وأعني بما تقدم بصورة خاصة مشروع النهروان الذي يبدأ من مدينة سامراء ويمتد الى أكثر من ثلثائة كيلو متر في شرقي نهر دجلة حتى مدينة الكوت الحالية ، وهو المشروع الذي يعد، بشهادة سير ويليم ويلكوس، اعظم مشروع ري اصطناعي في العالم .

أجل، منذ ذلك الوقت اخترمت في ذهني فكرة، بل رغبة ملحة تكاد تكون أقرب الى الهواية والولع منها الى واجب الوظيفة - هي رغبة شديدة وطموح قوي وميل متزايد لاستقصاء مكنونات هذه الاعمال الجبارة التي ترك لنا الاسلاف آثارها الناطقة بتاريخهم العظيم وماضيهم المجيد . منذ ذلك الوقت أخذت اطالع وأتتبع وأجمع كل ما قيل وكتب عن هذه المشروعات مدفوعاً بحب الاطلاع وبدافع الطموح لأن استقي من مناهل الحقائق التاريخية ما أستعين به كخبير ري في أحياء موات هذه الأرض المباركة واعادة مجدها الغابر باحياء مشاريعها القديمة على أساس فني يتلاءم وأحدث ماوصل اليه علم الهندسة في العالم الجديد.

ولا يخفي ما لمشروعات الري القديمة من صلة وثقى بالدراسات الأثرية التاريخية مما يجعل التحقيق عن الواحدة دون الأخرى متعذراً في أكثر الحالات . وتبرز هذه الصلة بصورة جلية اذا ما أردنا دراسة جغرافية سامراء القديمة ، فان مدينة سامراء العباسية كانت محاطة بأنهر اصطناعية وطبيعية من أطرافها

كافة ، فكان نهر الاسحافي يحدها غرباً ، وهو النهر الذي يمتد على طول المدينة التي في غربي دجلة ، كما انه كان يحدها نهر النهروان شرقاً على طول المدينة الكائنة شرقي دجلة ، هذا الى أن دجلة كانت تحترقها من وسطها ، الأمر الذي يجعل دراسة جغرافية سامراء في عهد الخلافة العباسية بدون دراسة مشاريع الري القديمة في تلك المنطقة أمراً صعباً إن لم يكن متعذراً . لذلك رغبت ان تقوم بعثة من اختصاصيي الري والآثار القديمة على أن أكون أحدهم للتعاون في سبيل انجاز دراسة تاريخ المنشآت في منطقة سامراء في عهد الخلافة المذكورة دراسة علمية شاملة لتأتي بالثمرة العلمية المنشودة ، إلا أن اشغال دائرة الآثار في أعمالها الأثرية الواسعة في مختلف أنحاء العراق لم يساعد على تفرغ موظفيها الاختصاصيين للدراسة المذكورة ، فاضطرت أن أقوم بدور خبير الري ودور المؤرخ الأثري في آن واحد لانجاز الدراسة المطلوبة . ولقد قمت بالدور الاول مستعيناً بأعمال المسح وبتجاربي الطويلة في شؤون الري العراقية للوقوف على تفاصيل تصاميم منشآت الري القديمة والاهداف التي كان يرمي اليه انشاؤها ، كما قمت بالدور الثاني مستعيناً بالكتابات التاريخية في مختلف اللغات وبالاطلال الأثرية المتبقية من الابنية القديمة حتى انتهيت الى نتائج اعتقد انها أقرب ما يمكن الوصول اليه من معلومات تاريخية حول جغرافية سامراء القديمة ومشروعات الري في منطقة سامراء في عهد الخلافة العباسية بصورة صحيحة :

وقد ظهر لي أن أكبر نقص في الابحاث عن شؤون هذه المدينة العباسية الخالدة عدم وجود خارطة حقيقية جامعة لمواقع منشآت المنطقة ، وان ما هو موجود مبعض هنا وهناك وأكثره منقول عن خرائط اجنبية ومعظمه يعيبه عن الواقع ولا يمكن أن يعول عليه الباحثون أو المحققون . لذلك كان عليّ قبل أن أقوم بدراستي عن الانهر القديمة والمواقع الأثرية في هذه المنطقة ان أجري مسحاً خاصاً لبعض الاماكن التي قمت بدراستها ، وقد استغرق ذلك مدة طويلة حتى تسنى لي أن أجمع كافة المعلومات المطلوبة للموضوع ، وقد استغنت بآثار

الأنهر القديمة واتجاهاتها ومناسيبيها الى الاستعانة بالاخبار التاريخية التي وجدت بها لاستخلاص النتائج المطلوبة. وقد رسمت بنتيجة هذا المسح والتدقيقات التاريخية التي قت بها خرائط حقيقية للاماكن الاثرية في منطقة سامراء والأنهر القديمة في تلك المنطقة مع تصاميم منشآت الري في مختلف المواقع ، فكانت أولى الخرائط الحقيقية التي تنشر حول الموضوع . ولما كنت اعتقد أن هذه المجموعة من الخرائط والرسوم سيستخدمها المحققون والمؤرخون مرجعاً في تتبعاتهم وبحوثهم فقد أعرتهم اهتماماً خاصاً وذلك بتدقيق المواقع تدقيقاً عملياً يتتبع الآثار نفسها وتعيين أماكنها الجغرافية على الخرائط بصورة متقنة .

والذي يسترعي الانتباه ان معظم المدن والقرى العربية القديمة التي كانت على مجاري الأنهر القديمة في منطقة سامراء ولا سيما تلك التي كانت على مجرى النهر وان ومجرى دجلة القديم الذي كان يسير غربي قرية بلد الحالية ، لا تزال محتفظة بأسمائها الاصلية رغم مرور مئات من السنين عليها، ومن أهم ما يجده القارئ في هذا الكتاب هو تعيين هذه المواقع بالنسبة الى الوضع الحاضر حسب الخرائط الحديثة وتصحيح ما ورد من أخطاء في بعض الاوصاف التي في الكتب الاجنبية عن هذه الاماكن .

ومما يؤسف له أن مراجعنا الحديثة كلها انحصرت في فئة من كتاب الافرنج واقتصرت هذه الابحاث، التي تتعلق بأهم ناحية من نواحي تاريخنا القومي ، على الغربيين من السواح والمؤرخين والكتاب . . وقد فسر كل من هؤلاء بقايا المنشآت وآثار المشروعات القديمة التي اقامها اسلافنا في العراق بحسب ما أوحى اليه ميوله . فاذا كان الكاتب أو المؤرخ عسكرياً فسر المنشآت التي شاهدها تفسيراً عسكرياً، وصبغ معظمها بصبغة عسكرية فصور الجداول المدرسة خنادق دفاعية واطلال القرى والمدن متارس وحصون وأكتاف الأنهر أسواراً وقلاعاً، وإذا كان المحقق آثارياً هاوياً صور الآثار بحسب الاتجاهات الغربية التي اعتاد

مشاهدتها في بلاده فصور البركة (امفيدنتر) والكهرز (١) نفقا للسرور والناظم
قنطرة للعبور الخ ... ومن أغرب الامور اننا قبلنا ما قدمه لنا هؤلاء من دون
أي تدقيق وأعتبرنا أقوالهم في شؤون تاريخنا القومي حجة لا تقبل الرد أو
الجدل . وأوضح مثال من هذا القبيل أقوال ميجر لاين عن المواقع الأثرية
في منطقة سامراء ، فقد اعتبر في كتابه «مسائل بابلية» كل ما هنالك من اطلال
وجداول قديمة مشروعات بابلية عسكرية تتصل بسور الميدين والاعمال الدفاعية
التي انشئت هناك للدفاع عن سد نمرود القديم ، على حين أنه ليس هناك سوى
أنهر قديمة مندرسة وبقايا مدن وقرى ومنشآت للري كالنواظم والسدود وهدفها
الأساسي الاعمار الزراعي بتنظيم الري في تلك المنطقة ، وان معظم هذه الاعمال
يعود الى العهد العربي . وقد دون في كتابه هذا أيضاً نظريات حول مجرى
النهر وان يتضح منها أنه كان بعيداً كل البعد عن فهم حقيقة هذا المشروع
والاهداف التي انشئ من اجلها في مختلف الادوار .

وقد كنت منجرفاً مع التيار في قبول كل ما كتبه هؤلاء الغربيين عن
منشئاتنا ومشاريعنا المدرسة حتى انضح لي بعد التبحر في هذه الموضوعات
والتدقيقات العملية في هذا المضمار بأن هناك اموراً لا يمكن للغربي ، مهما كان
عالماً، أن يتوصل الى حقيقتها مثل ما يستطيع أن يدركها الخبير العراقي المتضلع في
اللغات المحلية وفي شؤون المحيط الذي اقيمت فيه هذه المنشآت القديمة ، وهو
نفس المحيط الذي ترعرع فيه وخبر بواطنه . ومع كل هذا فعلياً أن نعترف
بفضل هؤلاء العلماء إذ سبقونا في تتبعاتهم وتحقيقاتهم في بلاد الشرق ، فانهم
أسسوا لنا بمؤلفاتهم وابعائهم وتبعاتهم دعامة علمية ثمينة نستطيع أن نبني
عليها حقائق علمية وتاريخية تسجلها لنا الاجيال المقبلة بمداد من الفخر والتقدير .
وأملنا وطيد أن ينبري الشباب العربي فيقتدي برجال الغرب ويدخل معترك

(١) الكهرز اصطلاح محلي ومعناه القناة التي تسير تحت الأرض .

الحياة العلمية بنفس الاقدام والمواظبة والتضحية التي امتاز بها الغربيون فنبرهن للعالم المتمدن على قابليتنا واستعدادنا لاهياء تراثنا العلمي القديم وعلى اظهار حقائقه وتوضيحها بصورة عامية غير مشوهة .

أما المراجع المتبصرة حول آثار سامراء العباسية ومنشئاتها القديمة من جداول وقصور ومنزهات وغيرها فتقتصر على كتب معدودة من تأليف الكتّاب الغربيين، وأهمها تلك التي وضعها المهندس الفرنسي فيوله (Viollet) والعلامة الالماني الدكتور ارنست هرزفيلد (Dr. Ernest Herzfeld) ، فقد كان اهتمام هذين الآثاريين محصوراً في أبنية معينة من أبنية سامراء القديمة البارزة كقصر الخليفة الذي كان يعرف بدار الخليفة أو الباب العامة وقصر المنقور الذي كان يعرف باسم بلسكوارا وقصر العاشق الذي كان يعرف بالمعشوق . وقد اقتصرت البحوث الأخير على فن الأبنية والاساليب المتخذة لتزيينه وتزويقه وتحسينه ، أي الصنائع الفنية الاسلامية كالنقوش والزخارف الجصية والتخاريم وغيرها من الامور المتعلقة بذلك . لذا فإنه لم يعر الناحية الخاصة بجغرافية منطقة سامراء القديمة والناحية المتعلقة بمشاريع الري في تلك المنطقة التفاتاً كافياً . وقد رسم هرزفيلد مخططاً لمدينة سامراء وشوارعها استند في وضعه الى وصف اليعقوبي للمدينة ، إلا ان هذا المخطط فضلاً عن أنه لا يشمل الا قسماً من المدينة فهو لا ينطبق في كثير من النواحي لا على الواقع ولا على وصف اليعقوبي نفسه^(١) . اما مشاريع الري العائدة الى ذلك العهد فلم يتطرق احد اليها إلا ما جاء عرضاً، وهذا ما حدى بي ان اتحرى واتتبع واتقّب في المصادر التي كانت سامراء بني العباس وقطائعها وبساتينها وجوامعها وبركها

(١) في غرة سنة ١٩١١ شرعت بعثة المانية في التنقيب عن آثار سامراء ، وقد نال الامتياز بالحقر العلامة المشهور الاستاذ فريدريك صارة (Frederic Sarre) البرابني الرحالة وعهد الى الدكتور هرزفيلد الذي كان آنذاك أحد أساتذة جامعة برلين للاخذ بهذه الاشغال المهمة .

تستقي المياه منه بغية التوصل الى معلومات صحيحة حول هذا الموضوع المعقد الذي بقي مجهولاً في حقل الابحاث الأثرية .

اما المراجع العربية عن آثار سامراء العباسية فان أهم ما كتب عنها نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء المطبوعة في مطبعة الحكومة في بغداد سنة ١٩٤٠ . وهذه النشرة ، مع تقديرنا للجهود التي بذلت في سبيل وضعها ، لا تخلو من النواقص ، ونأمل ان تقوم دائرة الآثار بطبعها طبعاً مجدداً تتدارك فيه النواقص لتكون دليلاً مفيداً للزائر من جهة وللمتتبع في شؤون سامراء التاريخية من الجهة الاخرى . ومن أهم هذه النواقص خلو النشرة من أي بحث يتعلق بمشروعات ري سامراء القديمة كمشروع النهروان ومشروع الاسطحي ومشروع نهر دجيل^(١) وغيرها من مشاريع الري التي انشئت في عهد المتوكل للإبصال المياه الى مدينة سامراء ومنزهاتها ، كما أنه لا بد من اضافة خارطة عامة الى النشرة تبين فيها المواقع المهمة من سامراء القديمة .

والظاهر أن دائرة الآثار العراقية قد انصرفت بكليتها تقريباً الى دراسة الآثار القديمة التي يرجع تاريخها الى ما قبل العهد الاسلامي ، اما تاريخ العهد العربي فلم تعره اهتماماً كافياً ، ولعلّ السبب في ذلك يرجع في الدرجة الاولى الى ان الناحية التي وجهت اليها هذه المؤسسة منذ تشكيلها كانت تتصل بهذِهِ الدراسات القبتاريخية ، وذلك بناء على اهتمام الغربيين بالآثار التي تتصل بنشؤ الحضارات البشرية ، وهي الآثار التي اجتذبت العلماء والمحققين لاكتشاف مكنونات هذه الحضارات . ولا يخفى ان الغربيين بذلوا وما زالوا يبذلون بكل سخاء في سبيل تحقيق هذه الناحية من التاريخ البشري . ومع اننا نقدر أهمية هذه الدراسة ونؤيد ضرورة اهتمام دائرة الآثار العراقية بها ، إلا اننا نرى في الوقت نفسه لزاماً علينا أن نعطي آثارنا الاسلامية العربية نصيباً من

(١) ان التسمية الشائع استعمالها للنهر المذكور «نهر الدجيل» والصحيح «نهر دجيل» كما ورد في المصادر العربية التاريخية .

الالتفات والاهتمام وان نشجع الدراسات العلمية في هذا الاتجاه ، وهي الدراسات التي تشتمل على ناحية مهمة من نواحي تاريخنا القومي بصورة عامة والحضارة الاسلامية العربية بصورة خاصة .

ومن أهم الابحاث التي عولجت في كتابي هذا موضوع النهروان وتاريخه وتطوراته في مختلف العصور لأعطاء فسكرة عن الدور الذي لعبه هذا النهر العظيم في تاريخ ري العراق القديم ، ولا سيما مايتعلق بمنطقة سامراء في العهد العباسي^(١) . وقد تبسطت في البحث عن مختلف أدوار هذا المشروع فأودعت فيه خلاصة ما توصلت اليه عن نشؤ النهروان وتاريخه وتطوره، ورسمت خرائط تبين تفاصيل تخطيط هذا المشروع ولا سيما تفاصيل القسم الواقع في منطقة سامراء . وموضوع النهروان خطير يكتنفه الكثير من الغموض والتعقيد نظراً لتداخله مع أدوار عدة واختلاف الآراء حوله وقلة المصادر عنه ، فان تاريخه يتألف في الحقيقة من تاريخ حضارات أدوار عديدة مرت على العراق في مجرى تاريخه العريق في المدنية والعمران . وعليّ أن أقول بأنني لم أجد في كل ماخضته من ابحاث عن ري العراق القديم موضوعاً اكتنفه غموض وتبلبل مثل موضوع النهروان ، وما كنت لأجرأ على التطرق الى بحثه لولا ثقتي بما توصلت اليه من نتائج بعد دراسة متواصلة مدة تربي على خمسة عشر عاماً ، فقد كنت لعدة سنوات خلت مديراً لمنطقة ري ديالى وقد تمكنت خلال هذه المدة من دراسة قسم النهروان الواقع في تلك المنطقة دراسة دقيقة ، ثم قضيت مدة وانا مدير منطقة ري الكوت فقامت خلالها بدراسة القسم الواقع في تلك المنطقة ، وأخيراً قضيت مدة غير قليلة في منطقة سامراء نفسها فدرست خلالها القسم الاعلى من النهر . وكان من أصعب الامور تتبع آثار فروع النهروان والوقوف على حقيقة أمرها لأن معظم الاراضي التي تحترقها هذه الفروع قد زرعت الأمر الذي سبب محو معالم هذه الفروع في معظم اقسامها .

(١) راجع الفصول الثاني والثالث والرابع والتاسع والعاشر والحادي عشر .

ولا يخفى ان احياء النهر وان يتطلب قبل كل شيء الوقوف على أصل النهر وتاريخه وتطوراتهِ ، وهذه المعلومات غير متيسرة ، الأمر الذي حملني على مواصلة جهودي في سبيل سد هذا الفراغ لتمهيد السبيل الى إعادة احياء هذا النهر التاريخي العظيم والاستفادة منه كما استفاد منه أسلافنا .

اما ما كتبه الاجانب عن هذا الموضوع فقد يعد كتاب فيليكس جونس عن النهر وان الكتاب الوحيد في هذا الباب ، وهذا وضع في منتصف القرن التاسع عشر وطبعته حكومة الهند في سنة ١٨٤٧^(١) . ومع اننا لا ننكر الجهود الجبارة التي بذها هذا الباحث لاجراء هذا الكتاب الى الوجود في ذلك الوقت الحرج ، فان كتابه يميل في كثير من الاحيان الى الخيال ، الأمر الذي جعله بعيداً عن الحقائق الواقعية المستندة الى تدقيق علمي فني . فقد مسح المستر فيليكس جونس المنطقة التي يقطعها النهر وان على طول مجراه ونظم خرائط كانت تعد في ذلك الوقت تحفة نادرة لصعوبة الوصول الى تلك الأماكن النائية والمخاطرة في سبيل الحصول على أية معلومات من هذا القبيل . اما الآن فنجد أن خرائط فيليكس جونس لا تخلو من الاغلاط ثم ان ارتباكها في بعض نواحي الموضوع جلي ، فإنه لم يستطع ان يفرّق مثلاً بين السد المقصود منه رفع مناسيب المياه وبين قنطرة العبور أو الناظم ، هذا فضلاً عن أنه لم يستطع تتبع الفروع وتعيين اتجاهاتها ، وهو معذور بذلك ، لأن عملاً من هذا القبيل لا يخلو من الصعوبات والعقبات حتى في الوقت الحاضر ، إذ لا يمكن الوصول الى هذه التشعبات إلا مشياً على الاقدام في كثير من الاحيان ، هذا عدا ما تتطلبه الدراسة في هذه الناحية من اختصاص فني . لذلك نرى فيليكس جونس قد صور في خرائطه آثار المنشآت القديمة كما شاهدها لا كما كان عليه تصميمها

(١) راجع رسالة المحتررات من سجلات حكومة بومباي ، المجلد الثالث والاربعين لسنة

١٨٥٧ ص ١ - ١٣٤ .

Selections from the Records of the Bombay Government, No. XLIII, New Series, 1857, p. 1-134.

الأصلي، دون أن يدرك الغاية التي انشئت من أجلها. وأعم ما في كتاب فيليكس جونس بنظرنا هو وصفه لبعض المواقع الأثرية كما شاهدها قبل حوالي مئة عام وذلك قبل أن تفقد معالمها، ومن المعلوم أن معظم هذه المواقع الأثرية فقدت معالمها خلال المئة سنة المنصرمة بنتيجة رفع الاتفاض من قبل الأهلين وزراعة الأراضي التي تقع فيها هذه الاماكن.

وما يجدر ذكره في هذا الصدد هو أن السير ويليم ويلكوكس تسرع فألف كتاباً عن النهروان قبل أن نطأ قدماه أرض العراق^(١)، مستقيماً معلوماً من كتاب فيليكس جونس ومستنسخاً خرائط جونس نفسها، إلا أنه كان متحفظاً في نقل هذه المعلومات بحيث نقلها حرفياً ثم بنى عليها ما بناه واقترح إعادة احياء النهروان على شكل واسع لم يؤيده بعد مجيئه الى العراق وقيامه بدراسة الوضع، ونحن لانشك في أنه ندم على تسرعه هذا لأنه وقع في اخطاء كثيرة وبصفته خبير ري لا يعذره الفنيون فيما يبديه من ملاحظات مغلوطة. على ان الذي نستخلصه من اجاث سير ويليم ويلكوكس انه لم يتوصل الى نتائج معينة في هذا الموضوع حتى بعد مجيئه الى العراق وقيامه بدراسة مشروعات ري العراق القديم، لأنه لم يستطع ان يعين علاقة نهري ديبالي والعظيم بالنهروان في مختلف العصور ولا وفق الى بيان علاقة الصدور العديدة الواحد بالآخر الى غير ذلك من الامور المتعلقة بتاريخ النهروان وتطوراته. ولعله تعذر عليه تتبع آثار النهروان وفروعه كلها والوقوف على كل ما كتبه المؤرخون ولا سيما مؤرخو العرب في هذا الموضوع. لذلك نراه قد تجتنب البحث في تاريخ المشروع وتطوراته في مختلف ادواره، واذا تطرق الى

(١) راجع كتابه «اعادة احياء مشاريع الري القديمة على نهر دجلة واعادة احياء كلدو»

المطبوع في مصر في سنة ١٩٠٣.

«The Restoration of the Ancient Irrigation Works on the Tigris or the Recreation of Chaldea» By Sir William Willcocks.

الموضوع فكان ذلك عرضياً. ومما يؤيد ذلك ان مقترحاته الأخيرة في تقريره عن مشاريع الري اقتضت على احياء النهروان الاسفل ، اي القسم الذي يمتد من نهر ديالى الى الذنائب قرب الكوت ، وذلك باسالة مياه نهر ديالى الى ذلك القسم لأرواء الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة بين بغداد والكوت ، وبذلك طوى صفحاً عما اقترحه في كتابه السابق عن النهروان .

أما ما كتبه المؤرخون عن النهروان فهو محدود ومبعثر كما ان بعضه بعيد عن الواقع ولا بد من تمييزه : التعليق عليه ، وما وصلنا من كتاباتهم عنه جاء عرضياً أو في مناسبات خاصة ، وقد جاء في كتاب « الفهرست » لابن النديم ذكر كتاب للمدائني (١) عنوانه « النهروان » وكتاب آخر لهشام السكلي (٢) عنوانه « الانهر » ، ولكن لسوء الحظ ان السكتابين المذكورين من جملة الكتب التي فقدت من جراء النكبات المختلفة التي توالى على هذه البلاد ولا سيما في غزو التتار لبغداد .

أما ما كتب على عهد الفرس عن النهروان فلم اعثر على أي مصدر يبحث في الموضوع الا ما جاء عرضياً في رسائل الانبساطور هرقل الى مجلس الاعيان الروماني ، بمناسبة غزو الرومان لبلاد فارس في عهد كسرو ابرويز (٥٩٠ - ٦٢٨ م .) ، ويظهر ان جدول النهروان كان من جملة المقبات التي حالت دون تقدم هرقل في غزوه لمملكة فارس .

ومن المشروعات التاريخية المهمة التي تتصل بمشروع النهروان وعالجتها في هذا الكتاب المشروعين ، « سد نمرود » و « سور الميدين » ، فقد بحثت في مختلف نظريات السكّاب والمؤرخين في هذين المشروعين ووضعت خرائط خاصة لهما . ولعلامة سد نمرود بتطور مجرى دجلة كان لا بد من البحث عن مجرى دجلة القديم الذي يمتد بين العاصمتين العباسيتين ، سامراء المعتممة وبغداد المنصور ، لذلك

(١) ولد في سنة ١٣٥ ومات سنة ٥٢١٥ .

(٢) توفي سنة ٥٢٠٦ .

أفردت بحثاً خاصاً عن ذلك وعززته بخارطة تبين اتجاه ذلك الجرى ومواقع المدن الرئيسية التي كانت عليه. ومما يلفت النظر ان معظم هذه المدن لا يزال محتفظاً بأسمائه الاصلية كـ « العلت » و « حربى » و « الحظيرة » و « باحشا » و « مسكن » و « جويت » و « أوانا » و « عكبرا » و « بصرى » وغيرها (١).

ومن جملة المشاريع التي تطرقت اليها في هذا الكتاب مشروع « نهر الفورج » القديم ، وهو المشروع الذي كان السبب المباشر في أكثر حوادث الفرق التي كانت تحصل في بغداد الشرقية ، كما كان السبب في تحويل نهر دجلة في القسم الذي يمتد بين سامراء وبغداد من اتجاهه الغربي الى الجرى الشرقي الحالي (٢). وفي الكتاب أيضاً بحث عن مشروع النهرين « الاسحافي » و « دجيل » الواقعين على الضفة الغربية من نهر دجلة ، ففي هذا البحث معلومات جديدة عن تاريخ هذين النهرين المذكورين والتطورات التي اعتورتها في مختلف الادوار (٣).

ومن أهم ما توصلت اليه خلال دراستي لنظام الري القديم في منطقة سامراء العباسية تعيين موقع بركة البحترى ، البركة التي كانت تعرف باسم البركة الجعفرية ، نسبة الى منشئها جعفر المتوكل ، وتثبيت حدود حير المتوكل للوحوش ، وهو الحير الذي كانت البركة تقع فيه . وبركة البحترى وحديقة المتوكل للحيوانات معروفتان لدى الأدباء والكتّاب من قصيدة البحترى المقصورة في وصف البركة والحير ، حيث عدت من اسمى المعاني الشعرية في العهد العباسي :

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات إذا لاحت مغانيها
مابال دجلة كالغبرى تنافسها في الحسن طوراً وأطواراً تباهاها
أما رأيت كاليه الاسلام يكلاهما من أن تعاب وباني المجد يبنياها

(١) راجع الفصل الثاني من الكتاب .

(٢) راجع الفصلين الثالث والرابع

(٣) راجع الفصول الأولى والثالث والحادي عشر

كأنَّ جن سليمان الذين ولوا ابداعها فادقوا في معانيها
تغني بساينها القصوى برويتها عن السحاب منجلاً عزاليها
الى أن يقول :

وطاعة الوحش إذ جائتك من خرق احوى وادمانه كحل ما قيهما
كالعاب الرود يخفي في ترائبها ردع العبير ويبدو في تراقبها
ألفان وافت على قدر مسارعة الى قبول الذي حاولته فيها
إن سرت سارت وإن وقفها وفتت صوراً اليك بالحاظ تواليها
حتى قطعت بها القاطول وافترقت بالخير في عرصه فسخ نواحيها
وقد استرسل البحري في وصف البركة وقد سماها بالبركة الحسناه ،
فصورها « كالبحر في عظمتها » وقال ان « وفود الماء كانت تنصب فيها
معجلة كالحليل الخارجة من جبل مجريها » ، وكانت من السعة بحيث كان يتعذر
على الاسماك الملوثة التي كانت فيها أن تتحول من جانب الى آخر لما بينهما من
بعد ، ثم ذكر أن هناك رياضاً وبساتين كانت تحف بها الى مسافات بعيدة ، كما
أن هناك نهراً يسمى « نهر نيزك » كان يغذيها بالمياه ، وهو النهر الذي كانت ترد
منه الحيوانات الوحشية التي في الحديقة وهي تبلغ الفي وحش . وقد صور
البحري دجلة الى جانب البركة وهي « غيرى تنافسها في الحسن طورا وتباهيها
طورا » ، كما صور « نهر نيزك » وهو يتوسط البركة فشبّهه بماء البحر . وقد
أشار البحري في قصيدته الى مقصورات تطل على البركة والى « صحن رحيب »
في أسافل البركة والى بهو في أعالي البركة والى ساحة تسمى بـ « ساحة التل » قرب
القاطول كانت حيوانات الخير ترتادها . ومن بدع المتوكل المبتكرة التي أشار
اليها البحري الدواليب التي كانت على البركة والتي كان يديرها النعام ثم تمثال
الدلمين الذي يتصدرها .

أين قد تكون هذه البركة ، وأين هو « نهر نيزك » وأين هي حديقة
الحيوانات التي كان يحترقها هذا النهر ، وكيف جاءت المياه الى البركة تجري

مسرعة^١ « كالخليل الخارجة من جبل مجريها » ... وكيف كانت تصرف مياه
 البركة ؟ ... هذه هي من جملة الأسئلة التي كانت تستحثني كخبير ري على
 التنقيب والتحري والتبصع للتوصل الى جواب يشفي غليلي ويرفع الستار عن
 مكنونات هذا المشروع العظيم . وكما أردت أن أقنع نفسي بما ذهبت اليه
 مديرية الآثار القديمة من أن البركة الحسنة التي كانت مصدر وحي البحري
 تقع أمام القصر المعروف بدار الخليفة ، القصر الواقع شمالي مدينة سامراء
 الحالية بقليل^(١) ، وجدتني في حيرة من أمري . وقد حاولت كثيراً أن اعتبر
 هذه النظرية صحيحة فقضيت عدة أيام وأنا أتخطى هذا المكان ساعات كثيرة
 كل يوم ، وكما تذكرت وصف البحري للنهر الذي كان يجري كالسيل وكما تذكرت
 قوله ان المياه كانت تجري « معجلة كالخليل الخارجة من جبل السباق » كما ايقنت
 بصورة جازمة على أن دائرة الآثار كانت بعيدة من تعيين موقع البركة ... أين
 هو النهر وأين المغاني ، وأين الدكتان « كمثل الشعرتين غدت احدهما بأزاء
 الاخرى تساميهما » ؟ ... وأن « الصحن الحبيب في أسافل البركة والبهو على أعاليها » ؟ ...
 أين البساتين وأين الحديقة التي كانت تضم الألفي وحش ؟ و اين ساحة التل قرب
 القاطول التي كانت معنى من مغاني هذه الحيوانات ... أين كل هذا ؟ ... اني لم
 اعثر في المكان الذي أشارت اليه دائرة الآثار على أثر واحد من هذه الآثار ...
 إذن كان علي أن أتحرى عن البركة الحسنة في مكان بالقرب من القاطول
 ونهر دجلة اولاً ، وفي أرض منخفضة يساعد مستواها على جري النهر فيها بحيث
 تنتهي هذه الأرض الى « مواطيه » يمكن تصريف مياه البركة اليها ، هذا
 فضلاً عن ان المكان لا بد من أن يكون في منطقة واسعة رحبة بحيث تضم
 البساتين والرياح والساحات الواسعة للالفي وحش ، وهي الساحات التي تقع على
 حسب وصف اليعقوبي ضمن « حائط يدور في صحراء حسنة واسعة » ... وكما
 كانت دهشتي حين قادني الصدفة ، أثناء قيامي ببعض التحريات عن مجرى

(١) راجع نشرة مديرية الآثار القديمة عن سامراء (مطبعة الحكومة ١٩٤٠) ص ٥٥

النهر وان القديم بغية دراسة امكانيات هذا المشروع ، الى ان اكتشف البركة الحسنة بعينها على حين غرة ، بعد وصولي الى ذنائب أحد فروع هذا النهر . نعم ، هي انها بركة البحجري نفسها بدكتيها الواسعتين وبصحنها الرحيب في اسافلها وبالهبو في اعاليها ، وأمامها السور الذي يضم الوحش فيبلغ مجموع طوله حوالي الثلاثين كيلو متراً ، وخلفها القصر الواسع وكذا ساحة التل التي كانت مغنى الوحش قرب القاطول ودجلة .

ذلك هو المسكان الذي يعرف الآن باسم « المشرحات » وهو يقع على مسافة زهاء ستة كيلو مترات من مدينة سامراء الحالية شرفاً ، فهناك يمكن تتبع آثار سور حير الحيوانات وبقايا البركة بحسب اوصاف البحجري^(١) . ومن المهم ان نذكر في هذا الصدد ان مديرية الآثار العراقية العامة اتصلت بالدكتور هرزفيلد لاستمزاغ آراءه عن موضع المشرحات على اثر ما نشرت في الصحف المحلية عن نتائج دراساتي في منطقة سامراء ، ولا سيما ما يتعلق بموضع المشرحات الذي لم يكن لدائرة الآثار علم به من قبل ، فأجاب الدكتور بكتاب وجهه الى المديرية المذكورة بتاريخ ٢٧ تموز سنة ١٩٤٧ انه كان قد لاحظ أطلال المشرحات والبركة أثناء وجوده في منطقة سامراء وأن السور الذي يقع هناك كان على حسب اعتقاده حدود ساحات الصيد الواسعة التابعة لحائر الحير . فلما بعثت الى الدكتور المومي اليه نسخة من منشوراتي حول الموضوع وشرحت له خلاصة ما توصلت اليه من نتائج ، بعد اجراء تحقيقاتي في منطقة سامراء ، أجابني بكتابه المؤرخ ٢٩ آب ١٩٤٧ ، أي بعد اجابته على كتاب مديرية الآثار العامة بحوالي الشهر قائلاً مانصه : « بناء على مذكراتي المدونة قبل عشر سنوات اني اتفق واياكم في كل ما ذهبتم اليه بمقالكم تقريباً » . ويجد القارىء نص جواب

(١) يجد القارىء بحثاً متصلاً عن اطلال المشرحات هذه وحديقة الحيوانات وبركة البحجري في الفصول الثلاثة الرابع والسادس والسابع كما يجد عدة خرائط ورسوم حقيقية تبين تفاصيل الحير والبركة .

الدكتور هرزفلد إليّ في الفصل الرابع وقد دونته كما جاء منه باللغة الانكليزية .

ومن المواقع الأثرية المهمة الأخرى التي عولجت في كتابي هذا « حصن القادسية القديم » الواقع في الجهة الشرقية من نهر دجلة جنوبي مدينة سامراء ، وهو الحصن التاريخي المثلث الذي يشغل مساحة تقرب من مائة دونم (مشاركة) في منطقة القادسية^(١) . وقد اختلفت الآراء حول هذا الحصن ، فمنهم من اعتبره حصناً من حصون العرب ، والآخرون بنية من أبنية الفرس ، وهناك من اعتبره من الحصون البابلية القديمة التي ترجع الى عهد نمرود ، على ان الذين قالوا بعروبه لم يتفقوا في الرأي عن الزمن الذي انشئ فيه فقد نُسب فريق الى عهد المعتصم وفريق آخر الى عهد الرشيد . اما النتائج التي توصلت اليها بنفسني هي ان الحصن المذكور انشئ في نفس الوقت الذي انشئ فيه مشروع النهروان ، وانه انشئ جريباً على العادة القديمة المألوفة في ذلك الوقت من ضرورة اقامة الحصون المنيعه على صدور الجداول المهمة للمحافظة عليها والحيلولة دون استيلاء العدو عليها أو قطع الماء عنها . وكان رأي دائرة الآثار العراقية ان الحصن المذكور من عمل المعتصم وانه من جملة أبنية المدينة التي ابتناها المعتصم في القادسية قبل أن ينتهي الى سامراء ، وقد طلبت الدائرة المذكورة الى الدكتور هرزفلد ان يزودها برأيه الخاص في الموضوع فأيد رأياً وأضاف الى ذلك قائلاً إنه كان يعتقد بأن البناء من عمل الرشيد إلا انه وجد أخيراً انه من منشآت المعتصم التي اقيمت في القادسية قبل أن ينتهي الى سامراء . وقد بعث الدكتور هرزفلد بجوابه هذا الى دائرة الآثار قبل أن يقف على نتائج دراساتي حول الموضوع ، فلما شرحت له خلاصة ما توصلت اليه من نتائج بعد اجراء تحقيقاتي في منطقة سامراء ، وهي نفس النتائج التي شرحتها في مؤلني

(١) تعرف القادسية بهذه بقادسية دجلة وذلك لتمييزها عن قادسية الكوفة التي على

نهر الفرات .

هذا ، أجبني بكتابه المؤرخ ٢٩ آب ١٩٤٧ وذلك بعد ارساله برأيه الى مديرية الآثار العامة بحوالي الشهر قائلاً مانصه : « بناء على مذكراتي المدونة قبل عشر سنوات اني أريد كل ما ذهبتم اليه بمقالكم تقريباً عدا ما جاء حول سور القادسية المثلث الذي لا يزال مشكوكاً في أمره . فيظهر ان البناية هذه غير كاملة وعلى المرء أن يلاحظ أيضاً احتمال كون البناية من عمل هارون الرشيد » . ويستفاد من ملاحظات هرزفلد هذه أنه لا يزال متردداً في أمر سور القادسية بحيث لم يستطع أن يتوصل الى رأي ثابت حول ذلك، فانه بعد أن أيد إلى دائرة الآثار بأنه انتهى الى الرأي القائل بأن السور من عمل المعتصم بعد أن كان يعتقد انه من عمل الرشيد عاد فرجع في كتابه اليّ بأن بناء السور قد يرجع الى عهد الرشيد ، ويضيف الى ذلك قوله بان ما يتعلق بتاريخ انشاء هذا السور لا يزال مشكوكاً فيه . والذي اعتقده أن الدكتور هرزفلد سيتفق معي في رأيي حول الموضوع بعد أن يطلع على التفاصيل المدونة في هذا الكتاب عن تاريخ النهروان وتطوراته في مختلف الأدوار ، وهو الموضوع الذي يعترف برسالته إليّ بأنه لم يتوصل الى نتائج حاسمة حوله ، إذ يعتبر قضية مجاري النهروان العديدة مسألة عويصة فيقول في رسالته انها « المسألة العظمى » (the great problem) (راجع التفاصيل حول الموضوع في الفصل الرابع من الكتاب) (١) .

كذلك يجد القارىء في الفصل الخامس من كتابنا هذا بحثاً عن القناة التي انشأها المتوكل لا يصال المياه الى مدينة « سرّ من رأى » بالطريقة السيجية ، كما يجد في الفصل الثامن منه بحثاً عن النهر المعروف بـ « نهر الجعفري » وهو النهر

(١) علنا بأسف شديد والكتاب .ائل للطبع ان هرزفلد قد انتقل الى دار الخلود . ولا شك ان فقده انه يعد خسارة كبرى للعلم لاسيما وان الراحل من الرجال الذين قاموا بخدمات علمية جلية من حيث التأليف والتنقيب والتقييم في مختلف المواضيع التاريخية والأثرية في ربوع بلاد الشرق الأوسط .

الذي حفره المتوكل لا يصال المياه الى مدينة المتوكلية شمالي سامراء بالطريقة
السيحية أيضاً ، والذي وصل اليه علمي القليل انه لم يتطرق أحد الى البحث عن
هذين المشروعين حتى الآن . أما المشروع الأول - مشروع القناة - فيشتمل
على قناة خفية تستمد المياه من نهر دجلة من شمالي الدور ، فتسير الى مسافة
حوالي أربعين كيلومتراً حتى تصل الى قلب العاصمة (سر من رأى) ، وقد مدّ
المتوكل هذه القناة الى الجنوب حتى جوار القادسية ، فتمكن بفضل هذه القناة
من انجاز مشاريعه الجبارة في قلب العاصمة والتوسع شرقي مدينة سامراء باتجاه
منطقة الحير ، ومن أهم هذه المشاريع مشروع انشاء حلبة السباق التي في الحير ،
وهي الحلبة التي آمن وصول المياه اليها من دجلة ، ثم مشروع انشاء بركتي دار
الخليفة . ولا شك في أن هذه القناة هي التي مكنت المتوكل من تموين المسجد
الجامع الذي انشأه في أول الحير بالمياه الدائمة .

واما مشروع النهر الجعفري - وهو المشروع الذي ذكر اليعقوبي ان
المتوكل اتفق عليه ما يقرب من مليون دينار وقال الطبري ان اثني عشر الف
شخص اشتغلوا فيه والسكنه لم يجز الماء فيه إلا جرياً ضعيفاً - فيشتمل على حفر
جدول من ضفة دجلة اليسرى في نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلومتراً
من شمالي تكريت ، فيسير جنوباً بمحاذاة نهر دجلة مسافة حوالي ستين
كيلومتراً حتى يصل الى المتوكلية . وكان الجدول المذكور يموت بركة القصر
الجعفري بالمياه كما أنه يموت السواقي التي على جانبي الشارع الاعظم وجامع
أبي دلف بالماء أيضاً . ولا شك في أن فشل هذا المشروع قد أدى الى نتائج
خطيرة بالنسبة الى مركز الامبراطورية العباسية في ذلك العهد ، ولعله كان من
أهم الاسباب التي حملت المنتصر على هجران مدينة المتوكلية بعد مقتل المتوكل
ورجوعه الى سامراء ، الأمر الذي أدى أخيراً الى نقل العاصمة الى بغداد .

ولعل من أهم مافي اجاث هذا الكتاب من الوجهة التاريخية اكتشاف

مجرى النهر الجعفري ومنشأته وتفرعاته وتوضيح أسباب فشل هذا المشروع
 الخطير . وقد وضعت خارطة حقيقية عن مجرى النهر وتفرعاته والمواقع الأثرية
 والمنشآت التي عليه مع مناسب القمر على طول المجرى (راجع لوحة رقم ١) ،
 كما رسمت خارطتين أخريين تبين إحداهما حدود المتوكلية وموقع القصر الجعفري
 وبركته وقد رسمتها على أساس المسح الخاص الذي أجرته بنفسه هناك (راجع
 رسم رقم ٢) ، وتبين الثانية اتجاه الشارع الأعظم مع مناسيبه على طول المسافة
 التي بين سور اشناس والمتوكلية (راجع رسم رقم ١٧) . وقد رسمت أيضاً
 مخططاً بتفاصيل العبارة التي كانت تعبر مياه النهر من فوق مجرى القاطول
 السكسروي قبل أن يفضي الى المتوكلية (راجع رسم رقم ١٦) ، ومع أن هذا
 المخطط مستند الى معلومات فنية دقيقة فهو من تصوراتي الخاصة واختباراتي
 الشخصية عن منشآت الري معتقداً أنه أقرب صورة لوضع العبارة التي انشئت
 في زمن المتوكل . وقد تتبع آثار الأنهر والسكهاريز كافة في هذه المنطقة
 بالسيارة وعلى ظهور الخيل ومشياً على الاقدام للتثبت من اتجاهاتها وتثبيت
 مواضعها على الخرائط المرفقة وهي أول خرائط تبين هذه التفاصيل على
 شكلها الحقيقي .

ويجد قارىء البحث عن عمران سامراء القديمة على الضفة الغربية من دجلة
 (الفصل الاول) بحثاً خاصاً عن معسكر الاصطبلات الذي بقي امره مجهولاً لندرة
 المراجع عنه، فقد عده البعض من بقايا البابليين، واعتبره البعض الآخر من أعمال
 المعتصم، وهناك من نسبه الى عهد متأخر (عهد المتوكل) . وكنا مترددين في أمر
 هذا المعسكر أيضاً حتى انتهى بنا التحقيق الى اتصاله بعهد المعتصم، واعني بذلك
 ما توصلت اليه من ارتباط المعسكر المذكور بمشروع نهر الاسطحاتي الذي انشئ
 في عهد المعتصم ليمون المعسكر بالمياه . فان آثار الفروع التي كانت تنفرع منه
 وتفضي الى المعسكر لاتزال واضحة المعالم ويمكن تتبعها بسهولة ، كما أن النواظم

والسدود التي انعمت على النهر المذكور لتقسيم المياه لا يزال في الامكان
مهاهدتها عند مداخل الفروع الى المعسكر . وقد اكتشفت السور الخارجي
الذي كان يحيط بالمعسكر فيبدأ هذا السور من حافة نهر دجلة الغربية في المكان
المعروف باسم « تل بندري » الذي يقع على مسافة قليلة من جنوبي مدينة
سامراء الحالية فيمتد مسافة ستة وعشرين كيلومتراً غرب المعسكر ثم ينتهي
جنوباً الى حافة دجلة الغربية أيضاً عند التل الأثري المعروف باسم « تل مسعود » .
وكان هذا السور محصناً بأبراج عدة انشئت في المنعطفات وفي المداخل الرئيسية
للمعسكر . اما مساحة هذا المعسكر فتبلغ ثلاثة وعشرين الف دونم (مشاركة) .

وما يلتفت النظر أن قسماً كبيراً من أراضي المعسكر كان يستعمل لاجداث
مراعي اصطناعية لجياد الجيش الامبراطوري ، أما القسم المبني ضمن السور
الداخلي فكان معداً لسكن الجنود والضباط . وكانت أراضي المعسكر تفرغ
بالمياه من نهر الاسحاق فيتكون بذلك المرعى المطلوب وهو ما نسميه « بالجار » .
وكانت هذه الطريقة متبعة في القطر العراقي منذ أقدم الازمنة وقد استمر
استعمالها في المقاطعات الواسعة حتى شرع في تنظيم الري وسن قانون الري
والسداد العراقي الذي يمنع احداث مثل هذه المراعي في الاراضي الزراعية .

ومن الغريب ان رأي هرزفلد في آثار الاصطبلات - وهو الرأي الذي ابداه
في كتاب أرسله إلي بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٧ - انه يحتمل ان تكون هذه الآثار
بقايا اطلال قصر العروس الذي ورد ذكره في كتب المؤرخين العرب ، مستنداً
في رأيه هذا الى ما جاء في كتاب الاغاني من وصف رحلة نهرية قام بها المتوكل
وإصحبته ولاة المهود من سامراء الى قصر العروس . وفيما يلي نص قوله : -
« أما اطلال الاصطبلات فمن الصعب التوصل الى تشخيص ما كانت عليه اذا
استندنا الى المدونات التاريخية، ولسكن من المحتمل انها بقايا قصر العروس الكبير
حيث جاء في الاغاني (٩ : ٣٢) ان جماعة من المختلفين اجروا من جسر سامراء

فنزولوا في النهر حتى وصلوا الى هذا القصر مما يدل على أن القصر كان في الضفة الغربية ، وأنه كان كثير الكلفة على حسب ما ذكره ياقوت (٣ : ١٧) وأنه كان أوسع قصور سامراء .

فاذا راجعنا النص المشار اليه في الأغاني نجد انه ليس فيه أية اشارة أو أي دليل على أن قصر العروس كان في الجهة الغربية من دجلة أو انه كان جنوبي سر من رأى أو شماليها . ولا ندرى كيف توصل هرزفلد الى الرأي الذي تقدم ذكره في حين أن كل ما في آثار الاصطبلات ينطق بكونها مكبات للجيش ، وقد يكون في التسمية وحدها المتوارثة حتى اليوم ، أي الاصطبلات ، كفاية للدلالة على انها كانت اصطبلات الجيش العباسي .

ومما يلفت النظر ان تحقيقاتنا عن منشآت الري في المنطقة موضوعه البحث دأت على أن الأقدمين كانوا يستعملون الخرسانة في مباني الري على نحو ما هو متبع الآن في تصاميم منشآت الري الحديثة ، خلافاً لما كان يظن من أن عمل الخرسانة من مبتدعات الفن الحديث . وسيرى القارىء من مجرى البحث عن تصميم بناء السد الغاطس في ذنائب القاطول السكرووي^(١) والسد الثاني الذي في القسم الاوسط من النهروان ، وهو السد الذي كان يعرف باسم « الشاذروان الأسفل »^(٢) ، بأن هذين السدين كانا قد انشئا بالخرسانة على نفس الطريقة الفنية الحديثة المتبعة في تصميم امثالها من السدود . ويلاحظ من تصميم السد الأول ، وهو التصميم الذي رسمته على ضوء الآثار المتبقية ليبين الوضع الذي كان عليه هذا السد في الاصل ، ان هذا العمل لا يختلف عن أي تصميم حديث لمثل هذه السدود على الجداول الكبيرة أو الأنهر الواسعة ، فهو قريب جداً من تصميم سد دىالى الثابت الحالي الذي انشىء في جبل هميرين في السنوات الأخيرة . كما

(١) راجع البحث في الفصل الثالث ورسم رقم ٦

(٢) راجع البحث في الفصل العاشر ورسم رقم ٢٥

انه يلاحظ من تصميم السد الثاني (الشاذروان الأسفل) أن هذا السد لا يختلف عن تصاميم نواظمنا الحديثة بشيء ، لانتنا نجد فيه تنظيمات خاصة لتسهيل مرور السفن ، كما ان تصميم هذه التنظيمات يشبه تصاميم (الاهوسة)^(١) الحديثة من كل الوجوه .

ولما كنت أشعر بأن كشف أسرار المشاريع الجبارة التي أقامها أسلافنا في هذه المنطقة لا يفضي الى أية فائدة عمالية ما لم يستفد من تاريخ هذه المشاريع في وضع برنامج خاص لحياتها من جديد واستثمارها كما استثمرها أسلافنا فقد أفردت فصلاً خاصاً ، هو الفصل الثاني عشر والأخير من هذا الكتاب ، وبحث فيسه عن امكانيات مشروعات الري القديمة في سامراء - وهي انهر « الجعفرى » و « النهروان » و « الاسحاقى » و « دجيل » - على أمل أن تنال المقترحات الواردة فيه تأييد رجالات حكومتنا الموقرة وتوجيههم السامى لعلمي انهم يحرصون على تنفيذ كل ما فيه خير البلاد . وهذا ما يريح ضميري بالطبع ويمكنني من جني ثمرة أتعابى وتضحياتي في هذا السبيل . ومع أنى اعتقد ان البحث في مثل هذه الامور في بلد كالعراق لا يخلو من التضحيات والمضايقات ، فقد عقدت النية على أن أحقق ما بدأت به لاعتقادي الجازم أن هناك فئة تقدر الخدمة في هذا السبيل .

ولا بد من القول في هذا الصدد بأن هذه المنطقة العريقة في تاريخها المجيد والتي كانت في زمن ما مضرب الأمثال في خصبها وخيراتها ، بفضل ازدهار المشاريع التي مر ذكرها ، قد أصبحت الآن أرضاً بلقماً لا زرع فيها ولا ضرع ترتادها الذئاب والوخوش وتفزوها الرمال من كل صوب . نعم ، ان هذه المنطقة التي كانت جنة من جنان الله قد أصبحت صحراء قاحلة لا يمكن الوصول اليها دون قيادة ربان الصحراء . ولو كان للآثار والاطلال لسان لوصفت لنا العز

(١) جمع هويس وهو اصطلاح المصريين لمبر السفن

والرفاه الذين كانوا مقيمين على سكان تلك البقاع ، واسكن ذلك الصمت الرهيب الذي يسيطر على كل حواسنا والتاريخ المجيد الذي ترسم سلسلة حوادثه في مخيلتنا حين نزور هذه الاطلال يعني عن النطق ففیه عتاب ، وفيه لوم ، وفيه مطالبة ، وفيه مناداة . نعم ، عتاب ولوم لتقاعسنا عن واجبتنا ، اما المطالبة والمناداة فهي مطالبتنا بالعمل لاجياء موات هذه الأرض المباركة ، فهل نحن ملبون النداء ومجيبون للمطالبة ؟ ...

وقبل أن أختم مقدمتي هذه أود أن اسجل بمداد القمحر والاعجاب اهتمام دائرة الآثار القديمة في العراق وعنايتها في هذا الموضوع باتصالها بالعلماء والمستشرقين وبارتياد المواضع الأثرية كلما استجدت بحث أو ظهر كتاب ، الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بان هذه الجهود لا بد وان تنتهي الى الحقائق العلمية التي هي ضالة كل متتبع ، وإذا كانت لدي كلمة أخرى أختم بها هذه المقدمة فهي تسجيل آي الحمد والثناء للمديرية المشار اليها عن المساعدات التي اسديتها الي حين مراجعة خزائن كتبها واعارتي يمين تصاورها وتفضل المسئولين فيها باصطحابي الى المواضع الأثرية للتثبت من النتائج التي توصل اليها التحقيق ، فديرية الآثار مؤسسة علمية يحق لسلك عراقي ان يفتخر بها وبمجهودها .

المحرر نوري

بغداد : ٤ شباط ، ١٩٤٨

محتويات الكتاب

صفحة

٩	الاهداء
٤٢	قائمة الرسوم
٤٤	قائمة اللوحات
٤٥	قائمة التصاوير الفوتوغرافية

الفصل الأول

سامراء عاصمة بني العباس

- ١ - سامراء عاصمة بني العباس
- ٢ - موقع سامراء في عصور ما قبل التاريخ
- ٣ - سبب اختيار المعتصم لموضع سامراء دون غيره
- ٤ - المرحلة الأولى لإنشاء مدينة سامراء - عهدا المعتصم والواثق .
 - أ - شارعا الخليج والسريجة
 - ١ - الواديان - وادي ابراهيم بن رباح ووادي اسحق بن ابراهيم
 - ٢ - الأبنية والقطائع على شارع السريجة
 - ب - شوارع أبي احمد والحير الأول وبرغامش التركي
 - ج - دار الخليفة أو دار العامة
 - د - حلبة السباق وساحة اللعب
 - هـ - القصر الهاروني والجمر الذي على دجلة
 - و - بناء الجوسق
 - ز - العمران في الجانب الغربي من نهر دجلة

- ح - مشروع نهر الاسحافي
 ط - بناء الحويصلات
 ي - قصر العاشق
 ك - معسكر الاصطبلات
 ل - رأي هرزفند في الاصطبلات
 ٥ - المرحلة الثانية لانشاء مدينة سامراء - عهد المتوكل
 أ - شارع الاسكر والحير الجديد
 ب - حائر الحير
 ج - المسجد الجامع الكبير
 د - حير الحيوانات وبركة البحري
 هـ - ساحة الحير وحلبات السباق وتل العليق
 و - قصر الدكة في ساحة الحير
 ز - قصر بركوارا (المنقور)
 ح - مدينة المتوكلية وقصورها وشوارعها
 ط - جامع أبي دلف
 ي - مشروعات الري في عهد المتوكل

الفصل الثاني

النهر وان - منسوه - تطوره

- ١ - تمهيد
 ٢ - صدور النهروان
 ٣ - نهر القائم - مجرى النهروان الصيفي

- ٤ - نهر الصنم - مجرى النهروان الشتوي
- ٥ - القاطول الأعلى الكسروي
- ٦ - المنشآت الرئيسية والمدن المهمة على النهروان والقاطول الكسروي
- ٧ - منشأ النهروان
- ٨ - السدان القديمان على النهرين ديالى والعظيم
- ٩ - مشروع سد ديالى القديم
- ١٠ - مشروع سد العظيم القديم
- ١١ - مشروع سد نمرود القديم
- ١٢ - سور الميدين وسد نمرود
- ١٣ - مجرى دجلة القديم الذي بين سامراء وبغداد
- ١٤ - طسوجا بزرجابور ومسكن
- ١٥ - ملاحظات اجمالية

الفصل الثامن

القاطول الكسروي ومشروع القورج

- ١ - القاطول الكسروي
- ٢ - أهداف القاطول الكسروي
- ٣ - طسوج بزرجابور والسد الفاطس في ذئاب القاطول الكسروي
- ٤ - القاطولان الاعلى والاسفل
- ٥ - مشروع نهر القورج
- ٦ - آثار مجرى القورج
- ٧ - موقع صدر نهر القورج - سد العاث
- ٨ - خطر نهر القورج على مدينة بغداد الشرقية من الغرق

٩ - فروع نهر القورج

١٠ - مشروع نهر دجيل القديم

١١ - ملاحظات اجمالية

الفصل الرابع

النهر وان في العهد الإسلامي

[قائول الرشيد]

- ١ - تمهيد
- ٢ - مشروع الرشيد - نهر أبي الجند
- ٣ - مجرى القورج وغرق مدينة بغداد الشرقية
- ٤ - مجرى القورج ونحو مجرى دجلة
- ٥ - مشروع اعادة حفر نهر القائم (نهر أبي الجند)
- ٦ - قصر الرشيد والمعتمض على القاطول
- ٧ - موقع قصر الرشيد - اطلال المشرحات
- ٨ - موقع قصر المعتمض - منطقتا القادسية
- ٩ - متزهات القادسية والقاطول
- ١٠ - تاريخ القادسية وتوسيع عمرانها
- ١١ - سور القادسية
- ١٢ - تاريخ سور القادسية
- ١٣ - رأينا في منشأ سور القادسية وفي تاريخه
- ١٤ - رأي هرزفلد في سور القادسية
- ١٥ - موقع منشآت المعتمض على القاطول

١٦ — منشآت المعتصم على القاطول وأطلال الاصطبلات

١٧ — كهريز المعتصم في القادسية

١٨ — خرائط المشرحات ومدينة المعتصم على القاطول

الفصل الخامس

قناة المتوكل

١ — تمهيد

٢ — نظام ري الكهاريز

٣ — نظام ري الكهاريز في بلاد فارس

٤ — نظام ري الكهاريز في العهد العربي

٥ — نظام الكهاريز الخاص في سامراء وقناة المتوكل

٦ — وصف قناة المتوكل

٧ — بركتا قصر الخليفة — البركة النهارية والبركة الليلية

٨ — امتداد قناة المتوكل الى الجنوب

٩ — النهران المتفرعان من القناة

الفصل السادس

صير المتوكل للوحوش ونهر نيزك

١ — تمهيد

٢ — مشروع الناظم على القاطول الأعلى الكسروي

٣ — مشروع نهر نيزك

- ٤ — نهر نيزك وقواطيل ابن سراييون الثلاثة
- ٥ — حير الحيوانات
- ٦ — حير الحيوانات حسب وصف البحري
- ٧ — قصر المتوكل في الحير
- ٨ — قصر المتوكل في الحير وقصر الرشيد على القاطول
- ٩ — خرائب القصر والتنقيب فيها
- ١٠ — قصر الصبيح والمليح وقصر المتوكل في الحير

الفصل السابع

البركة الجعفرية

- ١ — البركة الجعفرية والبحري
- ٢ — قصيدة البحري في البركة
- ٣ — خلاصة وصف البحري
- ٤ — بقايا البركة
- ٥ — الفن الهندسي في تنسيق البركة
- ٦ — موقع البركة حسب رأي دائرة الآثار

الفصل الثامن

النهر الجعفري

- ١ — تمهيد
- ٢ — منشأ النهر وتاريخه واهدافه
- ٣ — تخطيط مشروع النهر

- ٤ - صدر النهر ومناسيبه
- ٥ - موقع صدر النهر كما في الطبري وياقوت
- ٦ - فرع الحديد وأهدافه
- ٧ - الفروع الأخرى للنهر
- ٨ - القنول الأثرية على النهر
- ٩ - حالة النهر وناظم مصرف الوشاش
- ١٠ - عبارة النهر الجعفري على القاطول الكسروي
- ١١ - بركة القصر الجعفري
- ١٢ - الشارع الأعظم
- ١٣ - فشل مشروع النهر الجعفري وعوامله

الفصل التاسع

النهر وان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الأول)

- ١ - تمهيد
- ٢ - كورة شاذهرمن - طسوج « بزر جسابور »
- ٣ - كورة شاذهرمن - طسوجا « الراذنين »
- ٤ - رأي لي سترانج في الراذنين
- ٥ - كورة شاذهرمن - طسوجا « نهر بوق » و « كلواذي ونهر بين »
 - أ - مدينتنا النهروان وكلواذي
 - ب - أنهر مدينة بغداد الشرقية
- ١ - نهر الخالص وفروعه
- ٢ - نهر بين وفروعه

- ٣ - قصور الخلفاء في مدينة بغداد الشرقية
 ج - جباية طسوجي « نهر بوق » و « كلاوذي ونهر بين »
 ٦ - كورة شاذ هرمن - طسوجا « جازر » و « المدينة العتيقة »
 ٧ - مجموع جباية كورة شاذ هرمن
 ٨ - الطريق العام بين بغداد وسر من رأى بخرق كورة شاذ هرمن

الفصل العاشر

النهر وان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الثاني)

- ١ - كورة شاذ قباذ
 ٢ - مجرى ديبالى وعلاقته بالنهر وان
 ٣ - نهر ديبالى فرع من النهر وان
 ٤ - مجرى ديبالى « نهر تامراً » ونهر ديبالى (فرع من النهر وان)
 ٥ - طريق خراسان العام
 أ - الطريق بين بغداد ومدينة النهر وان
 ب - جسر مدينة النهر وان
 ج - الطريق بين مدينة النهر وان والديسكرة
 د - الطريق بين الديسكرة وجولوا
 هـ - المارونية وقنطرة طرارستان
 و - الطريق بين جولوا وحلوان
 ٦ - كورة ارندين كرد
 أ - طسوج النهر وان الاعلى
 ب - طسوج النهر وان الاوسط

- ج - مدينة عبرتا
 د - طسّوج النهروان الأسفل
 هـ - مصب النهروان في دجلة
 و - طسّوج بادرايا وباكسايا

الفصل الحادي عشر

النهر وان في عهد انخراطه

- ١ - تمهيد
 ٢ - انهيار سد ديالى القديم ونتائجه الوخيمة
 ٣ - مصنعة السهلية على ديالى
 ٤ - أهمية مصنعة السهلية بالنسبة الى حياة النهروان
 ٥ - موقع مصنعة السهلية
 ٦ - محاولة اعادة انشاء سد السهلية على عهد مدحت باشا
 ٧ - انهيار سد العظيم ونتائجه
 ٩ - دجيل المستنصر
 ١٠ - نهر دجيل الحالي

الفصل الثاني عشر

امكانيات مسروعات الري القديمة في سامراء

- ١ - اعادة احياء أنهر النهروان ، والجعفرى ، ودجيل ، والاسحاقي
 الحوادث المهمة الوارد ذكرها في هذا الكتاب وتواريخ وقوعها

قائمة الرسوم

- رسم رقم ١ صورة الجزيرة لأبن حوقل (٩٧٨ م = ٥٣٦٧ هـ)
- رسم رقم ٢ خارطة تبين حدود مدينة المتوكلية وذنائب النهر الجعفري الذي ينتهي عندها
- رسم رقم ٢ (أ) خارطة مشروع نهر الاسحاقي
- رسم رقم ٢ (ب) خارطة تبين حدود معسكر الاصطبلات غربي « سر من رأى » وسوره الخارجي
- رسم رقم ٣ خارطة تبين تفاصيل حلبات السباق الثلاث في سامراء العباسية
- رسم رقم ٤ مخطط يبين الطريقة التي كان يتبعها الأقدمون في إنشاء صدور جداولهم
- رسم رقم ٥ سد العظيم القديم في مضيق جبل حمربن
- رسم رقم ٦ تصميم السد الفاطس على مجرى القاطول الكسروي عند ملتقاه بمجرى القائم
- رسم رقم ٧ مخطط يبين التقسيمات التي في ملتقى القاطول الاعلى الكسروي بمجرى القائم
- رسم رقم ٨ خارطة سور القادسية
- رسم رقم ٩ خارطة اطلال اصطبلات على ضفة نهر دجلة اليمنى
- رسم رقم ١٠ مخطط يبين مقطع الكهريز في الأرض الجبلية
- رسم رقم ١١ مخطط يبين تفاصيل القصر القديم المشيد على الضفة اليمنى من نهر القاطول الاعلى الكسروي عند الكيلو متر (٢٨) منه في المسكان المعروف بالدكة
- رسم رقم ١٢ مخطط يبين وضع الناظم القاطمي (الشاذروان) عند الكيلومتر (٣٠) من نهر القاطول الاعلى الكسروي - وهو المسكان المعروف باسم فسكة أبي سعيد - والفروع المتشعبة منه من أمام الناظم .

- رسم رقم ١٣ خارطة حير المتوكل للوحوش
- رسم رقم ١٤ خارطة البركة الجعفرية (بركة البحري) والقصر الذي بالحير .
- رسم رقم ١٥ خارطة تقريبية تبين تفاصيل تفرعات صدر النهر الجعفري
- رسم رقم ١٦ خارطة قنطرة الرصاصي وعبارة النهر الجعفري
- رسم رقم ١٧ خارطة الشارع الاعظم
- رسم رقم ١٨ انهر مدينة بغداد الشرقية
- رسم رقم ١٩ خارطة السد الغاطس (الشاذروان الاسفل) عند السكيلو متر (١٧٦٥) من النهروان أمام اسكاف بني الجنيد
- رسم رقم ٢٠ تصميم السد الغاطس (الشاذروان الأسفل) عند السكيلو متر (١٧٦٥) من النهروان أمام أسكاف بني الجنيد
- رسم رقم ٢١ خارطة تبين موقع مصنعة السهلية وسد مدحت باشا على نهر ديالى لتحويل مياه ديالى الى اننهروان
- رسم رقم ٢٢ الآجر المنحتم الذي بنيت به مصنعة السهلية
- رسم رقم ٢٣ صورة العراق لأبن حوقل (٩٧٨ م = ٥٣٦٧)
- رسم رقم ٢٤ خارطة جسر حربي
- رسم رقم ٢٥ مخطط تقريبي يبين موقع صدر نهر دجيل وتشمعات مجراه عند مفرق نهر المستنصر (نهر بلد)

قائمة اللوحات

- لوحة رقم ١ خارطة تبين تخطيط النهر الجعفري المعروف باسم نهر نايفة من صدره قرب الفتحة الى ذنائبه في المتوكلية مع مناسيبه وفروعه والمواقع الأثرية عليه
- لوحة رقم ٢ خارطة تبين المواقع الأثرية لمدينة سامراء العباسية ومجرى النهروان من صدره الشمالي الذي في الدور حتى نهر العظيم
- لوحة رقم ٣ خارطة مجري النهروان والقورج بين العظيم وديالى
- لوحة رقم ٤ خارطة مجرى النهروان بين ديالى وعبرتا
- لوحة رقم ٥ خارطة مجرى النهروان بين عبرتا والذئاب
- لوحة رقم ٦ خارطة تبين اتجاه مجرى دجلة القديم بين قادية سامراء وبغداد ومواقع المدن الرئيسية التي كانت عليه
- لوحة رقم ٧ خارطة مدينة سامراء في عهد الخلافة العباسية
-

قائمة التصوير الفوتوغرافية

تصوير رقم

- ١ - دار الخليفة — جبهة الشط
- ٢ - اطلال قصر العاشق — منظر عام
- ٣ - قبة الصليبية — منظر خارجي
- ٤ - مخطط قبة الصليبية — حسب تخطيط هرزفلد
- ٥ - مدينة سامراء الحالية وبقايا الجامع الكبير والملوية (صورة جوية)
- ٦ - جامع أبي دلف — الرواق الاوسط للمصلى (من الشمال) بعد الترميم ورفع الانتقاض
- ٧ - جامع أبي دلف — قوسان من أقواس الرواق الاوسط للمصلى
- ٨ - ملوية جامع أبي دلف بعد ترميم القاعدة ورفع الانتقاض
- ٩ - برج القائم
- ١٠ - منارة عبرتا
- ١١ - جسر حربي

سامراء عاصمة بني العباس

١ - سامراء عاصمة بني العباس (١)

تقع مدينة سامراء الحالية على الضفة اليسرى من نهر دجلة على مسافة ١٣٠ كيلومتراً شمالي بغداد وهي تبعد زهاء ١٧٥ كيلومتراً عن بغداد بطريق النهر، وقد بنيت على اطلال مدينة « سرّ من رأى » العباسية ، والأخيرة تمتد على طول نهر دجلة الى ابعاد شاسعة فتمتد مسافة تسعة كيلومترات تقريباً جنوبي المدينة الحالية وحوالي الخمسة والعشرين كيلومتراً شمالها ، أي ان مجموع طولها يبلغ زهاء ٣٤ كيلومتر ، أما عرضها فيتراوح بين السكيلومترين والاربعة كيلومترات ، أي بمعدل ثلاثة كيلو مترات . وعلى هذا الأساس يمكن تقدير مساحة مدينة سامراء العباسية بحوالي مائة وعشرة كيلومترات مربعة . واذا ما أضفنا الى هذه المساحة مساحة حديقة حيوانات المتوكل (حير المتوكل) التي تقع في أقصى الحدود الجنوبية وهي نحو خمسين كيلومتراً مربعاً ، وكذلك مساحة منطقة القادسية الواقعة بجوار الحديقة المذكورة وهي حوالي سبعة كيلومترات مربعة، جاز لنا أن نقدر مساحة سامراء العباسية بحوالي ١٦٧ كيلومتراً مربعاً . ولو أضفنا الى ذلك مساحة معسكر الاصطبلات القائم على ضفة نهر دجلة اليمنى ، وهي حوالي ٥٨ كيلو متراً مربعاً ، أمكننا اعتبار مجموع مساحة سامراء العباسية ٢٢٥ كيلو متراً مربعاً، أي ما يقرب من ٩٠.٠٠٠ دونم (مشاركة)، هذا عدا مشتملات المدينة من بستين وحدائق وقصور على الجانب الايمن من نهر دجلة وهي المشتملات التي تقع

(١) جاء ذكر سامراء في كتاب « مفصل جغرافية العراق » للعلامة العميد طه الهاشمي باضافة اداة التعريف، الا اننا لم نعتز عليها بهذه الصيغة في السكتب العربية القديمة .

بين نهر دجلة ونهر الاسحاقى والتي تمتد على طول ضفة دجلة الغربية مقابل « سر » من رأى » . ولا شك ان هذه المساحة الهائلة تجعل مدينة « سر من رأى » في عداد أكبر مدن العالمين القديم والحديث ، وهذا ما حمل ياقوت الحموي على القول بأنها « صارت أعظم بلاد الله » والقزويني على الحكم بأنه « لم يكن في الارض أحسن ولا أجل ولا أوسع ملكاً منها » . واذا ما لاحظنا ان مساحة مدينة القاهرة بما فيها مصر الجديدة — وهى أكبر عاصمة في الشرق العربي في الوقت الحاضر حيث يبلغ عدد سكانها مليونين وثلاث المليون نسمة — لا تزيد على ٤٠.٠٠٠ فدان مصري (٦٧.٠٠٠ دونم عراقي) وان مدينة بغداد الحالية لا تزيد مساحتها على الستين كيلو متراً مربعاً (٢٤.٠٠٠ دونم عراقي) اتضح لنا ما كان لمدينة « سر من رأى » من اتساع من حيث المساحة ومن حيث عدد السكان .

أسست مدينة سامراء العباسية في زمن الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد^(١)

(١) هو أبو اسحق محمد المنقب بالمعتصم بالله ، ولد في الخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة للهجرة ، ويومع له يوم وفاة أخيه المأمون في ١٢ رجب عام ٢١٨ هـ . وكان ابيض اصهب اللحية طويلها وسر بوعها مشرب اللون ، فكان شديد البأس يجعل الف رطل ويمشي بها ، ويقال انه حل باباً من حديد فيه سبعائة وخمسون رطلاً وخطا خطي كثيرة ، وانه اعتمد على غلام فدقه كما انه كان شديد الرأي قاسياً بذل اقصى جهوده في ترسم خطط أخيه ، ولكن اشتم خطأ ارتكبه هو ادخاله الاتراك في الدواوين وتشكيله فرقة عسكرية منهم ومن الأجانب الذين كانوا سبباً مباشراً في اضعاف سلطان الخلافة وتقويض دعائمها . وكان يطلق على الذين يأتون من وراء النهر أهل فرغانة وعلى الذين يأتون من اليمن واثريقيا اسم المغاربة . وقد اصبح هذا الجيش في عزلة تامة عن جيوش العرب والفرس وصار للاتراك من القوة حق اصبح يدمر بعد مدة وجيزة عزل الخلفاء وتعيينهم حسب رغباتهم واهوائهم .

وكان المعتصم موفقاً في حروبه وغزواته في عهده فتحت عمورية وقامت ثورة المازيار امير طبرستان كما قامت ثورة بابك الخرمي

وكان المعتصم اغلظ الخلفاء الذين الزموا الناس القول بخلق القرآن واجبار العلماء على هذا القول . ولعل ذلك كان من جملة الاسباب التي حملت المعتصم على الانتقال الى سامراء ،

سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) وهو ثامن خلفاء العباسيين ليجعلها عاصمة جديدة
 للملكة العظيم ، ثم وسعها ابنه الواثق وأوصلها الى أوج عظمتها واقصى اتساعها
 المتوكل ، إلا ان المدينة تركت بعد ذلك واعاد المعتمد مقر الخلافة الى بغداد ،
 ولم يكن قد مر عليها اكثر من أربع وخمسين سنة ملك خلالها ثمانية من خلفاء
 بني العباس وهم :

١ - المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ) = (٨٣٣-٨٤٢ م)

٢ - الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ) = (٨٤٢-٨٤٧ م)

٣ - المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ هـ) = (٨٤٧-٨٦١ م)

٤ - المنتصر (٢٤٧-٢٤٨ هـ) = (٨٦١-٨٦٢ م)

٥ - المستعين (٢٤٨-٢٥١ هـ) = (٨٦٢-٨٦٦ م)

٦ - المعز (٢٥١-٢٥٥ هـ) = (٨٦٦-٨٦٩ م)

٧ - المهتدي (٢٥٥-٢٥٦ هـ) = (٨٦٩-٨٧٠ م)

٨ - المعتمد (٢٥٦-٢٧٩ هـ) = (٨٧٠-٣٩٢ م)

ويقول حمد الله المستوفي (٥٧٤٠ = ١٣٤٠ م) ان مدينة سامراء
 انشأها في الاصل سابور الثاني ذو الاكتاف (٣٠٩ - ٣٧٩ م) ، ولما كان
 اقليمها طيباً عرفت بـ « سر من رأى » ، ويقال ان الناس خففوا هذه
 التسمية فقالوا « سامراء » ، وقد ذكرها البحري شاعر المتوكل بهذه الصيغة
 في قصيدته المتعلقة باعدام بابك الخرمي :

« اخليت منه البدن وهي قراره ونصبتة علما بسامراء »

ويقول اليعقوبي ان اسم سامراء في السكتب المتقدمة « زوراء بني العباس » .

== حيث ان انتصاره للمعتزلة جعل مسلمي بغداد ان ينظروا اليه بغير العين التي كانوا
 يرمقونه بها سابقاً . وكانت وفاة المعتصم في « سر من رأى » يوم ١٨ ربيع الاول
 سنة ٢٢٩ هـ ، فلك بعده ابنه هارون الواثق .

وقصة انشاء مدينة سامراء بالسرعة التي اقيمت فيها ثم هجرانها على حين غرة من الامور التاريخية التي تستوقف النظر. فقد نشرت دائرة الآثار العراقية مقالة تحت عنوان «قصة سامراء» تنقل منها النبذة التالية قالت : « قصة مدينة سامراء من اغرب وامتع قصص المدن في التاريخ : قطعة أرض قفراء ، على ضفة مرتفعة من نهر دجلة ، لا عمارة فيها ولا أنيس بها إلا دير للنصارى ... تتحول- في مثل ملح البصر - الى مدينة كبيرة ، لتكون عاصمة لدولة من اعظم الدول التي عرفها التاريخ ، في دور من أعمار سؤدها ... تنمو هذه المدينة وتزدهر بسرعة هائلة ، لم ير التاريخ مثلها في جميع القرون السالفة ، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة ، إلا في القرن الأخير - في بعض المدن التي نشأت تحت ظروف خاصة - في بعض الاقسام من العالم الجديد . غير ان هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة ، لأن المدينة تفقد (صفة العاصمة) التي كانت علة وجودها وعامل كيانها قبل أن يمضي نصف قرن على نشأتها ، فتأخذ في الاقفرار والانداس بسرعة هائلة ، لا تضاهيها سرعة ، ، وبعد ان كان الناس يسمونها باسم « سر من رأي » أضحووا يسمونها ساء من رأي ، وبعد ان كان الشعراء يتسابقون في مدح قصورها أخذوا يسترسلون في رثاء اطلالها ، وفي الواقع ماتت سامراء ميتة فجائية بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن ، وأمست رموساً وأطلالها هائلة تمتد اليوم أمام أنظار الزائر ، وتتوالى تحت اقدام المسافر الى أبعاد شاسعة لا يقل امتدادها عن الخمسة وثلاثين من السكيلو مترات . وعندما يتجول المرء بين هذه الاطلال المترامية الاطراف ، ويتأمل في السرعة العظيمة التي امتاز بها تأسيس مدينة سامراء وتوسعها من جهة ، واققرارها من جهة أخرى ، لا يتمالك نفسه من التساؤل عن العوامل التي سيطرت على مقدرات هذه المدينة العظيمة ، وصيرت قصة حياتها بهذا الشكل الغريب . »

اما الأسباب التي حملت المعتصم على نقل مقر العاصمة من بغداد الى سامراء

هو ان وجود الجنود الاتراك المأجورين في بغداد قد خلق مشاكل هناك « فسكان أولئك الاتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا وشمالا فيذب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدرأ لا يعدون على من فعل ذلك فتقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد فخرج ... حتى صار الى موضع سر من رأى وهي صحراء من أرض الطبرهان لا عمارة فيها ولا أنيس فيها إلا دير للنصارى فوقه بالدير وكلم من فيه من الرهبان ، وقال ما اسم هذا الموضع فقال له بعض الرهبان : نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سر من رأى وانه كان مدينة سام بن نوح وانه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر ... فقال أنا والله ابنها وانزلها ... » (١) وقد عوّض هؤلاء عن أراضي الدير أربعة آلاف دينار . ويظهر ان المعتصم بنى في مكان هذا الدير القصر الذي عرف فيما بعد بـ « دار العامة » أو « دار الخليفة » . (٢)

وبنى المعتصم في مقر عاصمته الجديدة قصوراً وبيوتاً ومساجد وأسواقاً ودواوين جلب معظم احجارها وزخارفها من خارج العراق ، وقد شيد فيها مسكنات لسكن ٢٥٠ الف جندي واصطبلات واسمة لاستيعاب ١٦٠ الف حصان (٣) ، كما قطع القطائع الى القواد الذين بنوا لهم قصوراً نفحة ، وأنشأ بساتين غناء غرست فيها أشجار مختلفة مثمرة من عدة فواكه . وقد توسعت المدينة على يد أخلاف المعتصم وعلى الاخص منهم المتوكل الذي دام حكمه مدة

(١) البلدان للياقوتى (طبعة النجف) ص ٢٣-٢٤

(٢) جاء في تاريخ اليعقوبى ، الجزء الثالث (طبعة النجف) ص ١٩٨ ما يلى : « وقف المعتصم في الموضع الذي فيه دار العامة وهناك دير للنصارى فاشتري من اهل الدير الأرض واحتطت فيه » .

(٣) سيد الامير على في « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » الترجمة العربية ص ٢٤٣

خمسة عشر عاماً ، وبذلك امتدت المدينة حتى بلغ طولها حوالي ٣٤ كيلو متراً كما اسلفنا .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد هو انه بعد أن هجرت سامراء على عهد الخليفة المعتمد واعيد مقر عاصمة الامبراطورية العباسية الى بغداد جرت محاولة لارجاع مقرها الى سامراء مرة أخرى ، وذلك في زمن المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥ هـ = ٩٠٢-٩٠٨) ، إلا انه بعد أن قصد المكتفي مدينة سامراء في سنة ٢٩٠ هـ وعزم على البناء بها والانتقال اليها صرفه القاسم بن عبيدالله عن رأيه هذا فعدل عنه ورجع الى بغداد . وقد نقل خبر ذلك الطبري الذي كان معاصراً لمهد المكتفي قال : « ولعشر بقين من جمادي الآخرة (سنة ٢٩٠) خرج المكتفي بعد العصر عامداً سامراء مريداً البناء بها للانتقال اليها فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادي الآخرة ثم انصرف الى مضارب قد ضربت له بالجوسق فدعا القاسم بن عبيدالله والقوام بالبناء فقدروا له البناء وما يحتاج اليه من المال للنفقة عليه فكثروا عليه في ذلك وطولوا مدة الفراغ مما أراد بناءه وجعل القاسم يصرفه عن رأيه في ذلك ويعظم أمر النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال فثناه عن عزمه ودعا بالغاء فتمدى ثم نام فلما هب من نومه ركب الى الشط وقعد في الطيار وأمر القاسم بن عبيدالله بالانحدار ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا الى سامراء حين تلقاهم الناس راجعين . » (١)

ولمدينة سامراء منزلة جليلة لأنك تجد فيها ضريح الإمام علي الهادي وولده حسن العسكري (ع) في حضرة عظيمة وسط صحن كبير سورته وطلبي قبته بالذهب السلطان ناصر الدين شاه في عام ١٢٨٥ هـ كما هو مدون على أربعة اركان القببة ، وكان الامام علي الهادي (ع) يسكن سامراء في أيام المعتصم بالله فلما توفي سنة ٢٥٤ هـ دفن في بيته ، ولما توفي الحسن العسكري (ع) سنة ٢٦٠ هـ دفن

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٢٢٣) .

الى جواره . وقد انشأ الحضرة في حدود عام ١٢٠٠ للهجرة اخوة ثلاثة من
 أهل خوي وساماس ورومية وكان الانشاء والتمير برعاية الحاج مرزة محمد
 السماس المتوفي في سنة ١٢١٩ هـ .^(١) والى جانب هذين الضريحين يشاهد سرداب
 غيبة صاحب الزمان الامام الثاني عشر المنتظر ، وهذا السرداب معروف باسم
 غيبة المهدي وفيه باب خشبي جميل من عهد الخليفة العباسي أبي العباس احمد
 الناصر لدين الله (٥٦٠٩ = ١٢٠٦ م) وقد مضى على صنعه اكثر من سبعة قرون.^(٢)

ويحيط بامراء سور ضخيم مضلع الشكل يميل الى الاستدارة يبلغ طول
 محيطه كيلو مترين ولا يتجاوز قطره الاعظم ٦٨٠ متراً . وقد أقام هذا السور
 في حدود سنة ١٨٣٤ م زين العابدين بن السماس وقد اتفق على تعميره أحد
 ملوك الهند ، ولهذا السور أربعة أبواب متقابلة ولكل باب اسم يعرف به ،
 فألباب الشمالي يسمى « باب الناصرية » نسبة الى ناصر الدين شاه الذي زار
 سامراء ، والباب الثاني الذي من جهة القبلة يدعى « باب النواب » لأن
 الأراضي المجاورة له تعود الى النواب نوازش علي خان اللاهوري (من الهند) ،
 والباب الثالث وهو الغربي يسمى « باب الساقية » وسبب هذه التسمية أن مثيرا
 ايرانيا كان قد أقام كرداً على نهر دجلة يدفع الماء الى ساقية تدخل في هذا الباب
 وتصب قرب باب الصحن الشريف ، ويسمى الباب الرابع بـ « باب الملوية »
 لأنه يؤدي الى منارة الملوية .^(٣)

٢ - موقع سامراء في عصر ما قبل التاريخ

اجريت اعمال السبر (التنقيب) الاركولوجي في سامراء من قبل الدكتور هرزفلد
 في موسم ١٩٣٠ - ١٩٣١ ضمن نطاق المقبرة التي كانت قد ظهرت للعيان في

(١) الأستاذ السيد عبد الرزاق الحسيني في كتاب « العراق ، قديماً وحديثاً » ص ٨٥ - ٩١

(٢) راجع نشرة دائرة الآثار « باب الغيبة في سامراء » الصادرة سنة ١٩٣٨ .

(٣) راجع البحث التالي الخامس بمنارة الملوية في هذا الفصل

بقعة شبة الحماوي^(١) المطلة على نهر دجلة والواقعة في القرب من شريعة باب
الناصرية شمالي سامراء الحالية على مسافة ميل واحد من بيت الخليفة جنوباً ،
وذلك نتيجة تنقيب سابق كان الدكتور هرزفيلد قد قام به في سنة ١٩١٢-١٩١٣
فثبت في نهاية تلك الاعمال ان كلا من القبور والفخار المصبوغ الذي وجد فيها
يعود الى أزمان الدور الحجري المتأخر أو العصر الحجري الحديث (العصر
النيوليثي) ، وربما كان يمثل نوعاً من ذلك الفخار الذي يعود الى الايرانيين
الذين عاشوا في عصور ما قبل التاريخ . وقد عرف العصر الذي تعود اليه مقبرة
سامراء هذه بـ « عصر حلف » (٥٠٠٠-٤٥٠٠ سنة ق . م) ، وهو العصر الذي
يلي العصر الحجري الحديث والذي يمتاز آثاره بزخرفة الأواني المفخورة وبرقي
اشكالها وتعدد الوانها . وعلاوة على هذا النوع من الأواني الفخارية فقد ترك
لنا أهل (حضارة حلف) دمي من الطين المشوي غريبة الصنع وكمية كبيرة من
الحروز المنقوشة وأول نوع من الختم المنبسطة . ويستدل من القطع المعدنية
الصغيرة القليلة انهم كانوا في بدء معرفتهم المعدن . وقد جاءت تسمية عصر حلف
من الموقع المسمى « تل خلف » (الاسم الشائع الآن « تل حلف » محرفاً)
الواقع في سوريا عند أعالي نهر الخابور « خابور الفرات على بعد حوالي ١٤٠
ميلاً من شمال غربي نينوى حيث اكتشف البارون فون اوبنهايم طائفة كبيرة
من الأواني القديمة المزخرفة تحت انقاض قصر يرتقى تاريخه الى العصر الحثي .
وتدل ظواهر الحال على ان هذه الأواني تعاصر فخار سامراء الآنف الذكر .

وقد عثرنا أثناء تدقيقاتنا لآثار سامراء على فخار يعود الى عصر ما قبل
التاريخ أيضاً، وهو من نفس الفخار الذي في بقعة شبة الحماوي ، وذلك في التل
المعروف بأسم « تل الصوان » الواقع على نهر دجلة جنوبي سامراء في جوار

(١) وردت في نشرة دائرة الآثار (تقرير عن التنقيبات في العراق خلال الفصول ١٩٢٩-)

١٩٣٢ ، ص ٤٤) « شبة الهوى » والصحيح « شبة الحماوي » ، أي الحد المرتفع

منارة القائم .^(١) وبعد الاتصال بالبروفسور هرزفلد واعلامه بذلك كتب اليينا مؤيداً ما توصلنا اليه من وجود هذا الفخار في المكان المذكور ، وأضاف الى تأييده هذا قائلاً بأن هذه الآثار هي من بقايا مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ وليس فيها ما يدل على بقايا أبنية تعود الى ذلك العصر .

يتضح مما تقدم أن المنطقة التي انشئت فيها مدينة «سرا من رأى» العباسية كانت مأهولة منذ أقدم الأزمنة وترجع حضارتها الى عصور سحيقة في التاريخ. لذلك فإن ماجاء في نشرة مديرية الآثار القديمة العامة عن حفريات سامراء (الجزء الاول ص ٤) من ان «اطلال سامراء تعود الى دور معين محدود لم يسبقه دور بناء أقدم منه» لا يصح قبوله بعد العثور على الآثار (القبترية) التي مر ذكرها .

٣ - سبب اختيار المعتصم موضع سامراء دون غيره

اما سبب اختيار المعتصم موضع سامراء دون غيره فيرجع الى عوامل عدة اهمها عاملان ، عامل الري وعامل المياه . واذا تتبعنا خطواته عندما خرج متحرياً عن موضع ملائم لعاصمته الجديدة نجد انه اختار عدة مواقع وقد انشأ البناء في بعضها ثم عاد فعدل عنه حتى انتهى الى موضع سامراء فاتخذ مقرأ لعرش خلافته وعاصمة امپراطوريته المترامية الاطراف . والذي نراه ان قضية المياه كانت العامل الرئيسي بالنسبة الى هذا التردد ، ولا شك ان الخبراء الذين كانوا برفقة المعتصم هم الذين أشاروا عليه بان يتخذ موقع سامراء مقرأ لعاصمته، لأن هذا الموقع يمتاز في الدرجة الأولى بميزاته الاستراتيجية لوقوعه في مكان تحيط به المياه من كل أطرافه، فتشكل هذه المياه سوراً دفاعياً يحيط بالمدينة من كل اطرافها. فنهر دجلة يلزمها من جهة الغرب فيسير في حداثها من اقصى حدودها الشمالية الى اقصى حدودها الجنوبية، وذلك يؤمن الاتصال بالمدينة نهرأوشحن البضائع التجارية والاموال والمؤون اليها عن طريق النهر سواء أ كان ذلك من شمال العراق أو من

(١) راجع رسم رقم ١٣ ولوحة رقم ٢

جنوبه . هذا وفي الوقت نفسه ان الاراضي التي تقع فيها مدينة سامراء تؤلف جرفاً يرتفع عن سوية مياه النهر عدة امتار مما يجعل المدينة في مأمن من خطر الغرق ، ولا يخفى أن خطر الغرق في موسم الفيضان كان مصدر قلق شديد في مدينة بغداد حيث كانت المدينة معرضة الى خطر الغرق من الجهتين الغربية والشرقية. (١) لذلك فإن وقوع منطقة سامراء في مكان محاذ الى النهر وفي الوقت نفسه بعيد عن خطر الفيضان كان من العوامل القوية التي ادت الى اختيار هذا المكان لانشاء العاصمة فيه .

هذا من جهة الغرب ، أما من الجهات الاخرى فإن مجرى النهروان (مجرى الرصاصي أو القاطول الكسروي) الذي يتفرع من نهر دجلة من شمال مدينة سامراء يجري بموازاة نهر دجلة متجهاً نحو نهر العظيم فيحيط بالمدينة من الجهتين الشمالية والشرقية ، كما ان مجرى نهر القائم الاسفل الذي يتفرع من نهر دجلة من جنوب مدينة سامراء ثم يلتقي بمجرى الرصاصي قبل وصوله الى العظيم بقليل يحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية. (٢)

ولما كان لهذين المجرىين ضفاف مرتفعة جداً وان المياه كانت تجري في حوضيهما من دون انقطاع فقد اصحح الموقع الذي تقع فيه سامراء محاطاً بالمياه والاسوار من كل اطرافه . لذلك كان يكفي ان يقام سور يمتد على عرض المدينة بين مجرى الرصاصي ونهر دجلة اذا ما اقتضى فصل أي قسم من مدينة « سر » من رأى » ، وهذا ما فعله المتوكل بعد أن أنشأ مدينة المتوكلية في اقصى الشمال اذ

(١) ان أول ذكر جاء لفيضان دجلة وخطره على مدينة بغداد كان في موسم فيضان سنة ٢١٩ هـ حينما كان المعتصم بريد القاطول وبريد البناء في سامراء قد صرفه حيثئذ عن قصد كثره زيادة دجلة فامتنع عن الحركة وانصرف الى بغداد الى السماوية حتى نزلت المياه الى مجاريها فعاد هو الى قضاء اعماله (راجع تاريخ الطبري ٣ - ١١٨٤)
 (٢) حول مجرى النهروان وتفرعاته ، راجع البحث عن تاريخ النهروان وتطوراته في الفصل الثاني .

أقام سوراً عند مدخل المدينة يمتد من ضفة نهر الرصاصي الجني الى ضفة نهر دجلة اليسرى ، وبذا تمكن من عزل المدينة تماماً وتحويطها بالاسوار وبجاري المياه من كل أطرافها .^(١) وأخيراً فإن المجال لتوسع المدينة على سطح هذه الجزيرة المحاطة بالمياه كان كبيراً جداً ، حيث ان مساحتها تبلغ من السعة بحيث يمكن التوسع فيها الى مقياس واسع جداً دون أن يضيق بها المكان ، فان فيها من المجال ما يساعد على ان تمتد الى مسافة حوالي الستين كيلو متراً في الطول بمحاذاة نهر دجلة وبجري الرصاصي ، كما أن فيها من المجال للتوسع عرضاً الى مسافة تتراوح بين الكيلو مترين والخمسة عشر كيلو متراً ، وقد اشغل فعلاً القسم الأكبر من هذه المساحة .

وكان للنهروان منذ القديم مميزات عسكرية مهمة الى فوائده الزراعية ، فقد كان في زمن الفرس حصناً منيعاً يحمي بلاد فارس من غزوات الرومان ، حتى أن الفرس احتموا به في هجومهم على الرومان المراجمين سنة ٣٦٣ م وذلك حين انتصر الفرس على الرومان على أثر مقتل الامبراطور جوليان في تلك المعارك ، وقد شهد النهروان وقائع كثيرة بالنظر لمناعته فاتخذ الخوارج مأوى يحمون به حين نازعوا علياً بن أبي طالب (ع) على الخلافة غير انهم هزموا شر هزيمة في المعركة الحاسمة التي وقعت سنة ٣٨ هـ والمعروفة بـ «واقعة النهروان» .

وتتضح لنا أهمية هذا الموقع من الناحية العسكرية الاستراتيجية حين نلاحظ ان الفرس اتخذوا موقع سامراء مركزاً عسكرياً ، حيث أنشأوا فيه الحصن المعروف بأسم « حصن سومير » (Sumere) ، وهو الحصن الذي جاء ذكره بمناسبة تراجع الجيوش الرومانية بعد مقتل جوليان سنة ٣٦٣ م .

(١) راجع البحث التالي الخاص بمدينة المتوكلية في هذا الفصل .

٤- المرحلة الاولى لإنشاء مدينة سامراء - عمر المعتصم والوائق

ويمكن القول بأن مدينة سامراء قد اجتازت مرحلتين في تاريخ إنشائها ، المرحلة الأولى تشتمل على الاعمال العمرانية التي قام بها الخليفةتان المعتصم والوائق ، والمرحلة الثانية تشمل التوسعات التي أضافها المتوكل في زمن خلافته . أما الأعمال التي انجزت في زمن المعتصم فهي تأسيس المدينة وتنظيمها ، فقسم المعتصم المدينة الى أحياء وقطائع أسكن في كل حي صنفاً من جيشه وعنى بعزل الجيش ودواوين الحكومة عن الأهلين . ويدل تخطيط المدينة على براعة فائقة في هندسة تخطيط المدن كما ان فيه كثيراً من الابتكار كما يتجلى ذلك في تنظيم الشوارع والمسالك وتنسيق الأبنية العامة والاسواق والمتاجر والمساجد والارصفة وغيرها . وقد بلغ طول البناء الذي أقيم في زمن المعتصم زهاء أربعة فراسخ (١٩ كيلومتراً) ، فرسخان من شمال مكان مدينة سامراء الحالية وفرسخان (١٠ كيلومترات) من جنوبه . وقد مدت عدة شوارع عامة متوازية على طول هذه المسافة كما مدت دروب عدة عن يمين ويسار هذه الشوارع للاتصال بين شارع وآخر ، وأقيمت البنايات والدور والقطائع والاسواق والعمارات بين الشوارع العامة . وعزل المعتصم قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعاً وجعلهم معزلين عنهم ولا يجاورهم إلا الفراغنة ، واقطع اشناس واصحابه في آخر البناء من الشمال في الموضع المعروف بـ «السكرخ» أو «كرخ سامراء» .^(١) وضم عدة

(١) لا تزال آثار هذه القطيعة وبقايا ابنيتها يمكن مشاهدتها على بعد حوالي عشرة كيلومترات من شمال مدينة سامراء الحالية ، حيث لا يزال سور فخم من اللبن يعمل نحو خمسة امتار ويعرف بـ « سور اشناس » قائماً في ذلك المكان وهو يضم آكاماً يستدل من تناسق مظهرها انها بقايا قصر كان قد انشئ ضمن السور . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان الموضع « كان يقال له كرخ فيروز منسوب الى فيروز بن بلاش بن قباد الملك وهو اقدم من سامراء فلما بنيت سامراء اتصل بها وهو الى الآن باق عامر وخربت سامراء كان الاتراك الشيلية ينزلونه في ايام المعتصم وبه قصر اشناس التركي مولى المعتصم وهو موضع مدينة قديمة على ارتفاع من الأرض ، وزعم بعضهم انه كرخ =

من قواد الاثراك والرجال ومنهم من الاختلاط بالناس وقد أقطع قوماً آخرين فوق السكرخ وسماه « الدور » ، كما أقطع الافشين الاسروشني في آخر البناء جنوباً وسمى الموضع « المطيرة » ، فأقطع أصحاب الاسروشنية وغيرهم من المضمومين اليه حول داره وأمره أن يبني فيما هناك سوقة فيها حوانيت للتجار فيما لا بد منه ومساجد وحمامات^(١). وبعد ان قتل الافشين اقطع الخليفة هارون الواثق داره التي في المطيرة الى وصيف وانتقل وصيف عن داره القديمة اليها .

وكان يعرف مكان الدور الذي في الحد الشمالي من البناء بـ « دور العرابي » أو « دور عربايا » لتمييزه عن مكان آخر يقع في نفس المنطقة ومعروف باسم الدور أيضاً ، والأخير يقع على بعد عشرين كيلو متراً تقريباً من دور العرابي شمالاً وفيه على ما يزعم أهل سامراء قبر الامام محمد الدوري من أولاد موسى بن جعفر عليهما السلام ، وقد سماه ابن سراييون دور الحارث كما سماه ياقوت دور تسكرت لتمييزه عن دور العرابي . وما قاله ياقوت عن دور تسكرت انه « ينسب اليها محمد بن فروخان بن روزبه ابو النطيب الدوري حدث عن أبي خليفة وغيره أحاديث منكرة ، روى عن الجنيدى حكايات في التصوف . » وقد اطلق ياقوت على مكان دور تسكرت أيضاً اسم « الدور الاعلى » وذكر انه معروف بالخرابة وهو أسفل قرية هاطرى الواقعة جنوب تسكرت ، غير أن ابن حوقل اعتبر أن هناك مكانين قريبين من بعضها أولهما يسمى دور العرابي والثاني دور الحرب . وذكر البلاذري « ان أمير المؤمنين المعتصم بالله انزل اشناس مولاة

== باجدا ومنه الشيخ معروف بن الفيرزان السكرخي الزاهد » .

وبلى هذا السور سور يمانله يقع في الجهة الشمالية الغربية منه يعرف بأسم «سور الشيخ ولي» وفي داخل هذا السور بقايا بعض البناء ، وتسمى البقعة التي يقوم فيها السور بأسم «الزسكرور» ، وكلمة زسكرور فارسية معناها «مقام النساء» ، فإذا جاز لنا ان نبني على هذا المعنى رأياً حول هذا المكان امكن القول انه كان يشتمل على الابنية المخصصة لعوائل القواد والجيش .

(١) كتاب البلدان لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٢٦

فُيَمِّن ضم إليه من القواد كرخ فيروز ، وانزل بعض قواده الدور المعروفة بالعرباني . وقد اشار المقدسي الى مكان آخر في سامراء باسم الدور أيضاً سمّاه «الدور الجامعين» من مدن سامراء ، ولعل هذا المكان هو «دور العرباني» الذي في كرخ سامراء . وقد أشار ياقوت الى مكان آخر باسم «دور بني اوقر» وهو من مدن دجيل يقع على بعد خمسة فراسخ من بغداد وكان الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بنى فيه جامعاً ومنارة . ويظهر من كتابات لي سترانج انه كان يظن بان دور العرباني ودور تسكريت ودور الحارث كلها تشير الى مكان واحد وهو مدينة دور الشمالية التي زعم ان قبر الامام محمد الدوري فيها ، على حين ان دور العرباني تقع خلف قطيعة اشناس وقد اطلق عليها اسم الدور في عهد المتوكل أيضاً .

ويظهر ان المنطقة التي تقع فيها الدور (دور العرباني) كانت منذ القديم مأهولة حيث ذكر ياقوت بان هناك ديراً يعرف باسم دير الطواويس وجد في هذه المنطقة في زمن الفرس ، وقد كان قبل ذلك منظره لدى القرنين أو للاكاسرة ، وفيما يلي نص ما كتبه ياقوت في هذا الصدد قال : «دير الطواويس بسامراء متصل بكرخ جدان يشرف عند حدود آخر السكرخ على بطن يعرف بالبني فيه مزدرع يتصل بالدور وبنائها وهي الدور المعروفة بدور عربايا وهو قديم كان منظره لدى القرنين ويقال لبعض الاكاسرة فأخذته النصارى ديراً في أيام الفرس» .

أما المطيرة التي في الحد الجنوبي من البناء فلا يزال موضعها غير معين بصورة مضبوطة نظراً لوقوع دار الافشين بين الخرائب السكثيرة التي في القسم الجنوبي لسر من رأى . إلا ان اليعقوبي ذكر بأن دار الافشين التي بالمطيرة تقع على بعد فرسخين (حوالي عشرة كيلو مترات) من آخر حدود بناء سر من رأى في الجنوب . ثم أضاف الى ذلك قوله ان المتوكل انزل في عهد خلافته ابنه المعتز

خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له « بلسكوارا »، أما المطيرة فأنزل فيها ابنه ابراهيم المؤيد . ولما كان قصر بلسكوارا قد عيّن موضعه في المسكان المعروف بـ « المنقور » وهو القصر الذي في آخر حدود الأبنية من الجنوب^(١)، فعلمنا أن تتحرى عن مكان المطيرة في شمال القصر مباشرة . ومن المحتمل أن يكون مكان المطيرة في الموضع الحالي المعروف باسم « سور الجبيرية » بدليل أنه لا يوجد بناء أصغر منه في هذه المنطقة (راجع لوحة رقم ٢) . وقد أيد الشاشيتي في كتاب « الديارات » وقوع المطيرة على مسافة فرسخين من جنوب سرّ من رأى حيث قال : « وبين القادسية وسرّ من رأى أربعة فراسخ ، والمطيرة بينهما ، وهذه النواحي كلها متزهات وكروم وبساتين . »

وقد ورد في المراصدان « المطيرة قرية من نواحي سامراء كانت من متزهاتها بنيت في آخر خلافة المأمون بناها مطير بن قزاة الشيباني فنسبت إليه وهي مذكورة في اشعار الخلفاء » ، كما جاء في كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » للقزويني ان « المطيرة من قرى سامراء اشبه ارض الله بالجنان من لطافة الهواء وعذوبة الماء وطيب التربة وكثرة الرياحين وهي من متزهات بغداد يأتيها أهل الخلاعة ، وصفها بعض الشعراء فقال :

سقياً ورعياً للمطيرة موضعاً
أنوارها الخيري والمنشور »

وجاء ذكر المطيرة وقصر الافشين الذي فيها بمناسبة ذكر حادثة أسر بابك ووصوله الى سرّ من رأى مع الافشين سنة ٢٢٣ هـ . فذكر ابن الأثير ان الافشين انزل بابك عنده في قصره بالمطيرة وقد أمر المعتصم ان يشهر بابك فيركب على القيل وقد اصطف الناس من باب العامة « دار الخليفة » الى المطيرة^(٢) .

وقد ذكر ياقوت ان هناك ديراً يعرف باسم « دير عبدون » يقع الى جنوب

(١) راجع البحث التالي الخاص بقصر بركوارا « المنقور » في هذا الفصل .

(٢) ابن الأثير ، الجزء السادس ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ .

المطيرة فقال عنه انه « بسرّ من رأى الى جنب المطيرة وسمي بدير عبدون لأن عبدون أبا صاعد بن مخلد كان كثير الامام به والمقام فيه فنسب اليه وكان عبدون نصرانياً واسلم أخوه صاعد على يد الموفق واستوزره وفي هذا الدير يقول ابن المعتز الشاعر :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر
ودير عبدون هطّال من المطر «

أ - شارع الخليج والسريجة

وأول الشوارع العامة التي مدّت على طول المدينة غرباً الشارع الذي على دجلة وكان يعرف بـ « شارع الخليج » ، « وهناك الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد من البصرة والابلة والأهواز وما اتصل بذلك ومن الموصل وبمربايا وديار ربيعة وما اتصل بذلك . وفي هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم أو أكثرهم والموضع المعروف بالازلاخ الذي عمر بالرجال المغاربة في أول ما اختطت سرّ من رأى «^(١) . والشارع الثاني الذي يلي شارع الخليج شرقاً هو الشارع الرئيسي للمدينة فكان يعرف في أول الامر بأسم شارع السريجة ثم سمي « الشارع الاعظم » . وكان يمتد هذا الشارع في عهد المعتصم مسافة ١٩ كيلومتراً تقريباً من آخر البناء في المطيرة جنوباً الى آخر البناء في قطيعة اشناس ودور عربايا شمالاً ، وعلى طرف هذا الشارع انشئت العمارات من قطائع وأسواق ودواوين وقصور ومساجد ، كما انه فتحت عدة دروب من جهتيه بعضها ينفذ الى شارع الخليج أو الى دجلة من جهة الغرب والبعض الآخر ينفذ الى الشارع الموازي اليه من جهة الشرق وهو الشارع المسمى « شارع أبي أحمد » . وهكذا كانت العمارات والقطائع تمتد في الطول بين شارع السريجة الاعظم وبين شارع الخليج من جهة الغرب وبين شارع السريجة وشارع أبي أحمد من جهة الشرق .

(١) كتاب البلدان للياقوتى (طبعة النجف) ص ٣٠

١ - الواديان - وادي ابراهيم بن رباح ووادي اسحق بن ابراهيم

وكان يخرق شوارع المدينة التي كانت تمتد على طول ضفة دجلة اليسرى واديان، احدهما في الشمال ويسمى «وادي ابراهيم بن الرياح» والآخر في الجنوب ويسمى «وادي اسحق بن ابراهيم». وكان هذان الواديان يبدآن في الاراضي المتوجهة التي في شرق المدينة فيسيران غرباً حتى ينتهيا في دجلة ، وبذلك كانا يأخذان بالمياه التي تتجمع في الأراضي المذكورة فيصبانها في دجلة . اما موقعا هذين الوادين بالنسبة الى مدينة سامراء الحالية ، فقد دأمتا تتبعاتنا على ان الوادي الشمالي (وادي ابراهيم بن الرياح) يقع على بعد زهاء ستمائة متر من سور اشناس جنوباً، فيبدأ من شمال تل العليق بالقرب من القاطول الأعلى ثم يسير باتجاه الشمال الغربي حتى يصب في دجلة جنوب النهر القديم المعروف بـ «نهر سرير» في نقطة تقع على مسافة حوالي تسعة كيلو مترات من مدينة سامراء الحالية شمالاً . واما الوادي الجنوبي (وادي اسحق بن ابراهيم) فيبدأ في الأراضي المتوجهة التي في شرقي سامراء الحالية ثم يسير غرباً حتى ينتهي في دجلة في نقطة تقع على مسافة ١٥٠ كيلو متراً من مدينة سامراء الحالية جنوباً .

ولا يزال هذان الواديان يكوّنان مجعاً لمياه السيول في المنطقة التي تمتد بين سور اشناس شمالاً والمطيرة جنوباً ، ويعرف الوادي الجنوبي في الوقت الحاضر باسم «وادي الموح» في حين ان الوادي الشمالي لا يعرف باسم خاص به .

ويلاحظ ان هرزفلد رسم هذين الوادين في خارطته التقريبية التي رسمها عن سامراء استناداً الى وصف اليعقوبي للمدينة في غير المسكانين المذكورين ، فرسم وادي ابراهيم بن رياح في شمال سور اشناس في حين انه رسم وادي اسحق ابن ابراهيم في شمال سامراء الحالية ، وهذا بعيد عن الواقع حيث لا ينطبق لا على وصف اليعقوبي ولا على الوضع الطبيعي الحالي الذي يرجح انه احتفظ بشكله الأصلي الى حد بعيد (راجع لوحة رقم ٢ ولوحة رقم ٧) .

٢ — الأبنية والقطائع على شارع السريجة

وقد وصف اليعقوبي في « كتاب البلدان » شارع السريجة كما وصف الابنية والقطائع التي انشئت عليه ، فقال ان شارع السريجة كان يمتد من المطيرة جنوباً الى وادي اسحاق بن ابراهيم شمالاً ، وبعد ان يعبر الوادي يستمر في سيره نحو الشمال وينتهي بالقرب من الوادي الشمالي (وادي رياح بن ابراهيم). أما تسمية « وادي اسحاق بن ابراهيم » فسببها ان اسحاق بن ابراهيم انتقل في عهد المتوكل الى شارع السريجة في مكان هذا الوادي « فبنى على رأسه واتسع في البناء » فسمي الوادي باسمه . وكانت قطيعة اسحاق بن يحيى بن معاذ على هذا الشارع مما يلي بناء اسحاق بن ابراهيم شمالاً ، ثم تتصل قطائع الناس يمناً ويسرة في هذا الشارع الأعظم حتى تمر الى ديوان الخراج الاعظم الذي يمتد شرقاً الى منتصف « شارع أبي حمد » الذي في جهة الشرق .

وكان في شارع السريجة (الشارع الاعظم) « قطائع قوادخراسان ، منها قطيعة هاشم بن باينجور ، وقطيعة عجيف بن عنبسة ، وقطيعة الحسن بن علي المأموني ، وقطيعة هارون بن نعيم ، وقطيعة حزام بن غالب ، وظهر قطيعة حزام الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصة والعامة يتولاها حزام ويعقوب أخوه ثم مواضع الرطابين وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق ثم مجلس الشرطة والحبس الكبير ومنازل الناس والاسواق في هذا الشارع يمناً ويسرى مثل سائر البياعات والصناعات ويتصل ذلك الى « خشبة بابك »^(١)

(١) ذكر اليعقوبي في مكان آخر ان « خشبة بابك » هذه كانت تقع في الجبل (جبل جعفر الحياط) فوق قطيعة الحسن ابن سهل التي كانت في آخر الاسواق غرباً وسط سر من رأى ، فقال ما نصه : « واستقطم المعتصم الحسن بن سهل بين آخر الاسواق وكان آخرها الجبل الذي صارت فيه خشبة بابك ، وبين المطيرة موضع قطيعة أفشين ، وليس في ذلك الموضع يومئذ شيء من العمارات ثم احدثت العمارة به حتى صارت =

ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل ، ثم الجامع القديم ^(١) الذي لم يزل يجمع فيه الى ايام المتوكل فضاك على الناس فهدمه وبنى مسجداً جامعاً واسعاً في طرق الحير، المسجد الجامع والاسواق من أحد الجانبين ومن الجانب الآخر القطايح والمنازل واسواق اصحاب البياعات الدنية مثل أصحاب الفقاع والهرايس والشراب وقطيفة مبارك المغربي وسويقة مبارك وجبل جعفر الخياط وفيه كانت قطيفة جعفر ثم قطيفة أبي الوزير ^(٢) ثم قطيفة العباس بن علي بن مهدي ثم قطيفة عبد الوهاب بن علي بن المهدي ، ويمتد الشارع وفيه قطايح عامة الى دار هارون بن المعتصم وهو الواثق عند دار العامة وهي الدار التي نزلها يحيى بن اكرم في ايام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة ثم باب العامة ودار الخليفة وهي دار العامة التي يجلس فيها يوم الاثنين ثم الخزانة الخاصة وخزانة العامة ثم قطيفة مسرور سماعة الخادم ثم قطيفة قرناس الخادم وهو خراساني ثم قطيفة ثابت الخادم ثم قطيفة ابي الجعفاء وسائر الخدم الكبار .

== قطيفة الحسن بن سهل وسط سر من رأي .

اما « خشبة بابك » فهي المكان الذي صلبت فيه جثة بابك بعد ان وجه رأسه الى خراسان . ويظهر ان مكان الخشبة كانت يعرف بـ « العقبة » او « كنيسة بابك » ، فذكر الطبري ان « بدن بابك صلب بعد ان وجه رأسه الى خراسان بسامراء عند العقبة فوضه خشبته مشهور » (١٢٣١:٣) ، وقال المسعودي في « مروج الذهب » ان جثة بابك صلبت على خشبة طويلة في اقصي سامراء وموضعه مشهور الى هذه الغاية يعرف بـ « كنيسة بابك » .

(١) يحتمل ان يكون هذا الجامع نفس المسجد الذي ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٦ هـ ومما « مسجد لجين » فقال ان الموالي والفلان تجمعوا فمسكروا بسامراء ، في طرف وادي اسحاق بن ابراهيم عند « مسجد لجين » ، فاذا صح ذلك يجوز ان نعتبر مكان الجامع القديم بالقرب من المكان الذي يعرف فيه « الشارع الاعظم » وادي اسحق بن ابراهيم (تاريخ الطبري ٣ : ١٨٠٧) .

(٢) يحتمل ان القصر المعروف بالوزير والذي ذكر اليعقوبي بان المعتصم اجاز الى ابي الوزير بناءه كان يقم في قطيفة ابي الوزير المذكورة .

ب - شوارع أبي اصمحر والحبر الاول وبرغامس التركي

وكان على الشارع الثالث وهو شارع أبي احمد بن الرشيد الذي تقدم ذكره قطائع قواد خراسان والعرب وأهل قم واصبهان وقزوین وآذربيجان . فكان في « أول هذا الشارع من المشرق دار بختيشوع المتطبيب التي بناها في أيام المتوكل ثم قطائع قواد خراسان واسبا بهم من العرب ومن أهل قم واصبهان وقزوین والجبل وآذربيجان يمتدة في الجنوب مما يلي القبلة فهو نافذ الى السريجة الاعظم وما كان مما يلي الشمال ظهر القبلة فهو نافذ الى شارع أبي احمد ، ديوان الخراج الاعظم وقطیعة عمر^(١) وقطیعة السكتاب وسائر الناس وقطیعة أبي احمد بن الرشيد في وسط الشارع ، وفي آخره مما يلي الوادي الغربي الذي يقال له وادي ابراهيم بن رباح قطیعة ابن أبي دواد وقطیعة الفضل بن مروان وقطیعة محمد بن عبد الملك الزيات وقطیعة ابراهيم بن رباح في الشارع الاعظم ، ثم تتصل هذه الاقطاعات في هذا الشارع وفي الدروب الى يمينته ويسرته الى قطیعة بغا الصغير ثم قطیعة بغا الكبير ثم قطیعة سيبا الدمشقي ثم قطیعة برغامس ثم قطیعة وصيف القديمة ثم قطیعة ايتاخ ويتصل ذلك الى باب البستان وقصور الخليفة . »

وكان عدا الشوارع الثلاثة التي مر ذكرها ، وهي شوارع الخليج والسريجة وأبي احمد ، شارعان آخران يمتدان بموازية شارع أبي احمد من جهة الشرق ، اولهما ، أي الشارع الرابع ، يسمى « شارع الحبر الاول » وكان يمتد من الجنوب الى الوادي المتصل بوادي اسحاق بن ابراهيم ومن ثم الى وادي ابراهيم ابن رباح ، وفيه قطائع الجند والشاكرية واخلاط الناس وقد صارت فيه دار احمد ابن الخصب في أيام المتوكل . اما الشارع الذي يلي شرقاً ، أي الشارع الخامس ، فيسمى « شارع برغامس التركي » ، وكان يبدأ من الجنوب في المطيرة عند قطائع الأفشين

(١) يحتمل ان القصر المعروف بالعمري والذي ذكر اليعقوبي بان المتعمم اجاز الى عمر بن فرج بن عامر كان يقع في قطیعة عمر المذكورة .

التي صارت لوصيف وأصحاب وصيف ثم يمتد بموازاة « شارع برغامش التركي » حتى ينتهي بالقرب من الوادي الذي يتصل بوادي ابراهيم بن رباح شمالاً . وكانت في هذا الشارع « قطاعم الاتراك والفراغنة ، فدروب الاتراك منفردة ودروب الفراغنة منفردة والاتراك في الدروب التي في القبلة والفراغنة بازائهم بالدروب التي في ظهر القبلة كل درب بازاء درب لا يخالطهم أحد من الناس وآخر منازل الاتراك وقطائعهم قطاعع الخزر مما يلي المشرق » (راجع لوحة رقم ٧) .

ج - دار الخليفة أو دار العامر

ومن أهم العمارات التي كانت على شارع السريجة والتي لا تزال آثارها شاخصة دار الخليفة أو دار العامة التي كان يجلس الخليفة فيها أيام الاتنين والحميس . وتقع هذه الدار في شمال مدينة سامراء الحالية بقليل ، فتمتد في الأراضي المرتفعة على طول ضفة نهر دجلة اليسرى الى مسافة سبعمائة متر تقريباً . اما المسافة التي بين واجهة الدار ومنتهى بناياتها الخلفية في جهة الشرق فلا تقل عن ثمانمائة متر .

وامام الدار في جهة نهر دجلة سهل واسع يمتد غرباً مسافة حوالي ستمائة متر حتى يتصل بحافة النهر . والمعتقد ان السهل المذكور كان مقسماً الى بساتين وحدائق منسقة تمتد بين واجهة الدار ونهر دجلة .

وتقع بناية الدار على ارتفاع ١٧ متراً تقريباً من مستوى السهل ويلاحظ المتفرج هناك معالم الدرج العريض الذي كان يصل أرضية الدار بالسهل المذكور . وبناء على ما تقدم يمكن تقدير مساحة بنايات الدار ومشمعاتها بما لا يقل عن نصف مليون متر مربع (نحو مائتي مشاركة) ، وذلك عدا مساحة الساحة الامامية التي تمتد في السهل الى شاطئ دجلة وهي حوالي اربعمائة ألف متر مربع (زهاء ١٦٠ مشاركة) . ويستفاد مما كتبه اليعقوبي ان الدار المذكورة بنيت على ارض الدير الذي اشتراه

المعتصم عندما اعتزم البناء في سامراء (١).

وقد لاحظ اطلال هذه الدار المهندس الفرنسي فيوله (Viollet) سنة ١٩٠٩ فرسم صورة خيالية للدار حسب تصور حالتها الاصلية ، ثم اشتغل هرزفلد الالماني الجنسية قبل الحرب العالمية الاولى في اظهار بقايا الدار فقام بتنقيبات وحفريات منتظمة كشف خلالها معظم اقسامها ، واكتشف قاعة العرش وغرف التشريفات والحمام ودوائر الحرم ... كما عثر على آثار كبيرة وصور بديعة ومواد خزفية ثمينة . وقد وضع هرزفلد تخطيطاً للدار حسب ما تصوّره على ضوء نتائج حفرياته .

وأهم ما يستلفت النظر في بقايا هذه الدار الأوابين القائمة في المدخل المطل على السهل الغربي الذي يتصل بشاطي . دجلة . اما بقية الاقسام فقد اصبحت آكاماً حيث ان ما اكتشفه هرزفلد من مشتملات الدار اقتلع آجره من قبل الأهلين لاستعماله في عماراتهم المختلفة ، ولذلك لم يبق من الغرف والقاعات التي اكتشفها هرزفلد غير الانقاض السكسية . وكانت هذه الأوابين بمثابة مدخل الدار فكانت تسمى «باب العامة» .

وتتألف باب العامة هذه من ثلاثة أوابين رأسية العقد أكبرها الأيوان الوسطى وهو مستطيل الشكل طوله ١٧ر٥ وعرضه ٨ امتار جداراه الجانبيان يحملان عقادة رأسية ترتفع قمتها عن الأرض ٩١٢ متراً . واجهته الأمامية التي تطل على السهل مفتوحة بكاملها وأما ضلعه الخلفية فسدود بجدار شاقولي فيه باب كبير يبلغ عرضه ٣ر٨ امتار وارتفاعه سبعة امتار . وقد دأت التحريات على ان هذا الباب كان يفضي في الأصل الى سلسلة قاعات كبيرة توصل الى غرف الخليفة وقاعة العرش . على ان جدران هذه الغرف والقاعات قد اندرست تماماً . وأما الأيوانان الجانبيان فهما أقل عرضاً وطولاً من الأيوان الوسطى ، فان عرض

(١) راجع البحث الذي تقدم الخاص بشراء أرض الدبر المذكور في صفحة ٥٠

الواجهة في كل منها عبارة عن أربعة أمتار ونصف ، وأما الطول فلا يتجاوز أربعة أمتار . وفي الجدار الخلفي باب مرتفع تعلوه نافذة ويهضي هذا الباب الى قاعة خلفية كبيرة رأسية العقدة مثل عقد الايوان الوسطى . وفي جانب الايوان الشمالي باب آخر يفضي الى غرفة مربعة متصلة بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقية عند رفع الانقاض سنة ١٩٣٧ ، كما يوجد بجانب الايوان الجنوبي سلسلة غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض في السنة المذكورة (راجع تصوير رقم ١ - دار الخليفة) .

وكانت الاواوين المذكورة مزدانة بزخارف جصية شاهد قسماً منها (فيوله) في محلها ، وعثر هرزفند على قسم منها بين الانقاض خلال تنقيباته ، كما عثرت مديرية الآثار القديمة على البعض منها عندما رفعت الانقاض (١) .

وقد شهد باب العامة هذا أحداثاً تاريخية خطيرة خلال النصف قرن من حكم الخلفاء العباسيين في سامراء ، فكان مظهراً من مظاهر الحكم والسلطان . فمن جملة الحوادث التي وقعت عنده صلب الافشين أمامه في سنة ٢٢٦ هـ حيث بقي معلقاً هناك ليراه الناس ثم طرح مع خشبته فاحرق (٢) ، كذلك نصب رأس أبي الحسين يحيى بن عمر أمامه بعد ان لقي حتفه في سنة ٢٥٠ هـ (٣) . وإمام الباب نفسه كان ضرب كاتب لنجور بالسيوط فمات (٤) .

ويوجد في الجبهة الشرقية الخلفية من القصر في اتجاه محور الايوان الكبير سرداب يسميه الناس « هاوية السباع » ، ويتألف هذا السرداب من حفرة مربعة منقورة في الصخر وتتوسطها بركة كبيرة مستديرة وقد تقرت في كل

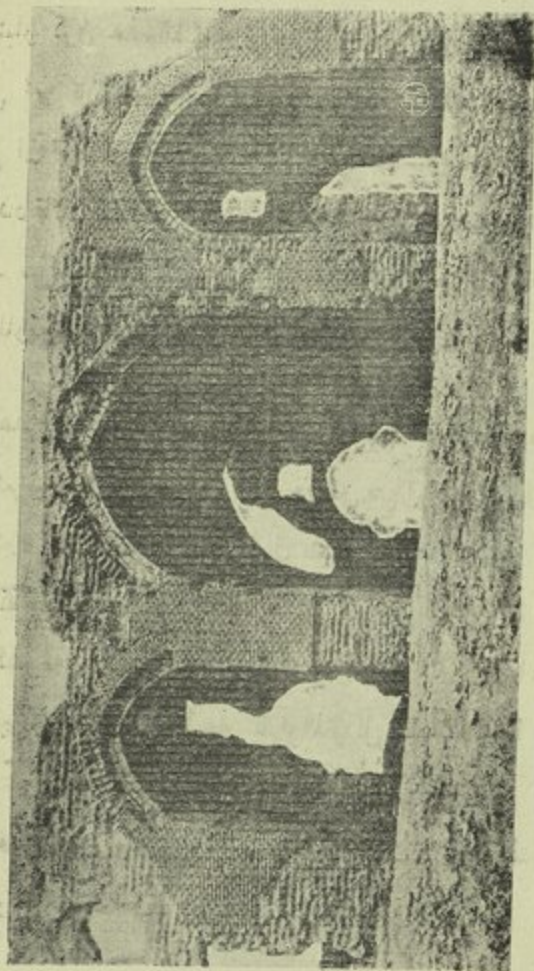
(١) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ، ص ٥٠ - ٥٥ .

(٢) الطبري (٣ : ١٣١٧)

(٣) الطبري (٣ : ١٥٢٢)

(٤) الطبري (٣ : ١٨٧٤)

كيفية ركنها لولا ان هذا الموضع هو الذي كان يرمون فيه الكلاب والقطا في الكوفة
 كما يروي عنه جليل القدر والدين العظيم الامام جعفر الصادق عليه السلام في قوله
 اذا ابتعدت عن الكوفة فابتعدت عن النار فابتعدت عن النار فابتعدت عن النار



تصوير رقم ١ - دار الخليفة (جبهة الشط)

دار الخليفة في بغداد هي دار الخليفة جعفر الصادق عليه السلام التي بناها له الخليفة
 المنصور في سنة ١٤٥ هـ في جبهة الشط في بغداد وهي من الآثار العريقة في
 بغداد وهي من الآثار العريقة في بغداد وهي من الآثار العريقة في بغداد

دار الخليفة في بغداد هي دار الخليفة جعفر الصادق عليه السلام التي بناها له الخليفة

ضلع من اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة أو اربع نقشت على جدرانها نقوش جصية جميلة . ومن المرجح ان سبب تسمية هذه البركة بـ « هاوية السباع » هو انه كان عدد من السباع بالقرب من الهاوية فسميت « هاوية السباع » ، هذا اذا صح اعتبار كون هذه التسمية ترجع الى العهد الذي انشئت فيه الهاوية . وبما يدل على انه كان بعض السباع في دار العامة ما ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٥ من ان المهتدي أمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان . فكتب في هذا الصدد قائلاً ما نصه : « وفي سنة ٢٥٥ أمر المهتدي باخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء وقيهم منها الى بغداد ... وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد السكلاب وابطال الملاهي الخ ... »

ويشاهد في القسم الشمالي من القصر في الجهة الشمالية الغربية للسرداب والجهة الشمالية الشرقية للاواوين حفرة اكبر واعمق من الحفرة الاولى محاطة ببناية مربعة الشكل كثيرة التقسيمات ، لا يقل طول ضلعها عن ١٨٠ متراً ، وفي وسط هذه الحفرة بركة يبلغ قطرها نحو ٨٠ متراً . وعلى الارجح ان الحفرة الاولى كانت مسقفة والثانية مكشوفة ، وذلك لتستعمل الاولى في النهار والثانية في الليل وهناك ما يدل على ان هاتين البركتين انشئتتا على عهد المتوكل نظراً لما لدينا من دلائل على ان القناة التي تحوّل البركتين المذكورتين بالماء ، وهي القناة التي كانت تبدأ من نهر دجلة من فوق الدور وتنتهي في سامراء ، انشئت في عهد المتوكل^(١) (راجع الرسمين ٣ و ١٣ ولوحة رقم ٢) .

ويستدل من المدونات التاريخية على ان الخزائن الخاصة والعامة كانت في دار العامة ، فذكر اليعقوبي أن الخزائن المذكورة كانت في شارع السريجة مما يلي دار العامة شمالاً . وقد أيد الطبري وجود الخزائن في دار العامة وقد سماها

(١) مول البركتين المذكورتين راجع البعث التالي الخاص بهما في الفصل الخامس .

خارطة دار العامة (دار الخليفة)

[حسب تخطيط هرنفيلد]

القياس ١:٤٠٠٠

[رعي الامراء في عهد الخليفة العباسي - لاكثر الامم]

ساحة الألعاب

البنية التي كانت تُشرف على ساحة الألعاب معلم الصوماليين
من جهة الغرب وعلبة الساحة من جهة الشرق.
راجع ص ٧١ و٧٢ من هذا الكتاب

مقاومة السباح

البركة
المسماة بالبركة

دار العامة

درج لفضي
المنزل

صهبة نهر دجل

بمنز
شمال



« بيت المال » فيما ذكره عن سطو اللصوص عليها ، فقال في ذكر حوادث سنة ٢٣١ هـ مانصه : « وفي هذه السنة تقب قوم من اللصوص بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر وأخذوا اثنين وأربعين ألفاً من الدراهم وشيئاً من الدنانير يسيراً فآخذوا بعد وتتبع أخذهم يزيد الحلواني صاحب الشرطة خليفة إيتاخ^(١) . وقد عين هرزفند مكان الخزانة العامة في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة الكبيرة حيث تقع هناك آثار بناية كثيرة التقسيمات .

د - حلبة السباق وساحة اللعب

وفي منتهى قصر الخليفة من جهته الشرقية خلف المرداب حلبة سباق تتكوّن من حلقة مستطيلة تمتد طولاً الى جهة الشرق ، فيبدأ داخلها ضيقاً من عند القصر ثم يتوسع تدريجياً على طول الحلقة حتى يبلغ أقصى سعته في الرأس الثاني شرقاً . وكانت هذه الحلبة تمتد الى مسافة خمسة كيلومترات ونصف فتكوّن منحنيًا منتظماً مسدوداً يبلغ طول محيطه حوالي احد عشر كيلومترا ونصف كيلو متر . وتوجد في الجهة الشرقية من قصر الخليفة خلف هاوية السباع ساحة مسوّرة مستطيلة الشكل فتمتد من الشمال الى الجنوب بين هاوية السباع وبين الرأس الضيق حلقة الحلبة بطول ٥٣٠ متراً ، اما عرضها فيبلغ حوالي ٦٥ متراً . وتوجد آثار بناية مرتفعة في منتصف القسم الخلفي من سور هذه الساحة ، أي في الضلع الشرقية التي تمتد في الطول وتتصل برأس الحلبة ، ويظهر ان هذه البناية كانت معدة للفرج منها على الالعاب والمسابقات ، لأنها مطلّة على الساحة من جهة وعلى حلبة السباق التي تمتد خلف القصر من جهة اخرى (راجع رسم رقم ٣) .

هـ - القصر الهاروني والجسر النزي على دجلة

ويقع غربي دار الخليفة الى الجنوب قليلاً آثار قصر ضخم آخر على شاطئ

(١) تاريخ الطبري (٣ : ١٣٥٠)

دجلة في الموقع المعروف بالسكوير يظن انها اطلال القصر الذي كان يعرف بـ «الهاروني»، وهو القصر الذي قيل ان هارون الواثق بن المعتصم بناء في زمن خلافته «فجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية» وانتقل اليه . ولا تزال بقايا هاتين الدكنتين الضخمتين ظاهرة يمكن مشاهدتها على شاطئ دجلة الشرقي الحالي في مكان السكوير المذكور . وقد اشتهر آجر هذا القصر في السكبر والضمخامة حتى صار يضرب به المثل في سامراء فيقال آجر الكوير .

وقد أشار ياقوت الى قصر الهاروني هذا في معجمه قال : « ان قصر الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل وبازائه بالجانب الغربي المعشوق » . وقريب من هذا ما ذكره ابن عبد الحق في المراصد قال : « الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله على شاطئ دجلة في شرقها وبازائه في الجانب الغربي المعشوق (١) .

وبمناسبة ذكر حوادث سنة ٢٢٩ هـ كتب الطبري في صفة الهاروني مائمه : « ذكر عن ابن عبد العزيز الانصاري انه قال كنا ليلة في هذه السنة عند الواثق فقال لست اشتبه الليلة النبيذ ولكن هلموا نتحدث الليلة فجلس في رواقه الاوسط في الهاروني في البناء الأول الذي كان ابراهيم بن رباح بناه وقد كان في أحد شقي ذلك الرواق قبة مرتفعة في السماء بيضاء كانها بيضة الاقدر ذراع فيما ترى العين حولها في وسطها ساج منقوش مغشي بالازورد والذهب وكانت تسمى قبة المنطقة وكان ذلك الرواق يسمى رواق قبة المنطقة . » (٢) و اضاف الطبري قوله بان الواثق لما توفي سنة ٢٣٢ هـ دفن في قصر الهاروني هذا (٣) .

(١) راجع البحث التالي الخاص بقصر المعشوق في هذا الفصل .

(٢) الطبري ٣ : ١٣٣١ ، ٣ : ١٣٦٣

(٣) الظاهر انه كان من المؤلفين في ذلك الزمن ان يدفن الخلفاء في القصور التي كانوا يسكنونها ، وبما يؤيد ذلك ان المعتصم دفن في قصر الجوسق الذي كان يسكنه ، والمتوكل دفن في القصر الجمفري الذي كان يقطنه وقد نزل فيه ، كذلك دفن المنتصر والمعتز في ناحية قصر الصوامع .

وقد ذكر اليعقوبي ان هارون الواثق بنى هذا القصر على شط دجلة فسماه باسمه ،
أي الهاروني ، وجعل فيه مجالس في دكة شرقيه ودكة غربية وانتقل اليه ، ثم لما
ارتقى المتوكل عرش الخلافة نزله وآثره على جميع قصور المعتصم (١) .

وكان مكان الجسر الذي أقامه المعتصم على مجرى نهر دجلة أمام قصر الهاروني تماماً ،
ولا تزال بقايا هذا الجسر يمكن مشاهدتها على الجانب الغربي من مجرى دجلة الحالي ،
وقد نصبت مضخة على سقف احد الطوق الضخمة المتبقية من آثار الجسر ،
والمضخة عائدة الى السيد حسين العابد وهو صاحب الاراضي الزراعية المجاورة
(راجع لوحة رقم ٢) .

وقد ورد ذكر الجسر المذكور في كتابات المؤرخين في عدة مناسبات ، ومن
أوردوا ذكره المسعودي في كتابه « تاريخ مروج الذهب » فذكر ان المعتصم
لما صمم على مقاتلة ملك الروم «عسكر غربي دجلة يوم الاثنين في ٢ جمادى الأولى
سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودي في الامصار
بالنفيح الخ ... » وقد أورد ابن الممتر ذكر الجسر في ديوان شعره ، قال :

سقى الاله سر من رأى القطرا والكرخ والحس القرى (٢) والجسرا
وأشار الطبري الى الجسر أيضاً فقال في ذكر حوادث سنة ٢٥٠ هـ ان
المغاربة تحركت يوم ٣ جمادى الأولى من هذه السنة فاجتمعوا قرب الجسر بسامراء
ثم تفرقوا في اليوم التالي (٣) .

وقد أشارت مس بيل الى بقايا هذا الجسر في كتابها «اموارث الى اموارث» ،
فقال انها عثرت عليها بطريق الصدفة أثناء عبورها نهر دجلة في القارب
متجهة نحو قصر العاشق في الجانب الغربي من دجلة ، وقالت انها لاحظت هناك

(١) انظر كتاب « البلدان » وكتاب « تاريخ اليعقوبي » (الجزء الثالث) .

(٢) ان الحس القرى المذكورة كانت من جملة العمران على نهر الاسحاق في الضفة
الغربية من دجلة (راجع البحث الذي يلي عن الاسحاق في هذا الفصل) . اما
الكرخ المشار اليه فهو « كرخ اشناس » الذي تقدم البحث عنه في صفحة (٥٧) .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٣ : ١٥١٥)

اناساً يقلعون احجار هذه البقايا ، وقد نقلت في هذا الصدد ما سمعته من
الاهلين من ان هناك بقايا اخرى من نفس البناء تقع في وسط النهر وهي تظهر
في موسم الفيضانات هبوط مناسب المياه في النهر، وهذا ما يؤكد لنا اليوم
الاهلون القاطنون على حافة النهر في هذه المنطقة . وقد استخلصت مس بيل من
كلام اليعقوبي القائل ان المعتصم لما فرغ من بناء مدينة سامراء التي في الجانب
الشرقي من دجلة عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة ان الجسر كان من الجسور
العائمة . وقد بنت على ذلك رأياً هو أبعد ما يكون عن الواقع وهو ان الدعائم
التي شاهدها على الضفة الغربية من نهر دجلة قد تكون رقبة الجسر على ضفة النهر
فتجري منها المياه في موسم الفيضان فقط على نمط بناء رقبتي جسر الموصل العائم
القديم . اما قول اليعقوبي بأن المعتصم عقد جسراً على نهر دجلة فعنايه انه بنى
جسراً على شكل الجسور ذات العقود أو الطبقان المألوفة (Arch Bridges) .

و - بناء الجوسق

وكان القصر المعروف بـ « الجوسق » بعد من أهم القصور التي انشئت على
عهد المعتصم حيث أعد لسكنى الخليفة نفسه . اما موقعه فيستدل من
وصف المؤرخين انه كان يقع على ضفة نهر دجلة الشرقية جنوبي « دارالعامه »
مطراً على الحير^(١) ، مما يدل على ان ارض القصر ومشملاته كانت تغفل كل
المساحة التي بين شاطئ دجلة والحير . وفيما يلي وصف اليعقوبي للجوسق قال
ما نصه : « فوقف (المعتصم) في الموضع الذي فيه دار العامه وهناك دير
للنصارى فاشتري من أهل الدير الأرض واختط فيه وصار الى موضع القصر
المعروف بـ « الجوسق » على شط دجلة فبنى هناك عدة قصور للقواد والكتاب

(١) ذكر العلامة العميد طه الهاشمي في كتابه « مفصل جغرافية العراق » ص ٥٢٢ -

٥٢٣ ان « الجوسق » يقع في ضفة نهر دجلة الغربية ، على اننا لم نقتصر على اي مصدر

يؤيد ذلك .

وسماها باسمائهم»^(١) . وتؤيد الروايات التاريخية بأن المعتصم سكن في هذه القصر طيلة مدة حكمه ولما توفي دُفن فيه^(٢) ، كما تؤيد لنا بأن اخلافه من الخلفاء الذين حكموا في سامراء سكنوا فيه أيضاً باستثناء الواثق والمتوكل . اما الواثق فقد سكنه في ابان حكمه ثم انتقل الى القصر الهاروني بعد اتمام بنائه ، في حين ان المتوكل آثر السكنى في الهاروني بعد توليه عرش الخلافة ومن ثم انتقل الى القصر الجعفري بالمتوكلية قبل مقتله . ويستفاد مما كتبه اليعقوبي ان المتوكل انزل ابنه محمداً المنتصر في الجوسق^(٣) .

وقد ردد المؤرخون ذكر « الجوسق » في مناسبات عدة عند سردهم الحوادث في عهد خلفاء سامراء ، منها حادثة مقتل اتامش و كاتبه في عهد المستعين^(٤) ، وحوادث مقتل موسى بن بغا ومصرع بايكباك ونهب الجوسق في زمن المهدي^(٥) ، والحوادث الاخرى التي وقعت في عهد المعتمد^(٦) .

ويستفاد من روايات المؤرخين انه كان في قصر الجوسق سجن ملكي كان يسجن فيه السياسيون والقواد والامراء، ويظهر ان هذا السجن انشئ في الاصل في عهد المعتصم لحبس الافشين فيه وقد سمي باسم « لؤلؤة »، ثم سجن فيه المعتز والمؤيد في عهد المستعين كما سجن فيه احمد بن المتوكل الذي كان يعرف بـ « ابن فتيان » في عهد المهدي . وذكر الطبري في جملة حوادث سنة ٢٢٥ هـ . ان المعتصم دعا الافشين فجاء وهو في سواد « فأمر بأخذ سواده وحبسه فحبس في الجوسق

(١) تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثالث ، طبعة النجف ، ص ١٩٧

(٢) قال اليعقوبي : « توفي المعتصم يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع

الاول سنة ٢٢٧ هـ وصلى عليه ابنه هارون ودفن في قصره المعروف بـ « الجوسق »

وكانت سنة ٤٩ سنة الخ... » تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثالث ، ص ٢٠٤

(٣) كتاب البلدان لليعقوبي

(٤) الطبري (٣ : ١٥٣٨)

(٥) الطبري (٣ : ١٨١٠ ، ١٨١٥ ، ١٨٣١)

(٦) الطبري (٣ : ١٩٢٧ ، ٢٠٤٠)

ثم بنى له حبساً مرتفعاً وسماه لؤلؤة داخل الجوسق وهو يعرف بالأفشين . «(١)» وجاء ذكر البناية أيضاً فيما قيل عن ارسال المعتصم بعض الفاكهة الى الافشين وهو في سجنه ، فهذا نص الرواية وقد نقلها الطبري أيضاً ، قال : « في سنة ٢٢٦ هـ ذكر عن حمدون بن اسماعيل انه قال لما جاءت الفاكهة الحديثة جمع المعتصم من الفواكه الحديثة في طبق وقال لابنه هارون الوائق اذهب بهذه الفاكهة بنفسك الى الافشين فادخلها اليه فحملت مع هارون الوائق حتى صعد بها اليه في البناء الذي بني له فخبس فيه الذي يسمى لؤلؤة ... » «(٢)» ويظهر ان المعتقل المذكور صار يعرف باسم « لؤلؤة الجوسق » ، فقد ذكر السعدي ان المستعين لما كان في سامراء قبل أن ينحدر الى بغداد اعتقل المعتز والمؤيد في هذا السجن وأبقاهما فيه فاطلق الموالي سراهما وبايعوا للمعتز . ويقول السعدي في هذا الصدد ما نصه : « وقد كانت المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذها معه ... فاجم الموالي على اخراج المعتز والمبايعه له والاتياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصره ببغداد فانزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلاً فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه » «(٣)» .

وذكر الطبري سجن الجوسق عند وصفه لحوادث سنة ٢٥٦ هـ - وهي الحوادث المثيرة التي اكتنفت عهد المهدي القصير والتي كانت تدور حول عصيان الجيش وتمرده على الخليفة - فقال ان المهدي لما استنجد بالعامه ولم ينصره احد « صار الى باب السجن فاطلق من فيه وهو يظن انهم يعينونه فلم يكن منهم إلا الهرب » ، فانجبه بعد ذلك الى دار أبي صالح عبد الله واخرج منها وسيق الى الجوسق فخبس فيه عند احمد بن خاقان وأرادوه على الخلع فأبى واستسلم للقتل .

(١) الطبري (٣ : ١٣٠٧)

(٢) الطبري (٣ : ١٣١٥)

(٣) راجع أيضاً الطبري (٣ : ١٦٦٨٦١٥٠٧)

والظاهر انه كان بالقرب من الجوسق قصر يسمى « القصر الاحمر » إذ ورد ذكره في تاريخ الطبري عند وصف حوادث سنة ٢٥٦ هـ قال: دخل موسى بن بفا سامراء « أخذ في الحير وعبأ اصحابه ميمنة وميسرة وقلبا في السلاح حتى صار الى باب الحير مما يلي الجوسق والقصر الاحمر ». ثم جاء ذكره في حوادث السنة نفسها بمناسبة أخرى ، وهي انه ادخل على المهدي كتاب ذكر ان سيما الشرايبي زعم عن امرأة جاءت به مما يلي القصر الاحمر ودفعته الى كافور الخادم الموكل بالحرم وقالت له ان فيه نصيحة الخ ... »

ويستفاد من أوصاف الطبري لحوادث عصيان الجيش في عهد الخلفاء العباسيين في سامراء ان الجوسق كان في ذلك العهد المحور الذي كانت تدور حوله المؤامرات والتجمعات وحوادث القتل والسجن والاغتيال وكانت الالوف من الجنود تتقاتل فيما بينها في ساحاته وداخل أبنيته الواسعة . وقد اطلق عليه الطبري اسم « الدار » دون ذكر اسم الجوسق كما أشار اليه مما يدل على انه كان من الاماكن الرئيسية المشهورة في العاصمة العباسية في ذلك الوقت .

ومما يدل ايضاً على ان الجوسق كان يعد من الأبنية الرئيسية في سامراء العباسية ومركزاً مهماً فيها ان المسكتني لما اتجهت نيته الى الانتقال الى سامراء واعادة البناء فيها ضربت له المضارب بالجوسق وكان يريد البناء فيه غير انه عدل عن ذلك ورجع الى بغداد^(١) . وقد اختار ابن المعتز قصري الجوسق والتل من دون قصور سامراء فذكرها في ديوان شعره وهو يربى الخلافة العباسية بعد أن أصابها الوهن والشلل قال :

ف تلك اطلال لهم قساراً	ترى الشياطين بها نهساراً
بائلل والجوسق والقطائع	كم ثم من دار لهم بلاقع

(١) راجع ما تقدم في صفحة ٥١

وقال ياقوت الحموي في المعجم عند ذكره « بزكوار » أحياناً منها :
عص الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الحرب

ويظهر ان قصر الجوسق كان يعرف باسم « الجوسق الخاقاني » ، وقد سماه
المعتصم بهذا الاسم نسبة الى خاقان عرطوج أبي الفتح بن خاقان الذي
اقطعه واصحابه القطائع مما يلي الجوسق^(١). وجاء في « تاريخ مروج الذهب »
للمسعودي ما يؤيد ذلك قال : « وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم
على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من
شهر ربيع الاول . »

ويلاحظ ان ياقوت ذكر بان الجوسق من القصور التي بناها المتوكل في
سر من رأى في ميدان الصخر وانفق عليه خمسمائة الف درهم . ويظهر من ذلك
ان الجوسق اثنان أحدهما من ابنية المعتصم وهو الجوسق الرئيسي والآخر من
أبنية المتوكل أنشئ بالقرب من الجوسق الكبير في احدى ساحاته .

ولا شك في أن اطلال قصر الجوسق كانت من أبرز وأوسع المواقع الأثرية
في سامراء ، إلا أن قربها من مدينة سامراء الحالية كان السبب المباشر في محو
معالمها حيث استخراج كل ما فيها من آجر ونقل الى المدينة الجديدة التي أسست
فوق اطلال سر من رأى العباسية لاستعماله في بنائها وفي انشاء السور
الضخم حوالها . ويحتمل أن يكون جزء من مدينة سامراء الحالية
أقد بني على طرف أرض الجوسق نفسه مما أدى الى محو معالم القصر محواً
تاماً .

والجوسق اسم لاممكنة اخرج غير جوسق سامراء منها الجوسق الذي
في بغداد وكان يعرف بـ « الجوسق المحدث » ، وهو دار تقع بالقرب من قصر

(١) راجع « كتاب البلدان » للمسعودي

الفردوس (أحد قصور الخلفاء العباسيين في بغداد) . والجوسق أيضاً اسم لقرية كبيرة من نواحي دجيل من أعمال بغداد وبينهما عشرة فراسخ ، والجوسق أيضاً من قرى النهروان من أعمال بغداد .

ز - العمران في الجانب الغربي من نهر دجلة

لما أنشأ المعتصم مدينة « سرّ من رأى » واتسعت ابنيها كانت مياه الشرب تحمل من نهر دجلة الى المدينة على البغال وعلى الأبل ، ونظراً لأن الأراضي التي تقع فيها المدينة مرتفعة بالنسبة الى مستوى مياه النهر لذلك لم يكن هناك مجال لانشاء البساتين والمزارع بصورة واسعة حوالى المدينة، لاسيما وان الوسائط لرفع المياه لم تكن متوفرة بمقياس واسع في ذلك الزمن. ولما كانت الاراضي في الضفة الغربية من نهر دجلة منخفضة بالنسبة الى مستوى أراضي الضفة الشرقية التي تقع فيها مدينة « سرّ من رأى » لذا انتقل بعض السكان الى الجانب الغربي من دجلة فحفروا هناك جداول سيجية انشئت عليها الجنائن والبساتين والمزارع والقرى . وكانت هذه الجداول تتفرع من نهر الاسحاقى الذي حفره المعتصم لارواء الأراضي الواقعة على الجانب الغربي من نهر دجلة ارواء سيجياً . ونهر الاسحاقى هذا يستمد المياه من نهر دجلة في نقطة تقع جنوب تكريت بقليل فيجري من أمام مدينة « سرّ من رأى » . بموازة نهر دجلة من جهة الغرب ثم ينتهي في دجلة في الحد الجنوبي لمدينة « سرّ من رأى » .

ح - مشروع نهر الاسحاقى

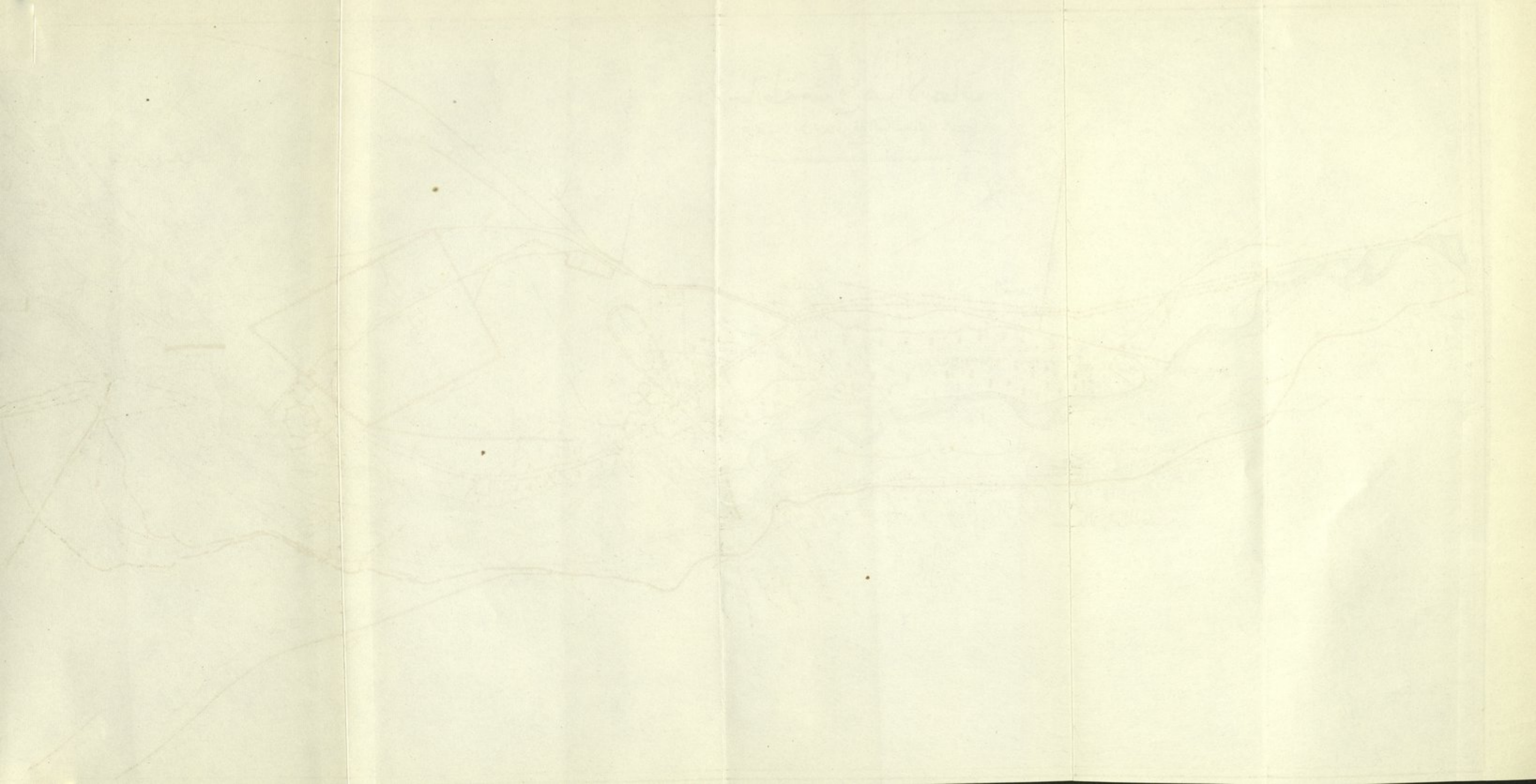
وقد يكون من المفيد ان نستعرض بصورة مجملة التطورات التي اعتورت مشروع نهر الاسحاقى في مختلف ادواره ليكون القارىء فسكرة عن تاريخه ، لاسيما وقد اضطرت آراء الكتاب والمحققين فيه لندرة المراجع التاريخية القديمة عنه : فقد ثبت لنا من تحقيقاتنا ان منشأ هذا النهر يرجع الى عصور سحيقة في

التاريخ ، وقد كان بالأصل نهراً جسيماً يتفرع من الضفة اليمنى من نهر دجلة في نقطة تقع في جوار تسكريت فيمتد الى اقصى الجنوب حتى ينتهي في منخفض «عرقوف»، وكان بذلك يروي القسم الاعظم من أراضي الجزيرة التي تمتد بين الفرات ودجلة ابتداء من سامراء حتى منخفض عرقوف الذي في غربي بغداد، على ان المشروع اعمل فأندرس وبقي متروكاً مدة من الزمن حتى اذا ما جاء العهد العباسي واتخذ بنو العباس سامراء عاصمة للمسلمين قام المعتصم باحياء القسم الاعلى منه ، وهو القسم الذي يمتد بين تسكريت والحد الجنوبي لمدينة «مر من رأى» . لذلك فقد يصح لنا ان نقول بانه مر على مشروع الاسحاقى دوران ، الدور الاول ، هو الدور القديم الذي كان فيه نهر الاسحاقى مشروع ري واسع يمتد في اراضي الجزيرة من تسكريت حتى عرقوف ، والدور الثاني، هو الدور العباسي الذي اعيد فيه انشاء القسم الاعلى من النهر لاستغلاله في احداث البساتين والمزارع أمام مدينة «مر من رأى» في جهة دجلة الغربية. ولا شك في ان تسمية «الاسحاقى» ترجع الى الدور الثاني أي الدور العباسي. ويقال ان اسحاق بن ابراهيم الذي كان مدير شرطة المعتصم هو الذي تولى اعمال هذا المشروع فسُمي باسمه ، ويلاحظ ان «وادي اسحق بن ابراهيم» الواقع في الجانب الشرقي^(١) سُمي باسمه أيضاً لوجود قطيعته بالقرب منه .

ويستدل من تتبع آثار نهر الاسحاقى انه كان يبدأ من ضفة دجلة الغربية في نقطة تقع على بعد حوالي عشرة كيلو مترات جنوبي تسكريت ، وذلك في نهاية سفح اراضي الجزيرة المرتفعة (الكهف) مقابل حاوي البوعجيل الواقع في الضفة الشرقية حيث تقع هناك اطلال قرية هاطري القديمة^(٢) . وقد نصبت مؤخراً مضخة بالقرب من فوهة النهر لسقي المزارع المجاورة التي تعود الى الشيخ ندى بك.

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذا الوادي في صفحة ٦٢

(٢) راجع البحث التالي الخاص بقرية «هاطري» في الفصل الثامن .



ويعلو منسوب القمر في صدر النهر حوالي ثمانية امتار عن مستوى نهر دجلة الصيني . اما (الكهف) الذي يحد أراضي الجزيرة المرتفعة فيعلو عن الارض التي يقع فيها مجرى الاسحاق بما يزيد على عشرين متراً . وتدل الآثار الباقية على ان المجرى كان يسير في الاتجاه الجنوبي الشرقي بمحاذاة (الكهف) ، وبعد ان يقطع مسافة حوالي ثمانية كيلومترات في هذا الاتجاه يصل الى امام الدور (دور تسكريت) الواقعة في ضفة نهر دجلة الشرقية على مسافة اربعة كيلو مترات منه تقريباً . ومن هنا ينحرف نحو الجنوب الغربي فيسير بمحاذاة (الكهف) ايضاً مسافة اربعة كيلو مترات اخرى حتى يصل الى طريق (بغداد - موصل) العام وسكة حديد (بغداد - موصل) الواقعة بمحاذاة الطريق تماماً . وبعد ان تقطعه السكة الحديدية المذكورة يترك حد (الكهف) المرتفع فيسير بمحاذاة السكة من غريبها متجهاً نحو الجنوب حتى اذا ما قطع مسافة ستة كيلو مترات تقريباً بلغ التل الذي عليه مقبرة الشيخ علي السكريم ، وهو التل الملاصق الى الخط الحديدي من شرقيه ، ومن ثم يتجه بأخفاف نحو الجنوب الشرقي فيصل بعد مسير مسافة كيلو مترين تقريباً الى محطة مكيشيفة الواقعة في شرقيه ، وبعد ان يسير مسافة كيلو متر ونصف من المحطة المذكورة يصل الى « تل جمان » ، وهو تل مرتفع يقع في الجهة الغربية من النهر ، ثم يسير مسافة اثني عشر كيلومتراً فيصل الى « تل الحووصلات » الواقع على ضفته الشرقية ، ويتجه بمد ذلك نحو « قصر العاشق » الواقع في الجهة الغربية على بعد ستة كيلو مترات من « تل الحووصلات » . وقبل ان يصل النهر الى العاشق بكيلومتر واحد يسير في ملتويات نصف دائرية فيحيط بقصر العاشق من طرفه الشمالي والشرقي فيشكل نصف دائرة حوالي القصر المذكور . وبعد أن يترك النهر « قصر العاشق » ينحرف قليلاً الى الجنوب الغربي فيسير مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً بمحاذاة الحد الأسفل من سفح الأراضي المرتفعة المجاورة حتى يصير أمام قبة « الصليبية » (١) .

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « الحووصلات » و « العاشق » و « الصليبية » في

وبعد ان يترك النهر « الصليبية » على ضفته اليمنى يسير بصورة ملتوية لمسافة حوالي ثمانية كيلومترات حتى يصير امام محطة قطار سامراء الحالية غرباً . ومن ثم يسير في الاتجاه الجنوبي الشرقي مسافة أربعة كيلومترات حتى يقترب من سكة القطار . ومن هنا ينشطر النهر الى شطرين ، الشطر الغربي يترك السكة الحديدية فيسير نحو الجنوب ممتداً في وسط الجزيرة التي بين الفرات ودجلة الى مسافة زهاء أربعين كيلومتراً ، ثم تضع معالمه في وسط الصحراء بين السكبان الرملية ، والشطر الشرقي يسير بمحاذاة السكة الحديدية وبموازاة السور الخارجي لمعسكر الاصطبلات (١) غرباً ، وبعد أن يسير مسافة زهاء ثلاثين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي ينصب في مجرى دجيل القديم (٢) ، وذلك بعد أن يتحرق في طريقه « جدار المطبق » (٣) في جنوب غربي معسكر الاصطبلات (راجع رسم رقم « ٢ أ » ورسم رقم « ٢ ب ») .

وقد دلت تدقيقاتنا على ان مجرى الاسحاقى الأصلي القديم كان يبدأ من جنوب تكريت فيسير في الاتجاه الذي تقدم وصفه حتى اذا ما وصل الى المكان الذي ينشطر فيه النهر الى شطرين سار في الفرع الغربي الذي يمتد في وسط الجزيرة ، وهو الفرع الذي كان يؤلف المجرى الرئيسي للنهر فتتشعب من ضفتيه شبكة من الفروع لاسقاء أراضي الجزيرة الخصبة . اما المجرى الذي انشأ على عهد المعتصم فيسير في قسمه الأعلى في نفس الاتجاه الذي كان يسير فيه المجرى الأصلي القديم حتى اذا ما وصل الى مكان انقسام النهر اتجه نحو الفرع الشرقي ، وهو الفرع الذي يفضي الى نهر دجيل القديم . وكان الفرع الشرقي هذا يحيط بالسور الخارجي لمعسكر الاصطبلات فيشكل حاجزاً مائياً خلف السور ، وكانت

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « معسكر الاصطبلات » في هذا الفصل .

(٢) راجع البحث التالي الخاص بنهر دجيل القديم في الفصل الثالث .

(٣) حول هذا الجدار راجع البحث التالي الخاص بسور الميدين في الفصل الثاني .

تتفرع من ضفة هذا الفرع اليسرى عدة تشعبات تفضي الى داخل معسكر الاصطبلات (١).

وقد فتح فرعان في القسم الاعلى من المجرى الذي انشأه المعتصم ، أحدهما من الضفة اليسرى والآخر من الضفة اليمنى ، فيبدأ الأول وهو المعروف اليوم باسم « الأيتر » من نقطة تقع مقابل مدينة الدور التي في الجانب الايسر من دجلة ، ثم يتجه نحو الجنوب ما بين نهر دجلة ومجرى الاسحافي الى أن يتصل ثانية بمجرى الاسحافي بالقرب من التل الذي عليه مقبرة الشيخ علي الكريم . اما الفرع الثاني الذي انشأه في الضفة اليمنى فيبدأ في المكان الذي يقطع فيه الطريق العام مجرى النهر فيسير في الأراضي المنبسطة بموازاة السفح الذي يحده الأراضي المرتفعة ، ثم يقترب تدريجياً من مجرى الاسحافي الى ان يتصل به في نقطة تبعد عن شمال غربي محطة مكيشيفة بكيلو متر ونصف تقريباً . وكان هذان الفرعان يرويان البساتين والمزارع التي انشئت في عهد المعتصم على طول ضفة مجرى دجلة الغربية مقابل مدينة سر من رأى (راجع رسم رقم ٢ أ - خارطة مشروع نهر الاسحافي) .

وكان نهر الاسحافي محور العمران الذي أسس في سامراء العباسية على الضفة الغربية من نهر دجلة ، فوصف اليعقوبي ذلك في كتابه « البلدان » قال ما نصه : « واتسع الناس في البناء بسر من رأى اكثر من اتساعهم ببغداد وبنوا المنازل الواسعة إلا ان شربهم جميعاً من دجلة مما يحمل في الروايا على البغال وعلى الأبل لأن آبارهم بعيدة الرشاء ثم هي مالحة غير سائفة فليس لها اتساع في الماء ، واسكن دجلة قريبة والروايا كثيرة ... ولما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي من دجلة وهو جانب سر من رأى عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة فأنشأ هناك العمارات والبساتين والأجطة ، حفر الانهار من دجلة وصير الى كل قائد عمارة ناحية من النواحي . وحمل النخل من بغداد

(١) راجع البحث التالي الخامس بـ « معسكر الاصطبلات » في هذا الفصل .

والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان فكثرت المياه في هذه العماره ... وصلح النخل وثبتت الاشجار وزكت الثمار وحسنت الفواكه وحسن الريحان والبقل وزرع الناس أصناف ازراع والرياحين والبقول والرطاب، وكانت الأرض مستريحة الوف سنين فزكا كل ما غرس بها حتى بلغت غاۃ العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقى وما عليه والياتاخي والعمرى والعبد الملسكى ودالية ابن حماد والمسرورى وسيف والعربات المحدثة وهي خمس قرى والقرى السفلى وهي سبع قرى والأجنة والبساتين وخراج الزرع أربع مائة الف دينار فى السنة . وقد أورد ابن المعز فى ديوان شعره ذكر الجسر والقرى الخمس المشار إليها فى وصف اليعقوبى هذا ، قال :

سقى الاله سر من رأى القطرا والسكرخ والخمس القرى والجسرا

وكان المعتصم على زعم المؤرخين العرب يجب العماره فيذكر عنه قوله : « فى العماره امور محموده فالوها عمران الأرض التي يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج ، وتسكثر الأموال وتعيش البهائم ، وترخص الاسمار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش ، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعاً متى انفتحت فيه عشرة دراهم جاءنى بعد سنة احد عشر درهما فلا تؤامرني فيه . »

وقد وصف ابن سراييون (٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م) نهر الاسحاقى كما شاهده بعد ان هجرت سر من رأى واعيد مقر الخلافة العباسية الى بغداد بمدة قليلة ، قال : « يحمل من دجلة من غريبها نهر يقال له الاسحاقى ، أوله اسفل من تكريت بشي يسير ، يمر من غربي دجلة ، عليه ضياع وعمارات ويمر بطيرهان ويحجى الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص ، ويسقى الضياع التي هناك فى غربي مدينة سر من رأى ، المعروفات بالأولى والثانية الى السابعة^(١) ويصب فى دجلة بازاء

(١) ان الضياع السبع التي يشرب إليها ابن سراييون في وصفه هذا هي نفس القرى السبع التي ذكرها اليعقوبى .

نهر المطيرة»^(١) . وقد رسم ابن حوقل الذي كتب في حدود سنة ٣٦٧ هـ (٩٨٨ م) نهر الاسحاقى في خارطته «صورة الجزيرة» ، وهو يتشعب من نهر دجلة من جنوب تكريت مباشرة ثم يمتد باتجاه الغرب حتى يفضي الى نهر الصراة ، ونهر الصراة كان يسحب المياه من نهر الفرات وينتهي في دجلة في وسط مدينة بغداد الغربية (راجع رسم رقم ١ - صورة الجزيرة لابن حوقل) ، ذلك مما يدل على ان نهر الاسحاقى كان لا يزال موجوداً في زمن ابن حوقل على الشكل الذي وصفه ابن سراييون من قبل .

ومن أهم العمارات على نهر الاسحاقى التي لا تزال آثارها شاخصة ، «قصر الحويصلات» الواقع على الضفة اليسرى من النهر بازاء كرخ اشناس^(٢) ، و «قصر العاشق» على ضفته اليمنى بازاء دار العامة (دار الخليفة)^(٣) ، وقبة الصليبية على ضفته اليمنى ايضاً بازاء القصر الهاروني^(٤) . هذا عدا «معسكر الاصطبلات» الواقع في ذنائب مجرى النهر مقابل القادسية^(٥) . وتوجد آثار أبنية أيضاً في الموضع المعروف بـ «تل الصخر» الذي يقع على الضفة الشرقية من نهر الاسحاقى بين خرائب الحويصلات وقصر العاشق ، كما توجد آثار بناء على الضفة الغربية شمالاً في التل المعروف بـ «تل جمان» الواقع على بعد حوالي كيلو مترين من جنوب محطة مكيشيفة .

ومن الغريب ان مستر لاين صاحب كتاب «مسائل بابلية» قد اتخذ من آثار مجرى الاسحاقى وقوداً للهييب خياله، فصور لنا مجاري النهر وفروعه خنادق ميمنة وميسرة ، وواده خزانات لاملء الخنادق بالمياه ، واكتاف النهر العالية

(١) حول المطيرة راجع البحث الذي تقدم في الصفحات ٥٩ - ٦١

(٢) راجع البحث الذي تقدم وهو الحاص بـ «كرخ اشناس» في صفحة ٥٧

(٣) انظر البحث الذي تقدم والحاص بدار العامة في صفحة ٦٦

(٤) انظر البحث الذي تقدم عن القصر الهاروني في صفحة ٧١

(٥) راجع البحث التالي الحاص بمعسكر الاصطبلات في هذا الفصل .

تحصينات دفاعية الخ ... والاعرب من هذا انه يربط هذه الآثار التي يزعم انها
تحصينات عسكرية بعهد البابليين وعهد نمرود .

ط - بناء الحويصلات

تقع خرائب « الحويصلات » في السهل الذي على الجانب الأيسر من نهر
الاسحاقي على بعد سبعة عشر كيلو متراً شمالي محطة سكة حديد سامراء ،
ويرجع انها بقايا قصر من قصور الخلفاء في سامراء على الجانب الغربي من دجلة .
وتبلغ مساحة بناية هذا القصر حوالي تسعة عشر الف متر مربع ، واما مساحة
القصر مع حديقته وسوره الخارجي فتزيد على المائة والثلاثين الف متر مربع .
وتوجد آثار بناية اخرى تقع غربي القصر على الضفة الشرقية من نهر الاسحاقي
فتطل على القصر من أعالي تلك الضفة ، وبالنظر لقرب هذه البناية من مكان
القصر الذي في السهل المجاور لذا يصح لنا القول بانها جزء من القصر . وبلاحظ
ان مياه دجلة قد جرفت الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الذي في السهل كما
ازالت معالم السور الخارجي من الجهتين الشمالية والشرقية والضلع الشمالية مع قسم
من الضلع الشرقية من السور الداخلي أيضاً، ذلك ما يدل على ان القصر الرئيسي كان
يقع على الضفة نهر دجلة القديم الذي كان يجري غربي مجراه الحالي محاذياً للقصر .

ويغلب على الظن ان خرائب الحويصلات هذه بقايا القصر الذي ذكر ابن
سرايون في كتابه « عجائب الاقاليم السبعة » ان المعتصم بناه على نهر
الاسحاقي وسماه باسم « قصر الجص » ، بدليل ان القصر بني بالجص المزوجة
بالجص بشكل يشبه الخرسانة . ومما قاله الحموي في المعجم ان « قصر الجص قصر
عظيم قرب سامراء فوق الماروني بناه المعتصم للنزهة وعنده قتل بختيار بن معز
الدولة بن بويه قتله عضد الدولة ابن عمه » (وبختيار هو خامس ملوك آل بويه
كنيته ابو منصور ولقبه عز الدولة) . (راجع رسم رقم ٢ أ ولوحة رقم ٢) .

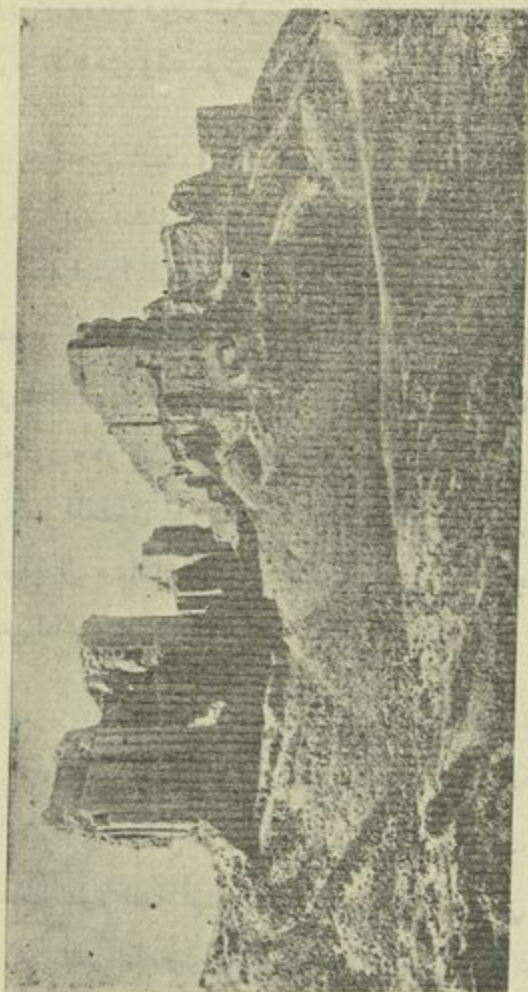
٥ - قصر العاشق

اما اطلال قصر العاشق فتقع على بعد حوالي تسعة كيلومترات من جنوبي الحويصلات وهي بقايا قصر ضخم على الضفة اليمنى من نهر الاسحاقى كان قد سماه المؤرخون باسم المعشوق إلا ان اسمه هذا تحول بين الناس الى العاشق . وقد بني هذا القصر في أواخر أيام حكم المعتمد في ساسراء قبل ان يتركها نهائياً ويعيد مقر الخلافة الى بغداد . ويتكوّن القصر من طابقين الطابق الاسفل منه قد تحول الآن الى سرايب اما شكل القصر فهو مستطيل فيبلغ طوله ١٣١ متراً وعرضه ٩٦ متراً وقد حوّط بساحة مسورة ، ويشاهد في هذه الساحة بين القصر وبين السور الخارجي عدة مبان فرعية . ويدور حول القصر خندق واسع كان يستمد مياهه من قناة جوفية (كهريز) كانت تنحدر من العيون التي في أراضي الجزيرة الغربية المرتفعة فتفضي الى خندق القصر الذي كان مرتفعاً بالنسبة الى منسوب مياه نهر الاسحاقى (راجع رسم رقم ٧ أ ولوحة رقم ٧) .

وقد أشار اليعقوبي في وصفه لمدينة سمرّ من رأى الى هذا القصر فقال ان المعتمد لما ارتقى عرش الخلافة « أقام بسرّ من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ثم انتقل الى الجانب الشرقي » يقصد الغربي « بسرّ من رأى فبنى قصرأ موصوفاً بالحسن سماه المعشوق فنزله فأقام به حتى اضطربت الامور فانتقل الى بغداد ثم الى المدائن . »

وقد أشاد البحري بقصر المعشوق هذا فأشدد في قصيدة يمدح بها المعتمد على الله قائلاً :-

لا زال معشوقك يسقى الحيسا من كل داني المزن واهي الخروق
لم أر كالمعشوق قصرأ بدا لأعين الرأين غير المشوق
هــذاك قد برز في حسنه سبقا وهذا مسرع في الاحوق



تصوير رقم ٢ - اطلال قصر الماشق (منظر عام)

وقال ياقوت واصفاً هذا القصر انه « قصر عظيم بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامراء في وسط البرية باق الى الآن ليس حوله شيء من العمران يسكنه قوم من الفلاحين إلا انه عظيم مكين محكم لم يبن في تلك البقاع على كثرة ما كان من القصور غيره وبينه وبين تكريت مرحلة عمره المعتمد على الله وعمر قصره آخر يقال له الاحمدي وقد خرب » .

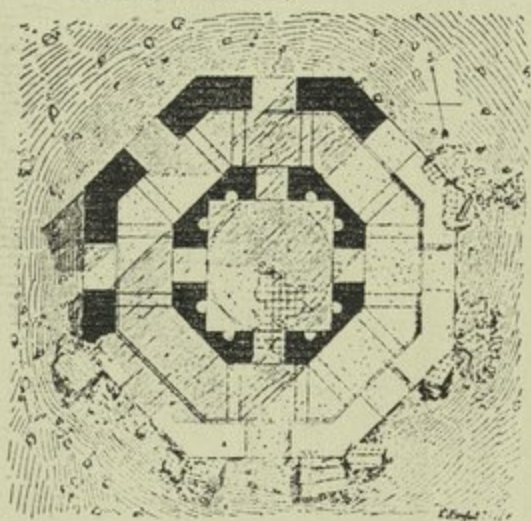
وذكر ابن جبير المعشوق في وصف رحلته كما ذكره ابن بطوطة أيضاً في وصف رحلته بين بغداد والموصل وسمى كلاهما القصر باسم « المعشوق » ، ويلاحظ انها اعتبرا البناية حصناً لوجود ابراج ضخمة في جدار القصر . اما ابن بطوطة فقد وصف البناء بقوله انه يقع على نهر دجلة ، وفيما يلي نص ما كتبه في هذا الصدد قال : « فنزلنا موضعاً على شط دجلة بالقرب من قصر يسمى المعشوق وهو مبني على الدجلة » . كل ذلك يدل على ان نهر الاسحاقى الذي يقع قصر المعشوق على ضفته كان مندرساً في ذلك الوقت ونظراً لقرب البناء من ضفة نهر دجلة اعتبره مبنياً على ضفة نهر دجلة (راجع تصوير رقم ٢ - اطلال قصر العاشق) .

وقد أورد ياقوت ذكر قصر آخر على الضفة اليمنى لنهر دجلة قرب الاسحاقى سماه « قصر حبش » ، فقال عنه انه موضع قرب تكريت فيه منار ع شربها من الاسحاقى ، ولعل موقع هذا القصر في التل المعروف بـ « تل مهبجبر » ، وهو تل مسطح علوه خمسة أمتار وطوله عشرة ن مترأ يقع في حافة دجلة الغربية الحالية مقابل القصر الجعفري الذي في الضفة اليسرى^(١) ، وتوجد آثار نهر قديم يتفرع من الضفة اليسرى من فرع الايتر الذي تقدم ذكره وينتهي عند التل المذكور .

(١) راجع البحث التالي الخامس بالقصر الجعفري في هذا الفصل .

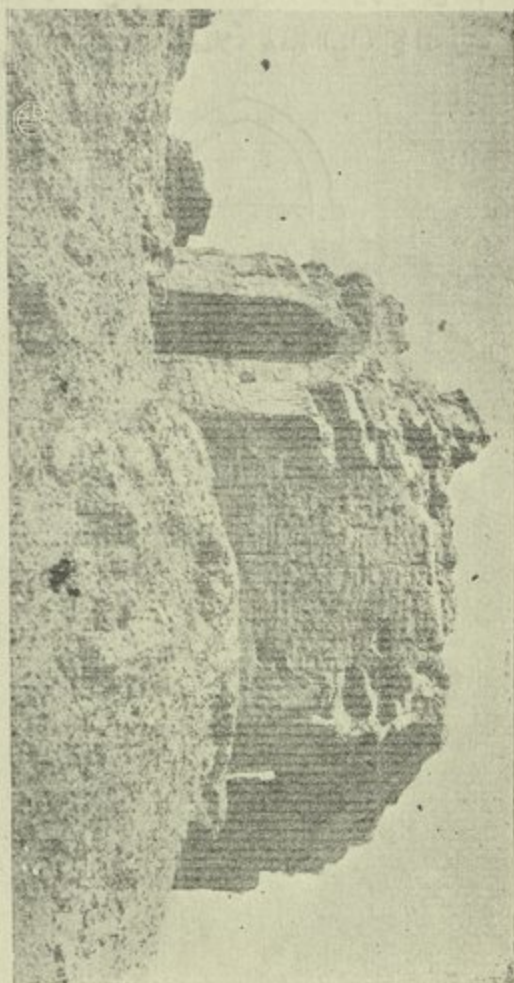
ك - قبة الصليبية

تتضمن اطلال الصليبية على بناية مثمّنة الشكل من اللبن الجصي تنوسطها قاعة
مربعة يحيط بها رواق مثنى ، وقد اجمع الاخصائيون على انها كانت متوّجة
بقبة . وقد رسم هرزفالد مخططاً مفصلاً لهذه البناية كما انه رسم مقطعاً عرضياً



نصوير رقم ٤ - مخطط قبة الصليبية - حسب مخطيط هرزفالد

للبنانية يجدها القارىء في تصوير رقم (٤) . ويظن البعض ان هذه البناية كانت
ضريحاً لأحد الخلفاء ويرى آخرون انها كانت منظرية على رأس الجسر من الجهة
الغربية وهي في نفس الوقت قبة حراس الجسر نظراً لوقوعها أمام الجسر تماماً ،



تصوير رقم ٣ - قبة الصليبية (منظر خارجي)

ويرى هؤلاء أيضاً ان من المحتمل ان تكون البناية سميت بالصليبية لصلب بعض الاشخاص على رأس الجسر بالقرب منها ، لاسيما أن التاريخ يذكر كثيراً من مثل هذه الحوادث حيث كان الصلب العلي مألوفاً في ذلك العهد . على اننا نميل الى الأخذ بالرأي الأول وهو ترجيح كون البناء ضرباً لشخصية مهمة لأن البناء أشبه بقبب الأضرحة منه الى أي طرز آخر . ولا بد من الاضافة في هذا الصدد الى ان البناء يقع في اعلى نقطة من هذه المنطقة وهذا يتفق والعادة المتبعة بأقامة المقابر على الاماكن المرتفعة (راجع تصوير رقم ٣ ورسم رقم « ٢ أ » ولوحة رقم ٢) .

ل - معسكر الاصطبلات

تقع اطلال معسكر الاصطبلات في الضفة الغربية من دجلة على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً من مدينة سامراء الحالية جنوباً ، « وتتألف من حيث الأساس من مستطيل صغير متصل بمستطيل كبير ، يبلغ طول المستطيل الصغير نحو خمسمائة متر ، وعرضه مائتين وخمسة عشر متراً ، كما يبلغ طول ضلع المستطيل الكبير الفا وسبعمائة متر وعرضه خمسمائة وخمسين متراً ، وان كلا المستطيلين محاطان بسور مدعوم بأبراج ، والمستطيل الصغير مقسم الى سلسلة أحواش منتظمة ، واما المستطيل الكبير فمقسم الى ثلاثة اقسام متساوية تفصل بينها أسوار شبيهة بالاسوار الخارجية ، وان المربع الشرقي من هذه الاقسام الثلاثة كامل البناء ، حيث يشاهد فيه شارعان رئيسيان عريضان يتقاطعان من منتصفيهما في اتجاه عمودي على جدران السور وعلى الشوارع الاربعة التي تمتد على طول الاسوار ، والمربعات الاربعة التي تتكوّن على أضلاع هذين الشارعين المتعامدين تنقسم بدورها الى اقسام عديدة بشوارع طولية وعرضية كلها متعامدة أو متوازية ، واما القسم الاوسط من المستطيل الكبير فقليل البناء ، واما القسم الغربي فمحروم من المباني فلا يرى فيه شيء غير خطوط الشوارع ،

ومن الواضح ان الاصطبلات كانت معسكراً كبيراً مع دور للقواد وشكناً للجنود وساحات للخيم»^(١). وما يلفت النظر ان الاضلاع الجانبية للمستطيلين المذكورين تمتد في اتجاه الشمال الحقيقي تماماً (راجع رسم رقم ٩).

وكان يحيط بالمعسكر سور خارجي طويل يبدأ في الشمال من حافة نهر دجلة الغربية في المكان المعروف باسم «تل بندري» ، وهو التل الواقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات من جنوب مدينة سامراء الحالية^(٢)، فيمتد الى مسافة ستة وعشرين كيلومتراً غربي المعسكر ، ثم ينتهي جنوباً الى حافة دجلة الغربية أيضاً عند التل الأثري المعروف باسم «تل مسعود»^(٣) الواقع على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من جنوب «تل بندري» . وكان هذا السور محصناً بأبراج عدة في المنعطفات وفي المداخل الرئيسية للمعسكر ، ومن جملة هذه الابراج البرجان

(١) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ص ٧٣

(٢) يقع «تل بندري» على حافة (الكهف) المرتفع الذي يطل على الحاروي المعروف بـ «حاروي الرقة» الذي يسكن فيه عرب صالح الجاسم اليوم . والثابت ان مجرى دجلة كان يسير في وسط هذا الحاروي بمحاذاة (الكهف) عندما انشئ سور الاصطبلات ، فكان السور يبدأ عند حافة النهر من مكان «تل بندري» وهو بناء كان يؤلف برجاً منيعاً على رأس السور . اما مكان البرج بالنسبة الى السور والنهر فكان في الزاوية التي تتكون من الخارج باتصال رأس السور مع ضفة النهر .

(٣) يقع «تل مسعود» على حافة (الكهف) المرتفع الذي يطل على اراضي «حاروي كبان» المنخفضة ، وهي الاراضي الرسوبية المسماة «اراضي الخوابيج» والتي يسكنها اليوم حسين الحسن وعرب اولاد عبد الواحد دراجي^(٤)، وقد نصبت هناك مكانين ضيق لارواء مزارعها . والثابت ان مجرى النهر كان يسير في وسط هذا الحاروي وان السور كان ينتهي في حافته عند تل مسعود . ويقع البناء الذي في تل مسعود داخل الزاوية التي تتكون من التقاء السور بمجرى دجلة وتشكل اطلاله شبه مربع يبلغ طول ضلعه حوالي ٨٠ متراً ، وفي شمال التل على بعد حوالي ٤٠٠ متر توجد آثار بناء قديم أيضاً عليه مقبرة يرجح انه جزء من بناء تل مسعود . ومن المحتمل ان يكون سبب تسمية التل بتل مسعود ان احد القاطنين بالبناء هناك كان يسمى مسعوداً فسمى باسمه . ومثل ذلك يصح ان يقال عن «تل بندري» الواقع في الشمال .

الواقعان في « تل بندري » و « تل مسعود » وقد انشأ في أول السور وفي
منتهاه في مكان اتصالها بحافة نهر دجلة .

اما مساحة أرض المعسكر بما فيها مساحة الشككات التي داخل السور، وهي
حوالي ٤٢٠ دونماً عراقياً، (مشارة) فتبلغ ثمانية وخمسون كيلومتراً مربعاً
(أي حوالي ٢٣٣٠٠٠ مشارة) .

ويجد القارئ في (رسم رقم ٢ ب) خارطة حقيقية تبين حدود السور
الخارجي للمعسكر وحدود الشككات التي داخل السور وقد رسمت بعد تقبم
آثارها وتدقيقها في مواقعها . ويشاهد في الخارطة المذكورة ان السور الخارجي
بعد أن يترك « تل بندري » الى يمينه في الزاوية التي يشكلها من الخارج باتصاله
مع حافة نهر دجلة يسير جنوباً بانحراف قليل نحو الغرب مسافة ١٢٠٠ متر، ومن
ثم ينعطف نحو الغرب وبعد أن يسير نحو ٦٠٠ متر في الاتجاه الأخير يرجع الى
الجهة الجنوبية الشرقية فيسير في هذا الاتجاه زهاء ٧٠٠ متر مشكلاً مثلثاً احدى
ضلعيه المستطيلتين في الشمال والآخرى في الجنوب وقاعدته تتكوّن من الفتحة
التي في الشرق بين الضلعين المذكورين . ويقترّب مجرى الاسحافي الذي ينحدر من
الشمال من الزاوية التي في رأس المثلث ومن هنا يلزم السور فيسير بمحاذاة من
الخارج حتى نهاية السور في الجهة الجنوبية الشرقية . ويوجد في آخر الضلع
الجنوبية المثلث باب رئيسي يواجه « القبلة » ، فتشاهد آثار بناء هذا الباب
وآثار قنطرة العبور على نهر الاسحافي الذي يسير بمحاذاة السور من الخارج .
وتشكل بقايا بناء الباب تلاماً من انقاض الآجر والجص ، أما قنطرة العبور التي
بجانب الباب غرباً فقد استخرج آجرها حتى اعتمق نقطة من الأساس . ومن
الباب يسير السور نحو الجنوب الشرقي بصورة متعرجة حتى اذا ما قطع مسافة
٦٠٠ كيلومتراً على هذه الصورة وصل الى جوار الزاوية الجنوبية الغربية
لحدود بناء الشككات المستطيل فيصبح على بعد مائتي متر عن تلك الزاوية . ويوجد

في هذه النقطة من السور مدخل رئيسي للمعسكر وللثكنات تقع عنده آثار برج كما تقع على جانبه من الخارج قنطرة عبور على مجري نهر الاسحاتي وفرعه اللذين يسيران بمحاذاة السور . وبهذا يشكل بناء الثكنات حاجزاً مستطيلاً يمتد على عرض المعسكر بين نهر دجلة والسور الخارجي للمعسكر، هذا باستثناء فتحة المائتي متر التي بين الركن الجنوبي الغربي للبناء والسور الخارجي للمعسكر . ومن هنا يستمر السور في سيره الى الجنوب الشرقي على شكل شبه قوس حتى اذا قطع مسافة ستة كيلومترات في هذا الاتجاه وصل الى ركن بارز يأخذ السور منه في اتجاهات هندسية مستقيمة في متعرجاته ، فينعطف نحو الجنوب الشرقي فيسير مسافة ٢٧٠٠ كيلومتراً في اتجاه مستقيم ثم يميل الى الشرق فيسير في اتجاه مستقيم هندسي أيضاً مسافة ١٩٠٠ كيلومتراً ، ومن ثم ينحرف الى الشمال الشرقي في اتجاه مستقيم فيسير مسافة ٣٠٠٠ كيلومتراً في هذا الاتجاه . ويقع على هذه الضلع الأخيرة مدخلان للمعسكر يشاهد الى جانبها آثار ابراج لحماية المدخلين المذكورين . ويصبح المعسكر عند هذين المدخلين في أوسع ساحاته بالنسبة الى المسافة التي تمتد عرضاً بين نهر دجلة والسور الخارجي ، حيث تبلغ هذه المسافة زهاء سبعة كيلومترات . وفي نهاية الضلع الاخير يخرج السور الى الشمال بانحراف قليل الى الغرب راجعاً الى حافة نهر دجلة فيشكل زاوية قائمة داخلها آثار برج كبير ، فيسير في اتجاه مستقيم مسافة ٢٠٠٠ كيلومتراً وينتهي في حافة مجرى دجلة عند « تل مسعود » الواقع داخل الزاوية التي يشكلها السور بانصاله مع حافة نهر دجلة .

ويعترض السور في اتجاهه الاخير نهر دجيل الحالي فيقطعه على مسافة كيلومتر واحد من « تل مسعود » جنوباً كما يعترضه أيضاً خط سكة حديد بغداد - سامراء وطريق بغداد - سامراء العام فيقطعانه على بعد حوالي كيلومتر من نهر دجيل جنوباً .



خارطة
تبيين حدود مصر الاسطى في سنة ١٨٠١ وسورة الخارطة
 كيلومتر ٢
 رقم ٢ (ب)

[رقي ساراه في عهد الخلافة العباسية - المذكور في سنة ١٨٠١]

اراضى المرعى (الباير) الجليل الجيش وكانت تروى
 من الفرع الاسفل الذي يخترقها

المنطقه التي كان يقطنها المصريون في عهد الفراعنة
 حدود سور مصر الاسطى الخارجى

بحري دجلة الخالي
 حدود سور مصر الاسطى القديم
 حدود سور مصر الاسطى الجديد

المنطقه التي كان يقطنها المصريون في عهد الفراعنة
 حدود سور مصر الاسطى الخارجى

ويتصل السور عند رأس الزاوية القائمة التي تشكلها الضلع الاخير المتجهة نحو دجلة مع الضلع التي قبلها بجدار مرتفع يعرف بـ «عركوب المطبك» ، وهو جدار ضخيم قديم مبني باللبن ومحصن بأبراج ضخمة يرجع الى ما قبل عهد العرب ، فكان يبدأ من ضفة نهر دجلة الغربية من قرب امام الخضر الحالي ثم يمتد في الجهة الجنوبية الغربية نحو أرض الجزيرة التي بين دجلة والفرات . ويوجد خلف الجدار من الجهة الغربية خندق عميق يسير الى محاذة الجدار ، ويظهر ان هذا الخندق كان يستمد المياه من ضفة نهر دجلة اليمنى فيؤلف حاجزاً مائياً خلف الجدار . وقد ظن المؤرخون والكتاب الافرنج بان هذا الجدار هو « سور الميدين » الذي ورد ذكره في الكتب اليونانية القديمة ، وسيأتي البحث عن ذلك في الفصل الثاني عندما نتطرق الى تطورات « سد عرود » ومنشئه .

وكان نهر الاسحاق الذي انشأه المعتصم يأتي من الشمال فيسير بمحاذاة سور معسكر الاصطبلات غرباً وجنوباً ثم بعد ان يقطع « جدار المطبك » وخندقه يسير شرقاً حتى ينتهي في نهر دجيل القديم فيصب فيه^(١) . ونهر دجيل هو النهر القديم الذي يقع شرقي « جدار المطبك » والذي يسميه الاهلون «عركوب الفرحاتية» وكان يتفرع من ضفة دجلة الغربية شرقي « تل مسعود » فيسير في الجهة الجنوبية الشرقية في وسط الجزيرة التي بين دجلة والفرات حتى ينتهي في منخفض عقرقوف ، وسيأتي البحث عن هذا المشروع العظيم في الفصول التالية^(٢) . ولاحاطة السور بخندق من المياه من اطرافه كافة فتح في شماله فرع من الضفة اليسرى من نهر الاسحاق في نقطة تقع مقابل « تل بندري » فيسير خلف السور في قسمه الاعلى الذي يمتد ما بين نهر الاسحاق ودجلة ثم ينصب في دجلة .

وهكذا احيط المعسكر بالمياه من كل اطرافه ، فنهر دجلة ودجيل يحده من

(١) راجع البحث الذي تقدم عن مشروع نهر الاسحاق في صفحة ٧٩

(٢) راجع الفصلين الثالث والحادي عشر .

الشمال والشرق ، ونهر الاسحاقى يحدّه من الجنوب والغرب ، ويحده في أقصى الشمال الفرع الذي يمتد ما بين نهر الاسحاقى ونهر دجلة امام « تل بندري » (راجع رسم رقم ٢ ب) .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان القدماء كانوا يحرصون الحرص كله على ان يجعلوا تحصيناتهم محاطة بحواجز من المياه على شكل خنادق عميقة تملأ بالمياه فيصعب عبورها بدون واسطة عبور أو سباحة ، لذلك نجد أن أكثر الأسوار والجدران القديمة التي نشاهدتها في مختلف أنحاء العراق ، ولا سيما تلك التي ترجع الى ما قبل عهد العرب ، تحاذيها خنادق عميقة لتحقيق هذا الغرض .

وكان نهر الاسحاقى عدا احاطته سور معسكر الاصطبلات بحاجز مائي يمون المعسكر بالمياه ، ولتحقيق هذا الغرض كانت هناك ثلاثة فروع رئيسية تنفرع من ضفته اليسرى فتخترق المعسكر ثم يصب بعضها في نهر دجلة والبعض الآخر في نهر دجيل الواقع في الجنوب . فالفرع الأول ، وهو الفرع الشمالي ، كان يتفرع في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين من جنوب شرقي المدخل الرئيسي للمعسكر ، وهو المدخل الواقع في القسم الشمالي من السور الخارجي ، فيخترق السور من تحته ، وبعد ان يمتد عرض المعسكر في القسم الواقع شمال غربي بناء الثكنات يصب في دجلة ويلى هذا الفرع الأوسط ، وهو الفرع الذي كان يتفرع من نهر الاسحاقى في نقطة تقع على بعد ١٨٠٠ متر من جنوب شرقي صدر الفرع الشمالي ، فيخترق السور من تحته ثم يتجه الى جهة الثكنات فيدخلها من الناحية الشمالية ، وبعد ان يخترقها يصب في دجلة أيضاً . وهناك ناظم خاص انشئ على نهر الاسحاقى في جنوب فوهة هذا الفرع مباشرة لحجز المياه امام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى الفرع المذكور . ويشتمل هذا الناظم على ثلاث فتحات ، ولا تزال آثاره ظاهرة في جنوب مأخذ الفرع مباشرة ، وقد استخراج آجر البناء الى حد الأساس بحيث ظهرت معالم الاساسات بكل وضوح ، فقدت أشبه

شيء بالحفائر الهندسية التي تحفر عادة قبل بناء أساسات الناظم . وفي جنوب هذا الناظم، على مسافة حوالي نصف كيلومتر من موضعه يتفرع الفرع الثالث ، وهو الفرع الجنوبي، فيسير بين نهر الاسحاقى وبين سور المعسكر مسافة ٨٠٠ متر ثم يدخل المعسكر من تحت سور الخارجى فيخترق قسمه الجنوبي الشرقى ويخرج من تحت السور أيضاً الى خارج المعسكر بالقرب من ملتقى السور بجدار المطبخ فيخترق جدار المطبخ وخذقه ثم يتجه نحو نهر دجيل القديم فيصب فيه على مسافة حوالي أربعة كيلومترات ونصف كيلومتر من مقدم مصب نهر الاسحاقى في نهر دجيل. وهناك ناظم ثان انشئ على نهر الاسحاقى في جنوب مأخذ الفرع الجنوبي هذا مباشرة لحجز المياه أمام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى الفرع المذكور، كما انشئ ناظم في فوهة هذا الفرع لتنظيم المياه التي تدخل اليه . ويستدل من آثار الناظمين المذكورين ان الناظم الواقع على نهر الاسحاقى يتألف من فتحتين والناظم الواقع في فوهة الفرع من فتحة واحدة . وقد انشئت على بعد مسافة قصيرة من جنوب فوهة هذا الفرع قنطرتان للعبور عند المدخل الى الثكنات احدهما على نهر الاسحاقى ، وهي ذات فتحتين، والاخرى على الفرع وتشتمل على فتحة واحدة .

ومما يلفت النظر ان قسماً كبيراً من أراضي المعسكر كان يستعمل لاحداث مصراع اصطناعية لجياد الجيش الامبراطوري ، واما القسم المبني ضمن السور الداخلى فكان معداً لسكنى الجنود والضباط . وكان بعض أراضي المعسكر وخاصة القسم الجنوبي الشرقى الذي يشكل أوسع بقعة داخل المعسكر (راجع رسم رقم ٢ ب) يغمر بالمياه من فروع نهر الاسحاقى المار ذكرها فيتكوّن بذلك المرعى المطلوب ، وهو ما نسميه « الجاير » . وكانت هذه الطريقة متبعة في القطر العراقى منذ أقدم الأزمنة وقد استمر استعمالها في المقاطعات الواسعة حتى شرع في تنظيم الري وسن قانون الري والسداد العراقى الذي يمنع احداث مثل هذه

المراعى في الاراضي الزراعية . واذا تصورنا وضع هذه الجياد وهي ترعى رعي الاغنام في داخل سور المعسكر اتضح لنا ضرورة تحقيق مشروع النهر الذي يفضي الى المعسكر لتأمين مياه الشرب لتلك الجياد فلا يضطر الجنود الى نقل مياه الشرب اليها من نهر دجلة .

بقي علينا ان نبحث عن تاريخ انشاء هذا المعسكر وعمن قام بأشائه، وهل كان من عمل المعتصم أو من عمل المتوكل أو غيره من خلفاء سامراء؟ ... واذا رجعنا الى المدونات التاريخية فالتا لا نجد فيها ما يوصلنا الى اية معلومات صريحة في هذا الصدد، لذلك كان لزاماً علينا ان نستند الى نتائج التبعات العملية حول صلة المعسكر بالاعمال الاخرى في سامراء، ولما كان مشروع نهر الاسحاقى أو ثقب دليل يستند اليه في التوصل الى معرفة العهد الذي انشئ فيه المعسكر، وكان هذا المشروع (نهر الاسحاقى) قد انشئ في عهد المعتصم، جاز لنا ان نستخلص من ذلك ان معسكر الاصطبلات كان من عمل المعتصم أيضاً بدليل ان فروع النهر كانت تفضي الى المعسكر. والظاهر ان من أهم الاغراض التي كان نهر الاسحاقى يرمي الى تحقيقها اقامة نهر جار على محاذاة السور الخارجي للمعسكر لتقوية وسائل التحصين خلف السور، وذلك بحسب القاعدة العسكرية التي كانت متبعة في ذلك الوقت، واعني انشاء الخنادق خلف الاسوار وأملأها بالمياه لتكوّن حواجز مائية تحول دون الوصول الى تلك الاسوار .

بقي علينا ان نتساءل الآن، هل كانت انشاء المعسكر أثناء اقامة المعتصم في القاطول أي أثناء شروعه في بناء عاصمته في القادسية التي تقع أمام معسكر الاصطبلات في الجانب الايسر من دجلة (١)، أم انه كان بعد عدول المعتصم عن فكرة انشاء المدينة في القاطول وانتهائه الى موضع سامراء؟؟ فالتا نرى ان المعتصم

(١) راجع البحث التالي الخاص بموضوع القادسية والقاطول في الفصل الرابع

شرع في بناء هذا المعسكر أثناء مكوثه في القاطول وبعد ان انتقل الى موضع سامراء واتجهت نيته الى بناء العاصمة هناك ارتأى ضرورة الاستفادة من موضع هذا المعسكر المنعزل فاضاف اليه سوره الخارجى كما انه أنشأ نهر الاسحاقى لتكوينه بالمياه واحداث المراعى للحياد واحاطة السور بخندق من المياه . ودليلنا على ما تقدم وجود كهارين وسط بناء الثكنات يستدل منها على ان المعتصم قبل ان يفتح نهر الاسحاقى كان قد استعان ببعض السكهارين التي تستمد مياهها من الينابيع الواقعة في منطقة الجزيرة غربى المعسكر لا يصال المياه الى داخل المعسكر.

ويرى السيد امير علي صاحب كتاب « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » ان المعتصم هو الذي شيد معسكر الاصطبلات ليستوعب جياد الجيش الامبراطوري وقد كان عددها ١٦٠ الف حصان (١).

والذي يلفت النظر ان المستر لاين صاحب كتاب « المشاكل البابلية » يذهب الى ان آثار نهر الاسحاقى واطلال معسكر الاصطبلات وما هناك من بقايا أبنية قديمة في هذه المنطقة اما تعود الى العهد البابلي وانها كانت تحصينات تتصل بمشروع « سد نمود » القديم ، ويضيف الى ذلك قوله ان ما ذكره المؤرخون العرب عن انشاء نهر الاسحاقى في عهد المعتصم غير صحيح ويورد مثالا لاختفاء الجغرافيين القدماء في وصفهم للجداول القديمة منها ما ذكره ابن سراييون من ان نهر دجيل كان يتفرع من نهر الفرات .

رأى هرزفولد في الاصطبلات

ومن الغريب ان يرى هرزفولد في آثار الاصطبلات الرأي الذي ابداه في كتاب أرسله الى المؤلف بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٧ انه يحتمل أن تكون هذه الآثار من بقايا اطلال قصر العروس الذي ورد ذكره في كتب المؤرخين من العرب،

(١) راجع الترجمة العربية بقلم رياض رأفت ص ٢٤٣

مستنداً في رأيه هذا الى ما جاء في كتاب الاغاني من وصف رحلة نهريه قام بها المتوكل يصحبه ولادة اليهود من سامراء الى قصر العروس. وفيما يلي ترجمة كلامه هذا، قال: «اما اطلال الاصطبلات فمن الصعب التوصل الى تشخيص ما كانت عليه اذا استندنا الى المدونات التاريخية، ولكن من المحتمل ان تكون بقايا قصر العروس الكبير فقد جاء في الاغاني (٩ : ٣٦) ان جماعة من المحتفلين ابجروا من جسر سامراء نهر آحتي وصلوا الى هذا القصر الامر الذي يدل على ان القصر كان على الضفة الغربية، وكان قد كلف انشاء هذا القصر مبلغاً كبيراً كما ذكر ياقوت (٣ : ١٧) لذلك يحتمل انه كان أوسع قصور سامراء» (١).

اما وصف الاغاني الذي أشار اليه هرزفد فهذا نصه : « أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هرون قال : لما عقد المتوكل لولاية اليهود من ولده ركب بسر من رأى ركبته لم ير احسن منها وركب ولاية اليهود بين يديه والاتراك بين ايديهم أولادهم يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب في ايديهم الطبرزيات المحلاة بالذهب ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس وأذن للناس فدخلوا اليه فلما تكاملوا بين يديه مثل ابراهيم بن العباس بين الصفيين فاستأذن في الانشاد فإذن له فقال :

ولما بدا جعفر في الخميس بين المطل وبين العروس

فيتضح من النص المذكور انه ليس فيه أية اشارة أو دليل على ان قصر العروس كان في الجهة الغربية من دجلة أو انه كان جنوبي سر من رأى أو

(١) فيما يلي نص كلامه بالانكليزية : -

«Istablal is difficult to identify with any literary notice, but it is possibly the very large Qasr al-Arus (al-aghani 9, 32) where a great procession sails from the Samarra bridge down river, to this castle which therefore was on the western bank. It was the most expensive (Yakut 3, 17) hence probably the largest.

شماليهما . ولا ندرى كيف توصل هرزفد الى الرأي الذي تقدم ذكره في حين ان كل ما في الاصطبلات من الآثار ينطق بكونها نكبات للجيش ، وقد يكون في التسمية وحدها المتوارثة حتى اليوم ، أي الاصطبلات ، كفاية للدلالة على انها كانت اصطبلات الجيش العباسي .

٥ - المرحلة الثانية لانشاء مدينة سامراء - عهد المتوكل

بجئنا فيما تقدم عن المرحلة الأولى لانشاء مدينة سامراء التي تنحصر في عهدي المعتصم والواثق ، ونبحث الآن عن المرحلة الثانية التي ترجع الى عهد المتوكل (١) ، وهو العهد الذي دام خمسة عشر عاماً بين سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦ م)

(١) هو جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمتنصر بالله ثم لقبه احد ابن ابي دواد المتوكل على الله ويكنى بأبي الفضل . ولد في شوال سنة ست ومائتين للهجرة وبويع له يوم وفاة أخيه الواثق في ٢٤ ذى الحجة عام ٢٣٢ هـ . وقد سماه بعض الكتاب « نيزون العرب » لشدة بأسه و تصرفاته الجائرة ، ومن جملة اعماله انه اقصى احرار الفكر عن وظائف الدولة وعطل المحاضرات التي كانت تلقى في العلم والفلسفة واصدر امره بترك المباحثات والمناظرات وامر الناس بالتمسك بالتقليد . ويقال انه لم يكتف باضطهاد احرار الفكر حسب ، بل اوغل أيضاً في اضطهاد الذميين الذين قلسوا في خلال حكمه أشد ضروب الجور والابذاء ، اذ اتصام عن وظائف الدولة وحرهم جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد اسلافه . وبلغ به كرهه للموليين ان هدم في سنة ٢٣٦ هـ قبر الحسين (ع) بكر بلا . وقضى في عهد خلافته على المعتزلة وم اصحاب مذهب الاعتزال الذي كان قد نشأ في عهد المأمون (راجع ماتقدم عن موقف المعتصم من هذا المبدأ في صحيفة ٤٧ حاشية ١) .

وعلى العموم ان عهد المتوكل يعد بداية انحلال الامبراطورية العربية وتسرب الفساد في جسم الدولة ، وقد انتهز الروم فرصة انتشار هذه الفوضى واستأنفوا حروبهم ، فأغاروا على دمياط من اعمال مصر ثم غزوا كيكيا واسروا منها خلق كثير وذبجوا ١٢٠٠٠٠ بعد ان مثلوا بهم شر تمثيل بأمر الامبراطورة «نيودورة» ولم ينج من هذا الاعتداء الا من اعتنق المسيحية . ولما بلغت تصرفات المتوكل حداً لا يطاق تأمر عليه القواد الانراك وقتلوه وهو نمل في قصره بالتوكية زأي امي قصر الجعفري وكان ذلك ليلة ٣ شوال عام ٢٤٧ هـ ، ودفن في القصر الجعفري . ويقال ان ابنه المتنصر كان يعلم بسر المؤامرة التي دبرت لقتله ، والمعروف انه لم يكن راضياً عن تصرفات أبيه الجائرة .

و٢٤٧ هـ (٨٦١ م) . لقد امتاز عهد المتوكل بكثرة المشاريع العمرانية التي اقيمت في عاصمته وبجسامة النفقات التي بذلت في هذا السبيل ، فقد كان للمتوكل ولع خاص بهذه المشاريع ، ففي عهده انشئت عدة قصور نفحة وعدة مشاريع للري ، كما انشئت في هذا العهد أيضاً « مدينة المتوكلية » في اقصى الشمال (١) ، واختطت شوارع جديدة منها الشارع الاعظم الذي انشئ بعرض حوالي مئة متر وطول ١٢ كيلومتراً تقريباً . وعلى العموم ان مدينة سامراء بلغت أوج ازدهارها وتوسعا في هذا العهد الذي يصح ان يعد العصر الذهبي لعاصمة الامبراطورية العباسية من حيث عمرانها وتنسيقها .

ومما ذكره ياقوت في معجمه عن الحركة العمرانية في عهد المتوكل قال :
 « ولم يكن أحد من الخلفاء بسر من رأى من الأبنية الجميلة مثل ما بنى المتوكل فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم والقصر المختار خمسة آلاف الف درهم والوحيد النى الف درهم والجعفري المحدث عشرة آلاف الف درهم والغريب عشرة آلاف الف درهم والشيدان عشرة آلاف الف درهم والبرج عشرة آلاف الف درهم والصبيح خمسة آلاف الف درهم والمليح خمسة آلاف الف درهم وقصر بستان الايتاخية عشرة آلاف الف درهم والتل علوه وسفله خمسة آلاف الف درهم والجوسق في ميدان الصخر خمسمائة الف درهم والمسجد الجامع خمسة عشر الف الف درهم وبركوان (بركوارا) للمعز عشرين الف الف درهم والقلائد خمسين الف دينار وجعل فيها أبنية بمائة الف دينار والغرد في دجلة الف الف درهم والقصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة خمسين الف الف درهم والبهو خمسة وعشرين الف الف درهم واللؤلؤة خمسة آلاف الف درهم فذلك الجميع مائتا الف الف واربعم وتسعون الف الف درهم » .

ويستدل مما تقدم ان مجموع ما انفق المتوكل على قصوره بلغ ثلثمائة مليون

(١) راجع البحث التالي الخاص بانشاء مدينة المتوكلية في هذا الفصل .

دوم وأي من المي التي عشر مليون دينار بائنا ان اللرام كانت من أيام
التوكل كل حبة وشرين عروها دينار - ذوق السوي يافا التفتات
التي ينطق للتوكل في سبيل مشروعة المبراة في مر من رأى ان يقول لا وقد
قبل انه لم تكن التفتات في عصر من الاحبار ولا وقت من الاوقات مثالا في
أيام التوكل



الخليفة المتوكل على الله
(٢٣٢-٥٢٤٧هـ)

وقد وسم التوكل مدينة من رأى من الشرق والجنوب والشمال والفتح
من الشرق خارج خلف في خارج من بلاد التوكل في بلاد الشام والأردن وهو

(١) وان كان الذي تقدم عن هذا التاريخ من التوكل لا و...



محمد بن الفقيه عتيق بن الفقيه عتيق
(٧٥٦٩-٧٦٦)

درهم ، أي حوالي اثني عشر مليون دينار باعتبار ان الدراهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهماً بدينار . ويؤيد المسمودي بهأظة النفقات التي بذها المتوكل في سبيل مشروعاته العمرانية في سرّ من رأى إذ يقول: « وقد قيل انه لم تسكن النفقات في عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها في أيام المتوكل » .

وذكر المسمودي في « مروج الذهب » ان « المتوكل احدث في ايامه بناء لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالحيري والسكين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني قصرأ احدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة ، على صورة الحرب وهيئته لهجته بها وميله نحوها لثلا يغيب عنه ذكرها في سائر احواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر ، والسكان ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما السكان من يقرب منه من خواصه ، وفي اليمين منها خزانة السكوة ، وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر والسكين والابواب الثلاثة على الرواق ، فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والسكين ، اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك اتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية . ويحتمل ان يكون قصر الحير الذي وصفه ياقوت بقوله انه « اسم قصر كان بسامراء انفق على عمارته المتوكل أربعة آلاف الف درهم ثم وهب المستعين انقاضه لوزيره احمد بن الخصب فيما وهبه له » قد سمي بهذه التسمية لطرز بنائه الحيري المتقدم الذكر .

أ - شارع الاسكر (العسكر ؟) والحير الجربير

وقد وسع المتوكل مدينة سرّ من رأى من الشرق والجنوب والشمال ، ففتح من الشرق شارعين خلف « شارع برغامش التركي » (١) ، الشارع الأول ، وهو

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذا الشارع في الصفحتين ٦٥ و ٦٦

المجاور لشارع برغامش يسمى « شارع صالح العباسي » ، وهو « شارع الاسكر (العسكر؟) » فيه قطائع الاتراك والفراغنة والاتراك أيضاً في دروب منفردة والفراغنة في دروب منفردة ممتد من المطيرة الى دار صالح العباسي التي على رأس الوادي ويتصل ذلك بقطائع القواد والسكتاب والوجوه والناس كافة^(١). وعلى الأرجح ان المقصود بـ « رأس الوادي » رأس « وادي اسحق بن ابراهيم » الذي تقدم البحث عنه^(٢). أما الشارع الثاني الذي خلف « شارع الاسكر » ، فيقال له « شارع الحير الجديد » فيه اخلاط من الناس من قواد الفراغنة والاسروشنية والاشتاخنجية وغيرهم من سائر كور خراسان^(٣). وبذلك بلغ عدد الشوارع الموازية لنهر دجلة على طول مدينة سامراء سبعة شوارع، وأولها من جهة الغرب « شارع الخليج » وآخرها من جهة الشرق « شارع الحير الجديد » .

وكانت الشوارع الاربعة الاخيرة ، وهي « شارع الحير الأول » و« شارع برغامش التركي » و « شارع الاسكر » و « شارع الحير الجديد » تسمى « طرق الحير » .

ب - هائر الحير^(٤)

كان المعتصم قد بنى حائطاً في نهاية الأبنية من جهة الشرق سماه « حائر الحير »

(١) انظر « كتاب البلدان » لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٢٩

(٢) انظر البحث الذي تقدم عن هذا الوادي في صفحة ٦٢

(٣) انظر « كتاب البلدان » لليعقوبي ص ٢٩

(٤) قال ياقوت ان الحائر هو في الأصل حوض يصب اليه مسيل الماء من الامطار فهي بذلك لان الماء يتحير فيه برجم من اقضاء الى ادناه ... وقال الاصمعي يقال للهوض المطئن الوسط المرتفع الحروف حائر وجمه حوران واكثر الناس يسمون الحائر الحير . . . وقال أبو القاسم علي بن حمزة البصري راداً على ثعلب في الفصيح قيل الحائر لهذا الذي يسميه العامة حيرا وجمه حيران وحوران .

وكان الحائط ممتداً على طول حدود البناء الخارجية بين «الجوسق» و«المطيرة»، واحتفظ بالسهل الواسع الذي في ظهر سر من رأى شرقاً، إلا أنه لما اتسعت حدود البناء في تلك الجهة على عهد المتوكل انشئ حائط غيره على الحدود الجديدة للبناء التي في ظهر «شارع الحير الجديد». فكان هذا الحائط يحد الأراضي المنبسطة الواسعة الواقعة إلى شرقيه وهذه سميت بـ «ساحة الحير» نسبة إلى «حائر الحير» وإلى طرق الحير التي تمتد على محاذاته (١). ولا تزال آثار هذا الحائط تشاهد في جنوب شرقي مدينة سامراء الحالية فتمتد من قرب «وادي الموح» الواقع جنوبي مدينة سامراء الحالية مباشرة في خط هندسي مستقيم إلى الجهة الجنوبية الشرقية حتى تتصل بالركن الجنوبي الغربي لسور حديقة المتوكل لاوحوش (٢)، فيتكوّن باتصال هذين الحائطين مثلث رأسه في نقطة اتصال الحائطين وضلعا «حائط الحير» من جهة الشرق وحائط حديقة الحيوانات من جهة الغرب (راجع الرسم رقم ١٣ واللوحة رقم ٢).

وكان على هذا الحائط باب رئيسي يقع في ظهر مدينة سامراء الحالية جنوبي المسجد الجامع الكبير المعروف بـ «مسجد الملوية» (٣) فيصل مدينة سر من رأى وقصورها الرئيسية بساحة الحير الواقعة خارج المدينة شرقاً، وكان يعرف هذا الباب باسم «باب الحير». وقد ذكر الطبري «باب الحير» هذا في عدة مناسبات فيما كتبه عن الحوادث التاريخية في سامراء العباسية فقال إنه يقع بما يلي «الجوسق» (٤) وما يلي «قبلة المسجد الجامع» (٥).

(١) راجع البحث التالي الخاص بساحة الحير في هذا الفصل.

(٢) راجع البحث التالي الخاص بحديقة المتوكل لاوحوش في هذا الفصل وفي الفصل السادس.

(٣) راجع البحث التالي الخاص بالمسجد الجامع الكبير في هذا الفصل.

(٤) حول الجوسق انظر ما تقدم في صفحة ٧٤

(٥) راجع الطبري (٣ : ١٤٧٢ - ١٤٧٥ - ١٧٨٧ - ١٧٨٩ - ١٨٠٢ - ١٨٠٤)

وقد ورد ذكر « حائط الحير » فيما دونه المؤرخون عن بعض الحوادث التاريخية المتصلة بذلك العهد ، فسمي باسم « حائط الحير » مما يدل على انه كان حائطان ينفصل أحدهما عن الآخر ، فروي الطبري حادث أسر بابك وذهاب المعتصم متنكراً الى المطيرة ليزور الافشين على أثر رجوعه من حملته قال « ان المعتصم ركب اليه بين الحائطين في الحير فدخل عليه متنكراً الخ ... »^(١) وقال أيضاً انه لما مات احمد بن اسرائيل سنة ٢٥٥ هـ دفن بين الحائطين^(٢) . وجاء ذكر الحائطين أيضاً فيما رواه الطبري عن بعض الحوادث التي تتصل بعهد المهدي .

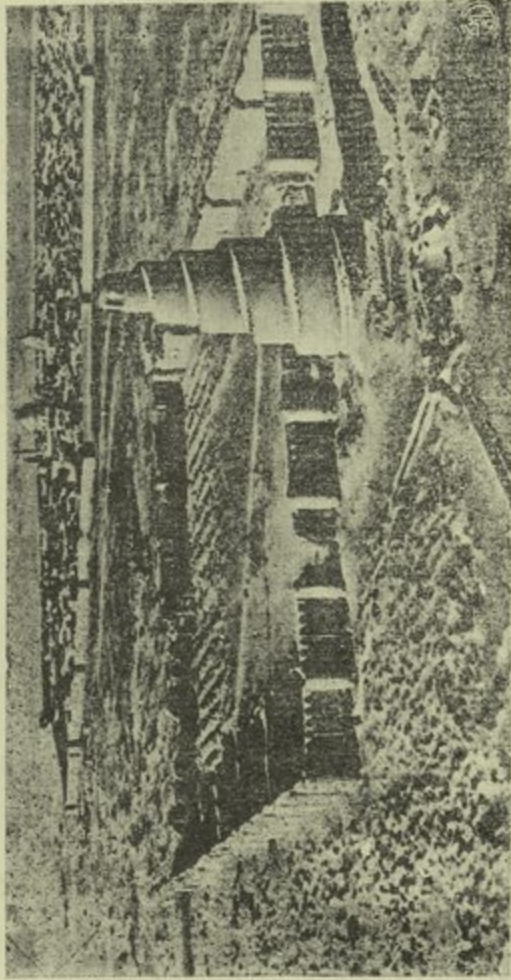
ج - المسجر الجامع الكبير

وانشأ المتوكل في حدود الحير خارج البناء مسجداً جامعاً واسماً ليحل محل الجامع القديم الذي كان قد انشأه المعتصم على شارع السريحة والذي على حد قول البيهقي ضاق بالناس فهدمه المتوكل وبنى عوضاً عنه هذا الجامع الكبير^(٣) . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان المتوكل « اقطع الناس في ظهر سرّ من رأى في الحير الذي كان احتجره المعتصم واتسع الناس بذلك وبنى مسجداً جامعاً فاعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو اصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول » . وقريب من هذا ما رواه البلاذري ونصه : « لما استخلف المتوكل هارون الواثق بالله في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فاقام بالهاروني وبنى بناء كثيراً وأقطع الناس في ظهر سرّ من رأى بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجره بها فطاع فأتسعوا بها وبنى مسجداً جامعاً كبيراً واعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته لتعلو اصوات المؤذنين فيها حتى نظر اليها من فراسخ ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول » .

(١) راجع الطبري (٣ : ١٢٣٠)

(٢) الطبري (٣ : ١٧٢٣)

(٣) راجع ما تقدم في صفحة ٦٤



تصوير رقم ٥٠ - مدينة سامراء الحالية وبقايا الجامع الكبير ومئذنة الملوية (صورة جوية)

ويشاهد المرء آثار المسجد الجامع هذا مع مئذنته المعروفة باسم « الملوية » شمالي شرقي مدينة سامراء الحديثة مباشرة، وهي تعد من أهم الآثار الماثلة للعيان من مدينة سامراء القديمة، ويمتاز هذا الجامع مع مئذنته عن بقية الجوامع بفسحته وضخامته وبمئذنته الغربية . أما بناء الجامع فلم يبق منه غير جدرانها الخارجية التي تحيط بساحة مستطيلة طولها نحو ٢٤٠ متراً وعرضها ١٥٨ متراً، ويبلغ ارتفاع الجدران زهاء عشرة امتار وتضمنها حوالي المترين وهي مبنية بالآجر . وقد دعمت هذه الجدران من خارجها بأبراج نصف دائرية وعددها اربعون برجاً (راجع رسم ٣ ولوحة رقم ٧ وتصوير رقم ٥) .

وكان في جدران المسجد واحد وعشرون باباً تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة أكبرها ٧٥ متراً وسعة اصغرها ١٥٠ متراً . ومن هذه الابواب خمسة في الضلع الشمالي لحائط المسجد وثمانية في كل من الضلعين المستطيلتين اللتين في الشرق والغرب ، وتتفق مواقع الابواب في الحائط الشرقي مع مواقع أبواب الجانب الغربي . أما الضلع الجنوبية فلا يوجد فيها غير المحراب الذي يواجه « القبلة » . وقد اختيرت مواقع الابواب بحيث تتفق ونظام الاروقة في حرم المسجد .

ويستدل من استكشافات هرزفد على انه كان في حرم المسجد ٢٥ رواقاً الاوسط منها اكثر اتساعاً من البقية و ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل منها عشرة عمد ، هذا عدا الايوان الشمالي وفيه ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها ثلاثة عمد والرواقين الجانبيين في كل منها ٢٢ صفاً من الاعمدة في كل صف منها أربعة عمد . وبذلك تكون جملة عدد الاعمدة ٤٨٨ عموداً . وكانت السقوف ترتكز على العمدة مباشرة دون طيقان من البناء .

أما المحراب فهو مستطيل اذ يبلغ عرضه ٢٥٩ متراً وعمقه ١٧٥ متراً، وكان يحف به من الجانبين زوجان من اعمدة الرخام وردية اللون ذات قواعد وتيجان

على شكل الساعة كانت قد جلبت من عينتاب . وكان يرتكز على هذه الاعمدة عقدان رأسيان (Pointed) يضمها إطار مستطيل يرتفع بارتفاع المسجد .

وكان في وسط صحن المسجد فوارة عظيمة وهي التي ذكرها اليعقوبي بقوله « وجعل فيه (اي المسجد) فوارة ماء لا ينقطع مأواها » ، ووصفها المستوفي بأنها كانت من قطعة واحدة من الحجر محيطها ٢٣ ذراعاً وارتفاعها سبعة اذرع ونحوها نصف ذراع وكانت تعرف بـ « كأس فرعون » . وروى المستوفي أيضاً ان مؤذنة المسجد كان ارتفاعها ١٧٠ ذراعاً يرقى اليها من الخارج وهي منفردة في طرازها ولم يبن نظيرها من قبل . وقد عزا المستوفي بناء الفوارة والمؤذنة الى المعتصم على ان المصادر التاريخية تشير الى انها تعود الى عهد المتوكل .

وقد اثبتت حفريات هرزفد ان الاساس الاسطواني لقاعدة الفوارة كان مبنياً بالطوب ومونة الجير والرماد . اما كأسها فكانت مرتكزة على قاعدة مكسوة بالرخام وقد عثر بجوار الفوارة خارج الاساس الاسطواني على قطع من اعمدة الرخام والتيجان وعلى زخارف جصية منقوشة ومذهبة ومحلاة بالنسيفساء الزجاجية . ولذلك يظن أن قد كانت هناك سقيفة من الخشب محمولة على دائرة من الاعمدة مرفوعة فوق هذه النافورة المسماة « كأس فرعون » .

وقد ثبت لنا من تدقيقاتنا ان الفوارة هذه كانت تستمد مياهها من القناة التي انشأها المتوكل لا يصل المياه الى مدينة سر من رأى ، وهي القناة التي كانت تبدأ من شمالي الدور فتسير الى مسافة حوالي أربعين كيلومتراً حتى تصل الى قلب العاصمة^(١) .

ويستدل من حفريات هرزفد في منطقة المسجد على انه كان يحيط بالمسجد سور عظيم من الآجر من جوانبه الشرقية والغربية والجنوبية، وكان يحيط بهذا المستطيل

(١) راجع البحث التالي الخاص بهذه القناة في الفصل الخامس .

العظيم من جوانبه الاربعة سور آخر يفصله عن السور الاول فضاء مكشوف عظيم الاتساع في الشرق والجنوب والغرب واكثر ضيقاً في الشمال . ويتضح من حفريات هرزفلد في سنة ١٩١٢-١٩١٣ ان اضلاع السور الخارجي كانت تبلغ 244×376 متراً اي ان مساحة المسجد والزيادات التي في خارجه كانت تربي على ١٧ هكتاراً أو اكثر من ٦٨ دونماً عراقياً (مشارة) .

اما المئذنة الملوية فتقع على بعد ٢٥ متراً من حائط المسجد الشمالي، وعلى محوره الاوسط تماماً، وطول ضلع قاعدتها المربعة ٣٢ متراً وهي تتصل بالمسجد باساس عرضه ١٣ متراً، وتعلو هذه القاعده مئذنة حلزونية ذات مرقى سعته ٢٥٠ متراً يبدأ من وسط الجانب الجنوبي للقاعدة ويدور في اتجاه عكس عقارب الساعة حتى تم دورات خمس . ويعتقد هرزفلد ان هذا المرقى كان به قديماً ستائر خشبية لان الدرجات تقوياً يظن انها عملت لتثبيت قوائم هذه الستائر الخشبية . وترتفع قمة المئذنة عن القاعدة المذكورة بمقدار خمسين متراً. وفي القمة ثمانية ثقبوب استنتج هرزفلد من وجودها انه ربما كانت تغطي هذا الموضع سقيفة مرفوعة على ثمانية اعمدة خشبية مثبتة في هذه الثقبوب (١) .

ويتفق علماء الآثار بان فكرة بناء مئذنة ذات مرقى حلزوني كالمئذنة التي تقدم وصفها مشتقة من الزيجورات البابلية القديمة لانها على طراز الزقورة التي كان يتخذها الصائبة من السكلدانيين والحرثانيين والبابليين في بيوت عباداتهم وكان يسميها العرب الهيكل .

وقد بلغت النفقة على المسجد خمسة عشر الف درهم كما روى ياقوت الحموي أو مايساوي ستمائة الف دينار . اما تاريخ انشائه فقد ذكر سبط بن الجوزي ان البدء ببنائه كان سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٩ م) وكان الانتهاء منه في سنة ٢٣٧ هـ (٨٥٢ م) .

(١) راجع رسم المئذنة الملوية على الغلاف .

وأشار اليعقوبي الى ان المتوكل «جعل الطرق الى المسجد من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رباح في كل صف حوانيت فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء اثلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله ومن كل صف الى الذي يليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدروب واتسع أهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق التي في صفوف المسجد الجامع ، واقطع نجاح بن سامة السكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد واقطع احمد بن اسراييل السكاتب أيضاً بالقرب من ذلك ، واقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من السكاتب والقواد والهاشميين وغيرهم» (١).

يتضح مما تقدم ان الشوارع الثلاثة التي كانت تؤدي الى المسجد كانت تنزل من الشمال من جهة وادي ابراهيم بن رباح فتفضي الى مئذنة الملوية ثم الى المسجد في جانب الحائط الشمالي الذي كانت فيه خمسة ابواب وهي الابواب المقابلة للقبلة. ومما يلفت النظر ان هرزفلد رسم هذه الشوارع الثلاثة في الخارطة التي وضعها عن سامراء القديمة بحسب وصف اليعقوبي وهي صاعدة من الجنوب الى الشمال نحو الحائط الجنوبي للمسجد ، وهو الحائط الذي يقع فيه المحراب وكان بدون ابواب . ولا شك ان ذلك بعيد كل البعد عن الواقع وهو لا يتفق ووصف اليعقوبي الذي يشير بصورة واضحة الى ان الشوارع الثلاثة كانت تنزل من جهة وادي ابراهيم بن رباح، وهو الوادي الواقع في الشمال. وفضلاً عن ذلك لا يمكن تصور هذه الشوارع في جنوب المسجد في حين ان الخلفاء كانوا يسكنون في القصور الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد كقصر الجوسق وقصر الهاروني . ثم ليس من المعقول ان تتجه الشوارع في اتجاه حائط القبلة الذي يقع فيه المحراب وهو بدون أي مدخل .

(١) «كتاب البلدان» لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٣٢

وفيما ذكره الطبري عن حادث مقتل موسى بن بغا في سنة ٢٥٦ هـ دليل واضح على أن الطريق المؤدي الى المسجد بين الجوسق والمسجد كان من جهة مئذنة الملوية أي من الشمال ، فقال الطبري مانصه : « وفي سنة ٢٥٦ اخرج العامة موسى بن بغا من داره ثم اخرجوه من باب الحير الذي يلي قبلة المسجد الجامع ليذهبوا به الى الجوسق فلما صاروا به الى حد المنارة ضربه رجل من اصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه الخ ... »^(١)

ويشاهد بجانب المسجد وعن شماله من الغرب سور من اللبن يسمى « سور عيسى » أو « سور ام عيسى » يضم داخله بقايا بناء ، ولا يعلم على التحقيق من هو هذا عيسى هل هو عيسى بن علي أو عيسى بن موسى العباسي ، لان اليعقوبي لم يذكره في كتاب البلدان عند ايراده الاقطاعات التي اقطعها الخليفة أصحابه. وبناء هذا السور من اللبن طوله ٣٦٠ متراً وعرضه ٢٠٠ متر. ويشاهد المرء وراء السور على مسافة ٢٠٠ متر عنه تلولاً كثيرة كشف الدكتور هرزفند عن قسم منها يعرف باسم « دار بهلول » فظهرت فيه أبنية هي عبارة عن غرف متصلة بعضها ببعض وبنائها باللبن ومطلّى خارجها بالجص وعلى الجص غشاء من البورق ، كما يشاهد على كيلو مترين من السور شمالاً آكام وتلول على جانبي الطريق الذي في الحدود الشرقية للاطلال تعرف الآن بـ « مدق الطبل » ، وقد دات التنقيبات فيها انها كانت دوراً واسعة تشتمل على كثير من الحجرات كلها مزينة بالزخارف والتخاريم الجصية .

ر - هير الحيوانات وبركة الحمري

وقد وسع المتوكل حدود مدينة سرمن رأى فامتد العمران خلف حدود طرق الحير في الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد الجامع ، وكان من جملة مشاريعه

(١) الطبري (٣ : ١٨١٠)

في تلك الجهة انشاء حديقة واسعة للحيوانات الوحشية . ولا تزال آثار السور الذي كان يحيط بهذه الحديقة باقية حتى الآن شرقي حدود بناء سامراء القديمة، فيبلغ مجموع طول محيط هذا السور حوالي ثلاثين كيلومتراً يضم مستطيلاً تزيد مساحته على العشرين الف دونم عراقي (مشاركة) . ويحتوي هذا المستطيل على ساحة واسعة تعد من أجمل الاراضي السهلة الخصبة في منطقة سامراء . وكانت البركة الجعفرية المشهورة التي وصفها البحري في قصيدته المقصورة ضمن هذه الحديقة الواسعة ، كما كان امام البركة قصر نغم يستدل من آثاره على انه كان أحد قصور الخليفة المعدة لزهته .

وتتجه الضلعان الجانبيتان لسور الحديقة نحو الشمال تماماً فتتصل الضلع الغربية بـ « حائر الحير » في منتهى هذا الضلع من الجنوب في نقطة تقع على بعد أحد عشر كيلومتراً تقريباً من المسجد الجامع ، غير ان الضلع المذكورة تقترب من المسجد في حدها الشمالي حيث لا تتجاوز المسافة بين ذلك الحد وبين المسجد الستة كيلومترات (راجع رسم رقم ١٣ ولوحة رقم ٢ ولوحة رقم ٧) .

ويلاحظ ان هرزفلك كان يظن بان حديقة الحيوانات هذه كانت تقع في شمال المسجد الجامع أي في الطرف الشرقي لدار العامة وان حلبة السباق التي خلف الدار (راجع ص ٧١) تقع في الحديقة نفسها . وكان يظن أيضاً ان « حائر الحير » كان في ذلك الموضع أيضاً ، فرسمه في ظهر الحديقة من الغرب ، وهذا في حين أن حائر الحير كان يمتد من قرب سامراء الحالية الى الجنوب الشرقي ، وبعد أن يقطع مسافة ١٢ كيلومتراً في هذا الاتجاه يتصل بحير الحيوانات الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد^(١) . ويظهر انه بعد ان وقف على ما توصلنا اليه من نتائج في صدد موضع حير الحيوانات عاد فغير رأيه هذا وكتب مؤيداً بان السور الذي أشرنا اليه وهو السور الذي في جنوب شرقي المسجد هو سور

(١) راجع ما تقدم عن « حائر الحير » في صفحة ١٠٦

خير الحيوانات الذي كان يتصيد الخليفة فيه ، وان حائر الحير يقع هناك (١) .

هـ - ساحة الحير وهلبات السباق ونزل العليين

وكانت هناك خلف حدود البناء الخارجية لمدينة سر من رأى في الفسحة التي بين تلك الحدود وبين حير الحيوانات ساحة واسعة تعرف بـ «ساحة الحير» وهذه تقع بين ضفة القاطول الكسروي الغربية وحدود مدينة سر من رأى الشرقية، وكانت حلبة السباق تقع في الجهة الشمالية من هذه الساحة كما كانت الجهة الشرقية من دار الخليفة وقصر الجوسق تطل عليها . وكانت هذه الساحة مركزاً للمظاهرات تحتشد فيها الجموع والمواكب في الثورات المحلية كما كانت تقام فيها المناورات العسكرية وما أشبه ذلك . وكثيراً ما كان يعسكر فيها الجنود في مثل هذه الحالات . ففي حوادث الفتن التي وقعت في عهد المهدي عسكر المهدي مع جنوده في هذه الساحة، وهذا نص ما كتبه الطبري في هذه الحوادث قال: «ان المهدي بعد أن خرج من الجوسق عسكر في ساحة الحير بالقرب من موضع الحلبة وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب في الحير» (٢) .

ويشاهد في غربي ساحة الحير هذه على الحدود الشرقية لمباني سامراء القديمة آثار ثلاث حلبات سباق أحدثها وأكثرها تنسيقاً تلك التي تقع في حدود الحير شمال شرقي المسجد الجامع الكبير بقليل ، وهي مكونة من أربع حلقات كبيرة حول مربع مركزي فيه دكة مرتفعة معدة لجلوس الخليفة وحاشيته . ويبلغ طول الدورة الكاملة في هذه الحلقات المتتالية ما يزيد على خمسة كيلومترات في حين ان البعد الاعظم من الدكة المركزية على طول هذه الحلقات تقل عن ٦٠٠ متر . وهكذا كان المتسابقون يقطعون في هذه المساحة مسافة طويلة دون أن

(١) راجع البحث التالي الخاص بحير المتوكل للوجوش وبرة البحري في الفصلين السادس والسابع .

(٢) راجع الطبري (٣ : ١٨٠٤)

يتباعدوا عن الدكة المركزية أكثر من ستمائة متر في جميع الاحوال ، والارجح
 ن هذه الحلبة هي نفس الحلبة التي أشار اليها الطبري (راجع الرسمين ٣ و ١٣
 واللوحتين رقم ٢ و ٧) .

اما الحلبتان الاخريان فتتكون كل منهما من حلقة واحدة مستطيلة يبدأ
 داخلها ضيقاً من أحد رأسي الحلقة ثم يتوسع تدريجياً على طول الحلقة حتى يبلغ
 أقصى سمته في الرأس الثاني . وأولى الحلبتين وهي أقدم الحلبات الثلاثة تبدأ
 عند الحدود الشرقية لبيت الخليفة وذلك من الرأس الضيق للحلقة فتمتد طولاً
 الى جهة الشرق الى داخل ساحة الخير حتى تنتهي بالقرب من الضفة اليمنى لنهر
 القاطول^(١) حيث تقع الجهة الواسعة للحلقة . ويبلغ طول الحلقة بين الرأسين
 حوالي خمسة كيلومترات في حين ان محيطها يبلغ أكثر من عشرة كيلومترات .
 ونظراً لانصال هذه الحلبة ببيت الخليفة قد يكون من المناسب أن نطلق عليها
 اسم « حلبة بيت الخليفة » لتمييزها عن الحلبات الاخرى المجاورة لها^(٢) .

اما الحلبة الثانية فتتكون من حلقة مستطيلة أيضاً وتختلف عن حلبة بيت
 الخليفة في كونها تبدأ عند تل اصطناعي يقع في الشمال . ويرتفع هذا التل بحيث
 يشرف على جميع منطقة سامراء ، والتل المذكور مخروطي الشكل ويدعى « تل
 العليج » (تل العليق) ، وكان فوق قوته بناءً يحتمل انه « قصر التل » الذي
 ورد ذكره في معجم ياقوت والمصادر العربية الاخرى . ونظراً لانصال هذه الحلبة
 بالتل المذكور فقد يصح لنا ان نطلق عليها اسم « حلبة تل العليق » . وتبدأ هذه
 الحلبة عند تل العليق المار الذكر وذلك في الرأس الضيق لحلقة الحلبة فتمتد الى
 الجنوب مخترفة في امتدادها الرأس الغربي لحلقة حلبة بيت الخليفة حتى تنتهي
 قرب المسجد الجامع الكبير . ولم يبق من معالم هذه الحلبة إلا الجانب الشرقي

(١) راجع البحث التالي عن القاطول السكروني في الفصل الثالث .

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن حلبة سباق بيت الخليفة وساحة اللعب في صفحة ٧١

للحقلّة ، الذي يمتد مسافة خمسة كيلومترات تقريباً ، حيث ينتهي أمام المسجد الجامع الكبير من جهة الشرق. اما الطرف الغربي فقد سحت معالمه الحلبة الاخيرة ذات الاربع حلقات التي تقع فيه تماماً (راجع رسم رقم ٣) .

ويعد تل العليق من أهم المواقع الأثرية في سامراء التي تسترعي التفات الزائر فانتا اذا ألقينا نظرة على تصويره المأخوذ من الجو نجد انه محاط بخندق واسع ، كما نشاهد حوله معالم سور مستدير والى شماله طريقاً منحدرأً من قمته يعبر الخندق ، وربما كانت عليه قنطرة ، ثم يستمر في اتجاهه ما بين الخندق والسور ، ومنه الى مسافة نصف كيلومتر تقريباً . ويبلغ عمق الخندق نحو ثلاثة امتار ، وقطر التل مائتي متر ، واما قطر السور المحيط به وبالخندق فنحو اربعمائة وخمسين متراً . وتوجد في شمال التل مباشرة اطلال تسمى « تلول المدرسة » ، ومن المرجح ان تكون هذه الاطلال من بقايا مقصورة كانت معدة لراحة الخليفة وحاشيته ولتناول الطعام فيها أثناء حفلات السباق ، ودليلنا على ان هذه الاطلال صلة مباشرة بالتل وجود آثار سور يمتد بين التل نفسه والاطلال .

وكانت المياه تصل الى الخندق الذي يحيط بتل العليق من القناة التي حفرها المتوكل لا يصال المياه الى سامراء ، وهي القناة التي تبدأ من حافة دجلة الشرقية في نقطة تقع شمالي قرية الدور الحالية بقليل ، فتسير بموازاة دجلة تاركة تل العليق الى يسارها حتى تنتهي الى سامراء . وكان هناك فرع خاص يتشعب من القناة من أمام التل فيفضي الى الخندق الذي يحيط بالتل^(١) . كما انه كان كهريز خاص يخرج من الخندق من جهته الجنوبية فيتجه نحو القناة ، وكان هذا الكهريز يرجع المياه الى القناة بعد امتلاء الخندق . وبذلك كانت المياه دائمة الجري فتدخل الى الخندق من الجهة الشمالية وبعد امتلاء الخندق تعود الى القناة من الجهة الجنوبية . ولا تزال آثار هذين الكهريزين (المدخل والمخرج)

(١) راجع البحث الذي يلي عن هذه القناة في الفصل الخامس من الكتاب .

رسْمُ قَسْرٍ ٣

خارطة تبين تفاصيل حلبات السباق الثلاث

في جوار سامراء العباسية
[في سامراء في عهد الخلافة العباسية - للدكتور احمد سوسة]

الكثير
ثلاثة اجنات تساري بيلا واحدا



حَاوِي

بيت الخليفة

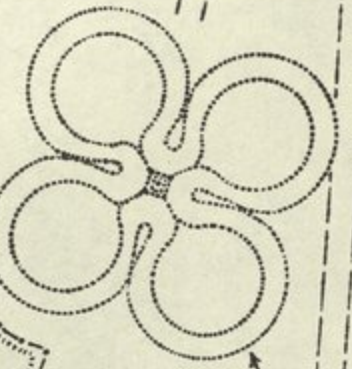
بناء يشرف على الساحة وعلى الخليفة بركة الكثر

بركة السباع

الحلبة الثانية التي تتصل ببيت الخليفة

آثار قصر وسور

الحلبة الاولى التي تتصل ببيت الخليفة



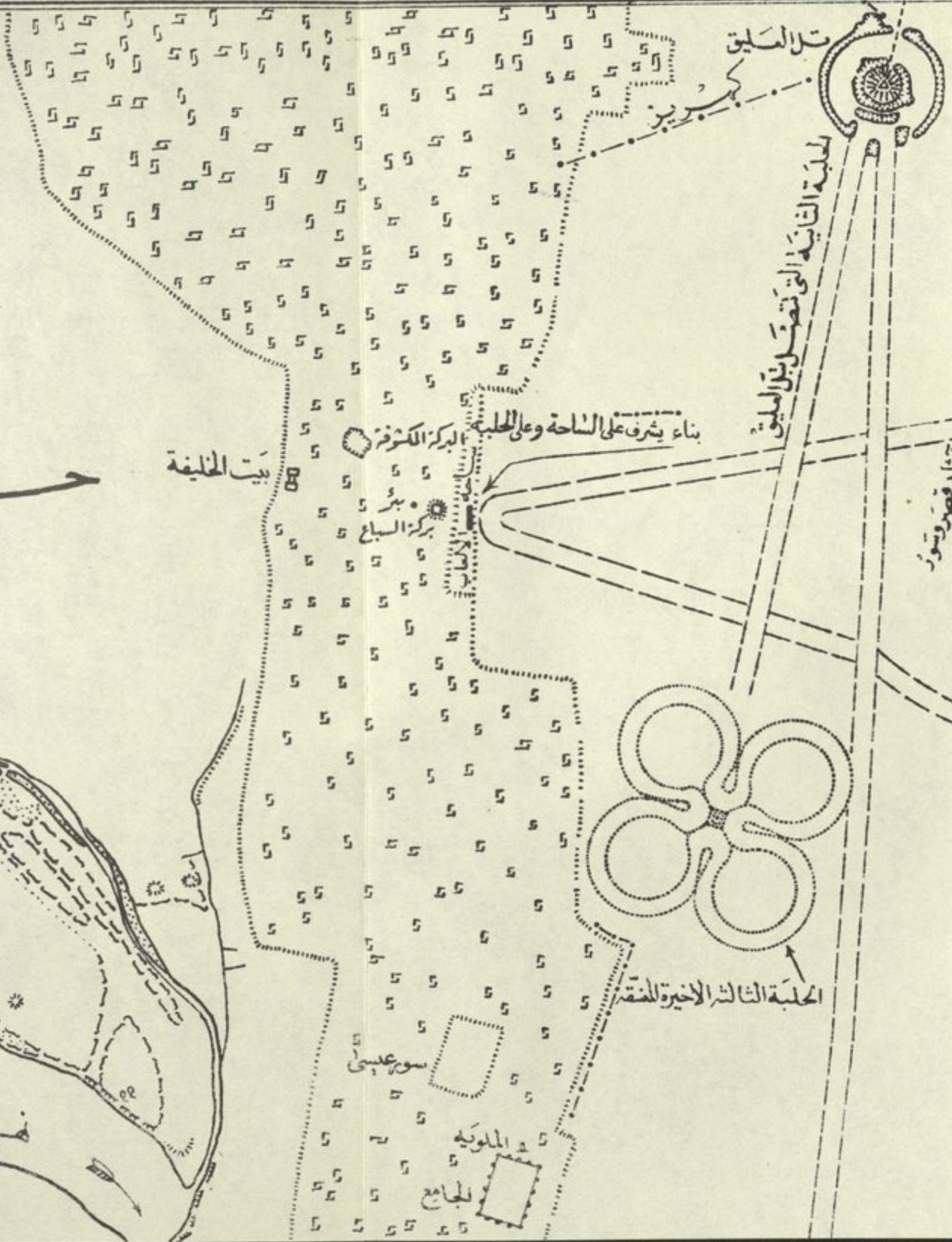
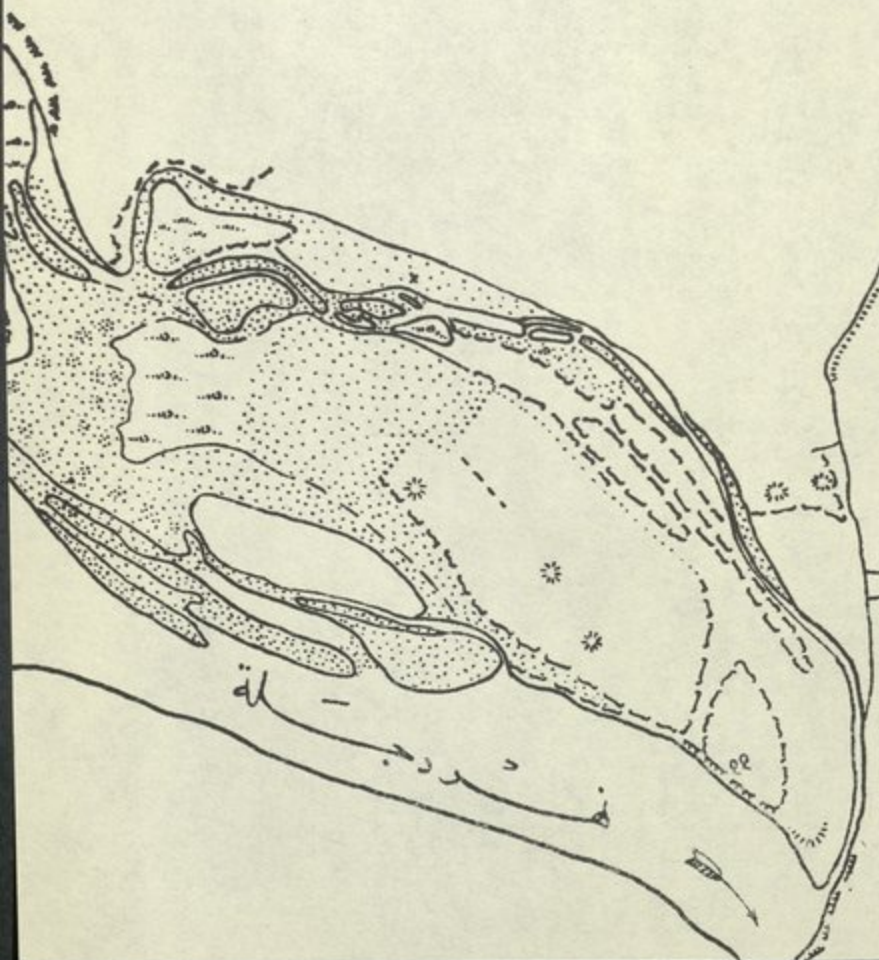
الحلبة الثالثة الاخيرة للمنقح

سور عيسى

المملوك

الجامع

فردرجة - لة



المنطقة

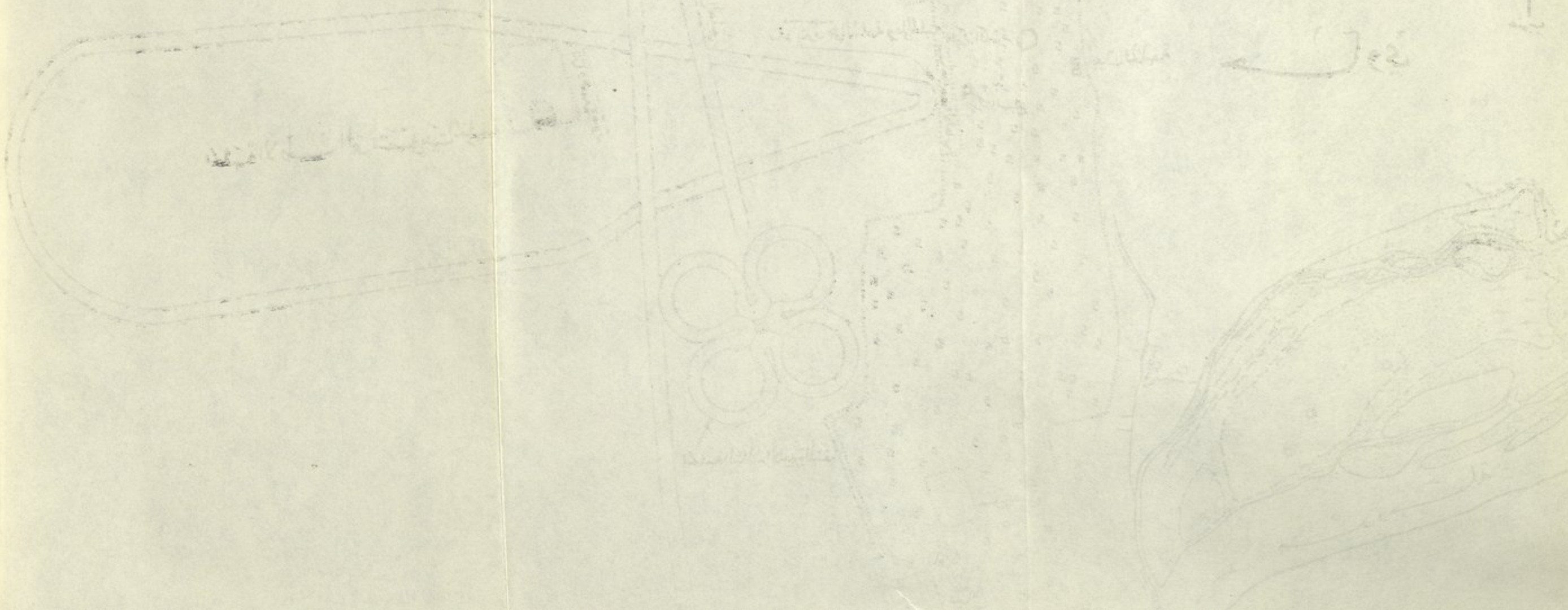
المنطقة الشمالية الغربية

المنطقة الشمالية الشرقية

المنطقة الجنوبية الغربية

المنطقة الجنوبية الشرقية

المنطقة الوسطى



واضحة المعالم يمكن تقبها في جوار التل بسهولة (راجع لوحة رقم ٢ ورسم رقم ١٣).

ويعل الناس تسمية « تل العليق » برواية يتناقلونها أباً عن جد، وهي أن التل تكون من التراب الذي نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم، ويروون ان الخليفة المتوكل أراد أن يظهر كثرة جنوده بدليل عياني محسوس فأمر بان يملأ كل واحد من جنوده الخيالة عليقه بالتراب ثم يرميه هناك ، وتسكون التل من التراب الذي تجتمع على هذا الوجه .

وقد اطلق المؤرخون على هذا التل اسم « تل الخالي » ، ولعله سمي كذلك للسبب الذي ذكر اعلاه وهو ان التل انشئ بالاتربة التي حملها العساكر بمخالي خيلهم . قال الراوندي في كتاب الخرايج ص ٢١٢ من طبوع ايران مانصه: «ومنها حديث تل الخالي ، وذلك ان المتوكل أمر العسكر وهم تسعون الف فارس من الاتراك الساكنين بصر من رأى أن يملأ كل واحد منهم مخللة فرسه من الطين الاحمر ويحملوا بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك فلما فعلوا ذلك صار مثل جبل عظيم الخ ... » وقد جاء في خامسة روضة الصفا لمحمد خداوند شاه ذكر انشاء هذا التل بالطريقة المذكورة نفسها ثم انشاء قصر عال فوقه الا انه نسب انشاء التل والقصر الى المعتصم ، والظاهر أن اسم المعتصم جاء هنا سهواً . واليك ما كتبه صاحب هذه الخاتمة قال : « ان المعتصم أمر عساكره ان يملأوا مخاليهم من التراب الاحمر ونبذوه في فضاء واسع حتى صار جبلا عظيماً ثم بنى عليه قصرآ عالياً واعظم النفقة عليه » . هذا وقد جاء ذكر « تل الخالي » أيضاً في كتاب « خلاصة الذهب المسبوك » لعبد الرحمن الاربلي طبع بيروت ١٨٨٥ (ص ١٦٢).

ولقد درس هرزفيلد هذا التل خلال تنقيباته في سامراء قبل الحرب العالمية الاولى فظهر له ان بناية صغيرة مربعة تشتمل على تسع غرف احدها في الوسط كانت فوق قفته ، ولعل البناء المذكور كان القصر المعروف باسم « قصر التل »

الذي قيل انه يعود الى عهد المتوكل ، وذكر ياقوت ان المتوكل انفق على هذا القصر خمسة آلاف الف درهم علوه وسفله . وقد ذكر ابن المعتز هذا القصر في قصيدة جاء فيها :

فتلك اطلال لهم قفاراً ترى الشياطين بها نهاراً
بالتل والجوسق والقطائع كم ثم من دار لهم بلاقع

وقد اختلفت الآراء في تاريخ انشاء « تل العليق » كما اختلفت في معرفة الغاية التي انشي من أجلها فبعض المؤرخين من الافرنج يرى انه يرجع الى عهد الرومان والبعض الآخر يرى انه يرجع الى ما قبل ذلك العهد . إلا اننا نرى بان اتصال التل بقناة المتوكل هو اقوى دليل على انه من عمل المتوكل . أما القصيدة من انشائه فتكاد الآراء تجمع على انه انشي لتأمين تمتع الخليفة ورجال حاشيته بمناظر حلبة السباق من محل مرتفع يمتد فيه البصر الى اقصى حد الحلبة مما يساعد على تتبع حركات الخيول في هذه المسافة الطويلة .

ونستخلص من ذلك كله ان « حلبة بيت الخليفة » اقدم الحلبات الثلاث ثم يليها « حلبة تل العليق » ثم الحلبة الاخيرة ذات الاربع حلقات . والارجح ان حلبة بيت الخليفة يرجع تاريخ انشائها الى عهد الممتصم حيث نجد في الرأس الغربي لحلقة هذه الحلبة ثلاثاً مرتفعاً على الحدود الشرقية لبيت الخليفة قد اعدت لجلوس الخليفة وحاشيته على نمط تل العليق المنشأ في رأس الحلبة التي تتصل به (١) . والظاهر ان هذه الحلبة اُهملت بعد ان تم انشاء « حلبة تل العليق » التي صارت تمتد بعدئذ من الشمال الى الجنوب حيث اخترقت « حلبة تل العليق » القسم الشرقي من « حلبة بيت الخليفة » التي تسير من الغرب الى الشرق . ولما كانت الروايات التاريخية تؤيد كون « تل العليق » انشيء على عهد المتوكل لذلك تؤكد

(١) راجع البحث الذي تقدم في صفحة ٧١

بان « حلبة تل العليق » انشئت في ذلك العهد . ويرجح ان الحلبة الاخيرة ذات الاربع حلقات قد انشئت على عهد المتوكل أيضاً بعد أن هجرت « حلبة تل العليق » بدليل ان الحلبة الأخيرة هذه اخترقت ساحة « حلبة تل العليق » نفسها بحيث محت معالم الطرف الغربي من تلك الحلبة . وبما يؤيد أيضاً ان « حلبة بيت الخليفة » كانت قد انشئت في زمن المعتصم وانها اقدم الحلبات أن قسماً من سور « قصر الدكة » يخرق هذه الحلبة في الطرف الشمالي من حلقتها المستطيلة ، كما أن هناك آثار قصر آخر مع سوره الكامل تشاهد داخل ساحة هذه الحلبة^(١) .

وفيما يلي ملاحظات دائرة الآثار العراقية حول الحلبات الثلاث المذكورة :
 « يظهر ان أقدم هذه الحلبات هي التي تمتد خلف بيت الخليفة . تزيد طول دورة هذه الحلبة على عشرة كيلومترات . ويبلغ بعدها الأعظم عن الدكة أربعة كيلومترات ونصف . ان طول الدورة كان يساعد على سباقات كبيرة غير ان الخيول كانت تتباعد عن الدكة في هذه الحلبة تباعداً كبيراً ، لا يترك مجالاً لتتبع حركاتها .

« وأما الحلبة التي تبدأ من تل العليق فليست واضحة المعالم إلا في قسمها الأول ، مع هذا فان اتجاه هذا القسم كاف للحكم على ان هذه الحلبة كانت طويلة جداً ، وطبيعي ان علو التل كان يساعد على تتبع حركات الخيول من هذه المسافات الكبيرة ، غير أن ذلك كان مما يتطلب جهداً كبيراً واتبهاً شديداً .

« وأما ساحة الفروسية - التي وصفنا شكلها البديع - فيظهر انها استحدثت بعد ذلك أيضاً ، بغية إيجاد حلبة سباق يبق المتسابقون فيها تحت النظر على الدوام ... »^(٢)

(١) راجع البحث التالي الخامس بـ « قصر الدكة » في هذا الفصل .

(٢) نشرة دائرة الآثار العراقية عن أسراء ص ٦٤ - ٦٥

ويعد ما أنشده البحري في وصف الحلبة من ارقى شعره ، فقال وهو يمدح المتوكل :-

ياحسن مبدي الخيل في بكورها	تلوح كالانجم في ديجورها
كأما أبدع في تشهيرها	مصور حسن من تصويرها
تحمل غرباناً على ظهورها	في البيرق المنقوش من حريرها
إن حاذروا النبوة من نفورها	أهواوا بأيديهم الى نحورها
كأنها والحبل في صدورها	أجادل تنهض في سيورها
مرت تباري الريح في مرورها	والشمس قد غاب ضياء نورها
في الريح الساطع من تنويرها	حتى إذا أصنت إلى مديرها
واقبلت تهبط في حدورها	تصوب الطير إلى وكورها
صار الرجال شرفاً لسورها	أعطي فضل السبق من جمهورها
من فضل الأمة في امورها	في فضلها وبذلها وخيرها
جعفر الذائد عن نفورها	تبعى به وهو على سريرها

خليفة ووق في تديرها

و - « قصر الركن » في سامرة الحير

وكان في الحدود الشمالية الغربية لساحة الحير قصر يسمى بالدكة ، وكان هذا القصر يقع على ضفة نهر القاطول الكسروي (١) اليمنى في شرقي تل العليق ، وكان امامه بركة مدورة تستمد مياهها من فرع خاص يتشعب من قناة سامراء - وهي القناة التي حفرها المتوكل لايصال مياه دجلة الى مدينة سامراء (٢) - كما كانت امامه ساحة واسعة تبلغ مساحتها حوالي ١٥٠٠ دونم (مشاركة) ، وكانت

(١) حول نهر القاطول الكسروي المذكور راجع البحث التالي الخامس بتاريخ النهران وتطوره في الفصل الثاني .

(٢) راجع البحث التالي الخامس بهذه القناة في الفصل الخامس .

الساحة مسورة بجدار على شكل مستطيل قائم الزوايا ، تمتد الضلع الشمالية مسافة حوالي كيلو مترين ونصف بين ضفة القاطول الكسروي وتل العليق ، ومن قرب تل العليق تنحرف الضلع الثانية فتسير الى الجنوب الشرقي بموازية القاطول الكسروي حوالي كيلومتر ونصف كيلومتر ، وتخترق الضلع الثانية هذه الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة) مما يدل على أن القصر والسور أنشأ بعد أن أهملت هذه الحلبة وحلت محلها « حلبة تل العليق ». وتوجد آثار بناء في منتصف كل من الضلعين الطوليتين كما انه توجد آثار بناء في منتصف الضلع التي تخترق الحلبة مقابل بناية القصر الواقعة على ضفة القاطول الكسروي تماماً . ويستدل من مواقع هذه الآثار انها كانت أبواباً رئيسية في منتصف هذه الاضلاع الثلاثة . ويتضح من ذلك ان السور يقع في ثلاث اضلاع فاما الضلع الرابعة فهي ضفة القاطول الكسروي المرتفعة وهي الضفة التي يقع عليها القصر .

وقد ذكر الطبري موقع الدكة فيما رواه عن حادثة مقتل صالح بن وصيف سنة ٢٥٦هـ قال : « ونحأب الناس وتهايجوا من دار أمير المؤمنين فركبوا في السلاح وأخذوا في الحير حتى اجتمعوا ما بين الدكة وظهر المسجد (جامع الملوية) . » وهذه هي ساحة الحير التي تقدم وصفها^(١) والتي تقع بين القاطول الكسروي الذي عليه الدكة وبين جامع الملوية (راجع اللوحين ٢ و ٧ والرسم ١٩) . وجاء ذكر موقع الدكة أيضاً بمناسبة اخرى في نفس المصدر^(٢) .

ويرجع ان يكون قصر الدكة المذكور القصر الذي كان يعرف باسم « قصر الساج » بدليل ان البحري لما وصف هذا القصر أشار الى نهر كان يبدأ من قرب قصر الجعفري وينتهي عنده فيوصل بينه وبين قصر الجعفري ، ولا

(١) راجع البحث الذي تقدم عن ساحة الحير في صفحة ١١٦ والبحث التالي في الفصل السادس .

(٢) راجع الطبري (٣ : ١٨٠٧ ، ١٨٣٠)

شك ان النهر المذكور هو النهر الذي كان يتفرع من قناة سامراء . وقد ذكر
البحثري ايضاً ان هذا القصر يقع خارج سامراء في ساحة خضراء مليئة بالاشجار
المورقة والمزهرة والمثمرة واسكنه غير بعيد عنها . واني لم أجد أثراً آخر ينطبق
عليه وصف البحثري المار ذكره كما انطبق على اطلال الدكة السالفة الذكر . وفيما
يلي نص الأبيات التي أنشدها البحثري في وصف القصر والنهر كما وردت في قصيدة
قافية يمدح بها المعتز ، قال :

شجر على خضر ترف غصونه	من مزهر أو مشمر أو مورق
وكأن قصر الساج خلة عاشق	برزت لوايقها بوجه مونق
قصر تكامل حسنه في قلعة	بيضاء واسطة لبحر محقق
داني المحل فلا المزار بشاسع	عمن يزور ولا الفناء بضيق
قدرته تقدير غير مفرط	وبنيته بنيان غير مشفق
ووصلت بين الجعفري وبينه	بالنهر يحمل من جنوب الخندق
نهر كأن الماء في حجراته	إفرند متن الصارم المتألق
فاذا الرياح لعبن فيه بسطن من	موج عليه مدرج متزقق
ألقه ياخير الوري بمسيره	وامدد فضول عسابه المتدفق

يستدل مما تقدم ان المعتز (٢٥١ - ٢٥٥ هـ) هو الذي انشأ هذا القصر ،
وعليه يجوز لنا القول بان النهر الذي فتح من قناة سامراء ليفضي الى القصر كان
من عمل المعتز ايضاً .

وتوجد آثار قصر آخر في داخل الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة) في حدها
الشمالي ، وهذه تقع في جنوب شرقي تل العليق بالقرب من الزكن الجنوبي الغربي
لسور قصر الدكة . وفي هذا القصر ساحة واسعة مسورة بسور مستطيل قائم
الزوايا ايضاً . ويقع القصر في داخل السور في منتصف احدى ضلعي السور
اللتين تمتدان في العرض . ويبلغ طول الضلع الطولية زهاء أربعائة متر وطول

الضلع العرضية حوالي ٢٦٥ متراً ، وبذلك تكون مساحة الساحة حوالي ٤٢ دونماً عراقياً (مشارة) . ووقوع هذا القصر وسوره داخل حلبة بيت الخليفة يدلنا على انه من جملة القصور التي انشئت بعد اكمال حلبة بيت الخليفة (راجع اللوحة رقم ٢ والرسم رقم ١٩) .

ويحتمل أن تكون هذه الاطلال من بقايا قصر البديع الذي كان قد انشيء على عهد المتوكل بدليل ان البحثري لما وصف هذا القصر اقترح على المعتر أن يد فرع قناة سامراء الذي انشأه لخمون قصر الدكة (قصر الساج) بالماء فيوصله الى قصر البديع ومنه ينهيه في دجلة قرب الجوسق . وهذا يدل على ان قصر الجوسق كان يقع بالقرب من دجلة غربي قصر البديع ، ويكون ذلك جنوبي دار الخليفة . وهذا ما أنشده البحثري بصدد النهر المذكور قال وهو يخاطب المعتر :

ألقه يا خير الوري بمسيره وامدد فضول عبايه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فالما انزلت دجلة في فناء الجوسق (١)

وقد أشار الطبري الى أن المتوكل لما أنشأ قصر الجعفري بالمتوكلية (٢) أمر بنقض قصر البديع وحمل ساجه اليه .

ز - قصر بركوارا (المنصور)

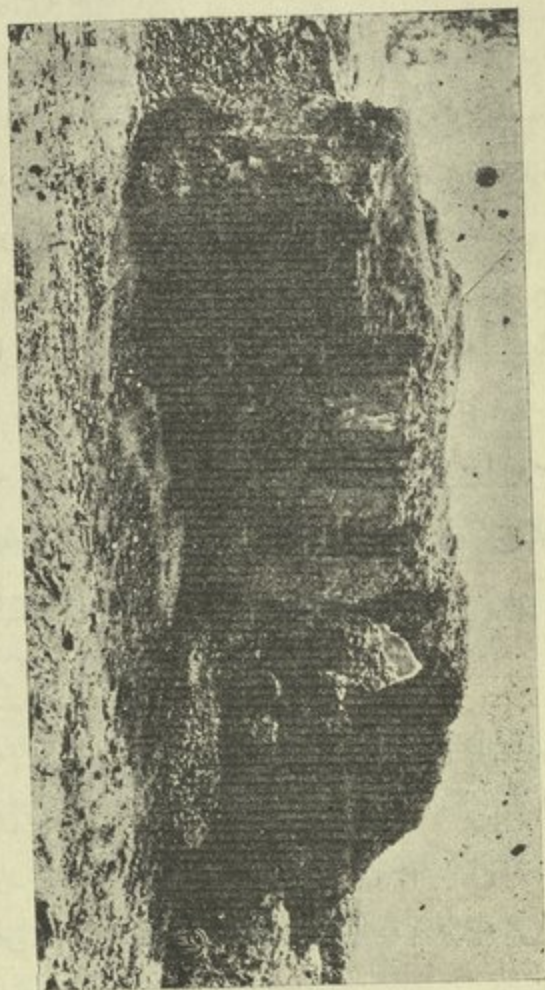
بخطنا فيما تقدم عن التوسع العمراني الذي احده المتوكل على الجهة الشرقية من مدينة سر من رأى ومنتقل الآن الى ذكر اعماله العمرانية التي أقامها في اقصى الجنوب في جوار المطيرة (٣) وفي اقصى الشمال في جهة كرخ أشناس ودور عربايا (٤) . اما من جهة الجنوب فقد أنشأ خلف المطيرة بناء سماه « بلكوارا »

(١) راجع البحث الذي تقدم عن الجوسق في صفحة ٧٤

(٢) راجع البحث التالي الخاص بمدينة المتوكلية وقصورها في هذا الفصل .

(٣) حول « المطيرة » راجع ما تقدم في ص ٥٩ - ٦١

(٤) حول « كرخ اشناس » و « دور عربايا » راجع البحث الذي تقدم في ص ٥٧ - ٥٩



تصویر رقم ۵۰ ا - اطلال قصر بلسکوارا (المفقور)

(وقد سماه بعض المؤرخين «بركوارا» والبعض الآخر «بزكوار»^(١)) وانزل ابنه المعتر في هذا البناء . ويقال لهذا الموضع اليوم «المنقور» وهو يبعد ستة كيلومترات الى الجنوب من مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبي بمنطقة الاطلال القديمة . ويعد العلامة كرزول قصر بلكوارا « من أعظم المنشآت المهارية لسكبر مساحته وحجمه وكثرة الظواهر الفنية المهارية فيه » .

وقد اكتشف هرزفلد هذه المنطقة سنة ١٩١١ فاستمرت حفرياته فيها من ١٣ تموز الى ٩ تشرين الأول ، والقصر الذي اكتشفه هناك تزيد مساحته على ثلاثة اضعاف مساحة مدينة سامراء الحالية، ويحيط بهذا القصر سور ذو ابراج مستطيل التخطيط طول ضلعه ١٢٥٠ متراً يرتكز جانبه الجنوبي على شاطئ دجلة الصخري الذي يرتفع هنا بمقدار خمسة وعشرين متراً ، وقد اكتشف هرزفلد في هذا القصر ايضاً بعض الزخارف الجصية التي كانت تكسو جدران القصر من الداخل (راجع تصوير رقم ٥ أ) .

وكان للبناء ثلاثة أبواب تقع في منتصف الجدران الثلاثة غير المطلة على النهر أي الشمالية والشرقية والغربية ويحترق البناء شارعان رئيسيان متقاطعان . وكان البناء يشتمل على مجموعة من المنازل وتكنات للمعاشة والحرس ، وكان من ضمن القصر حديقة يحيط بها سور ذو دعائم أو فصوص وينتهي عند الشاطئ نفسه بسقيفات غنية بالزخارف والى جانب الحديقة مرفأ للسفن وفي وسطها حوض الماء .

وقد تطرق الشابشتي في كتابه الديارات الى وصف القصر فقال : « وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف ببركوارا ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتر ، وجعل اعذاره فيه . وكان من أحسن أبنية المتوكل واجلها ، وبلغت النفقة عليه

(١) لقد اختلف المؤرخون في تسمية هذا القصر فسماه ياقوت والطبري باسم « بزكوار » والشابشتي وابن سرايون باسم « بركوارا » واليعقوبي باسم « بلكوار » .

عشرين الف الف درهم . وقد أيد ياقوت ذكر هذا المبلغ الذي صرف في بناء القصر والذي أشار إليه الشافعي (١) .

واطلق ياقوت الحموي اسم « بزكوار » على هذا القصر (وذكره في مكان آخر باسم « بركوان ») فقال عنه انه « اسم بيت بناه المتوكل في قصر له بسر من رأى فقال بعضهم يذكره بعد خرابه وكتب على حائطه :

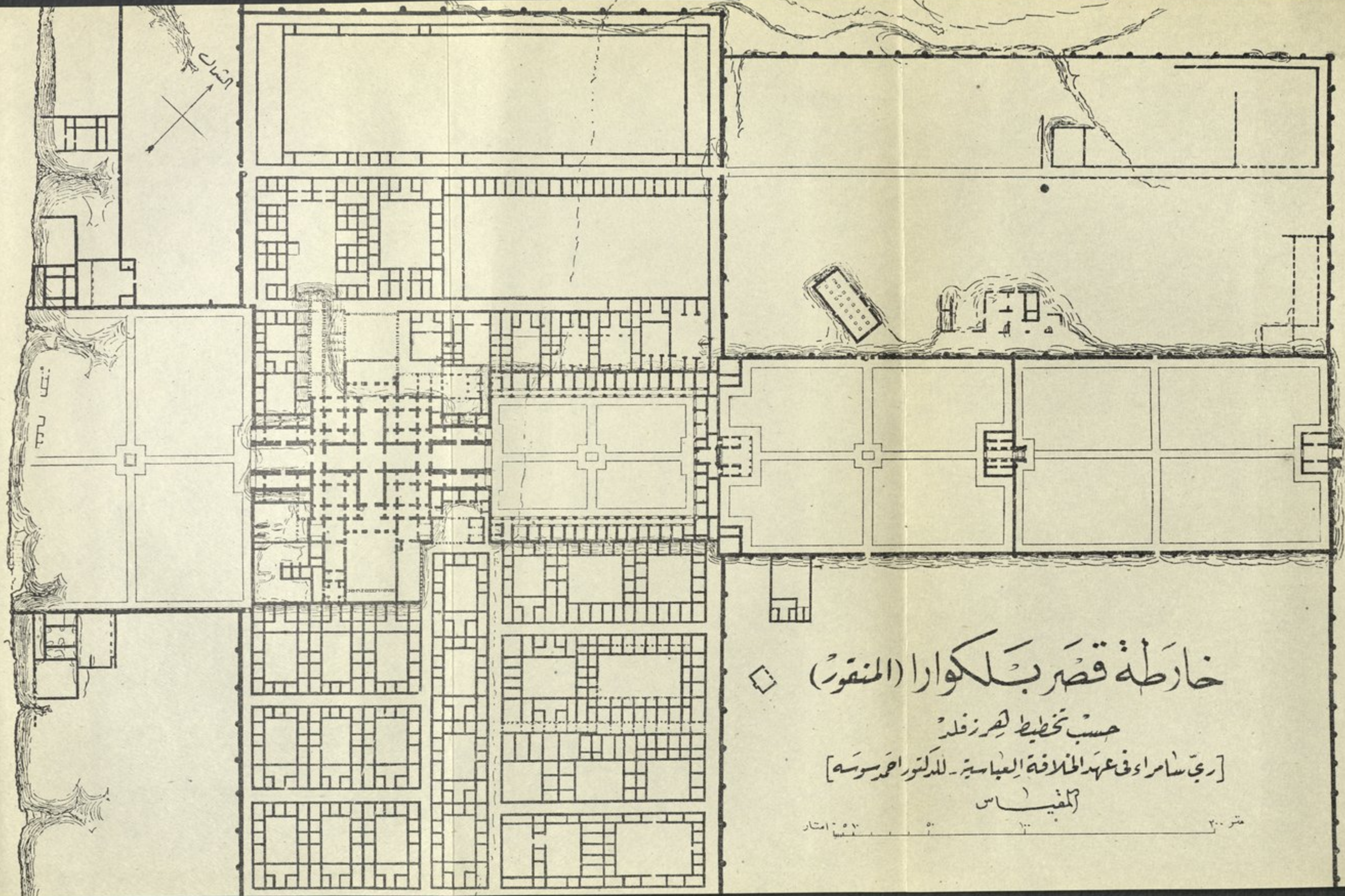
هذي ديار ملوك دبروا زمناً أمر البلاد وكانوا سادة العرب
عصى الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الخرب
وبزكوار وبالختار قد خلياً من ذلك العز والسلطان والرتب

وجاء ذكر القصر في تاريخ الطبري باسم « بزكوار » ايضاً في استعراض حوادث سنة ٢٥٨ هـ فذكر أن المعتمد لما عقد لأخيه أبي احمد على ديار مضر وقنسرين والعواصم شيعة الى « بزكوار » وانصرف (٢) .

اما موضع قصر « بلسكوارا » وتاريخ انشائه فقد ذكر اليعقوبي ان المتوكل « انزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له « بلسكوارا » فاتصل البناء من بلسكوارا الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ » ، وقال في موضع آخر « ان المتوكل بنى مدينة جديدة سماها الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وسر من رأى ماراً الى الموضع الذي كان ينزله ابنه ابو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا موضع لاعماره فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ » . وقد استنتج هرزفيلد من قول اليعقوبي هذا ان اطلال المنقور وبنائها هي اطلال بلسكوارا لأن المسافات التي ذكرها اليعقوبي وهي الأربعة والسبعة فراسخ توافق موقعه موافقة تامة وهي تكون الطرف الجنوبي لمنطقة الاطلال ، ولذلك لا بد ان يكون بلسكوارا قد بني في عهد الخليفة المتوكل على الله . وقد

(١) راجع البحث الذي تقدم في صفحة ١٠٤

(٢) راجع الطبري (٣ : ١٨٦٠)



خارطة قصر بلكوارا (المنقور)

حسب تخطيط لهرزفرد
 [رجي سامراء في عهد الخلافة العباسية - للدكتور احمد سوسة]
 كلفياس

متر ٢٠٠ ١٠٠ ٥٠ ٢٥

الجمهورية العراقية

عثر هرزفلد على كتابة أثرية بالخط السكوفي البسيط على كتلة من الخشب في إحدى القاعات نصها « الأمير المعز بالله بن أمير المؤمنين » ، وهو لقب أبي عبد الله طلحة بن الخليفة المتوكل . ولما كان لقبه المعز بالله قد طبع على النقود المسكوكة منذ سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) مما يدل على أنه لم يلقب بذلك اللقب إلا منذ سنة ٢٤٠ هـ ، ولما كان المتوكل منذ سنة ٢٤٥ هـ معنياً بإنشاء مدينته الجديدة « الجعفرية » ، لذلك حصر هرزفلد التاريخ الذي بني به قصر بلكوارا بين سنتي ٢٤٠ و ٢٤٥ هـ (٨٥٤ و ٨٥٩ م) .

مدينة المتوكلية وقصورها وسوارعها

لعل أهم التوسعات التي أجراها المتوكل هي الممتدة اليوم إلى الجهة الشمالية حيث اختار مكاناً في تلك الجهة وبني مدينة جديدة سماها المتوكلية ، أو الجعفرية ، وانتقل إليها ، أما المسكان الذي وقع اختياره عليه فيقال له « الماحوزة » وهو المكان الذي قيل عنه أن المعتصم كان قد فكر في إنشاء مدينة فيه . وتقع خرائب المتوكلية على ضفة نهر دجلة في أقصى الشمال على بعد حوالي عشرة كيلومترات من آخر البناء الذي في الدور (دور العرابي) ، وهو الحد الشمالي لبناء المعتصم ، ويكون ذلك على بعد حوالي ٢٠ كيلومتراً من شمالي سامراء الحالية . ويشاهد الزائر اليوم السور الضخم الذي يحيط بالمتوكلية والذي يبلغ مجرى طوله حوالي أربعة كيلومترات ونصف كيلومتر ، أما مساحة الأرض التي في داخل السور فتبلغ حوالي ٥٤٠ دونماً (مشاركة) . وهناك سور آخر في جنوب المدينة بقليل يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة فيفصل هذا السور الخارجي مدينة المتوكلية ومشماتلها عن مدينة سر من رأى التي في الجنوب تاركاً إياها في عزلة عن المدينة القديمة ، وفي هذا السور باب ضخم في وسط السور هو المدخل العام للمدينة .

ومما كتبه البلاذري بصدد إنشاء مدينة المتوكلية قوله : « أحدث المتوكل

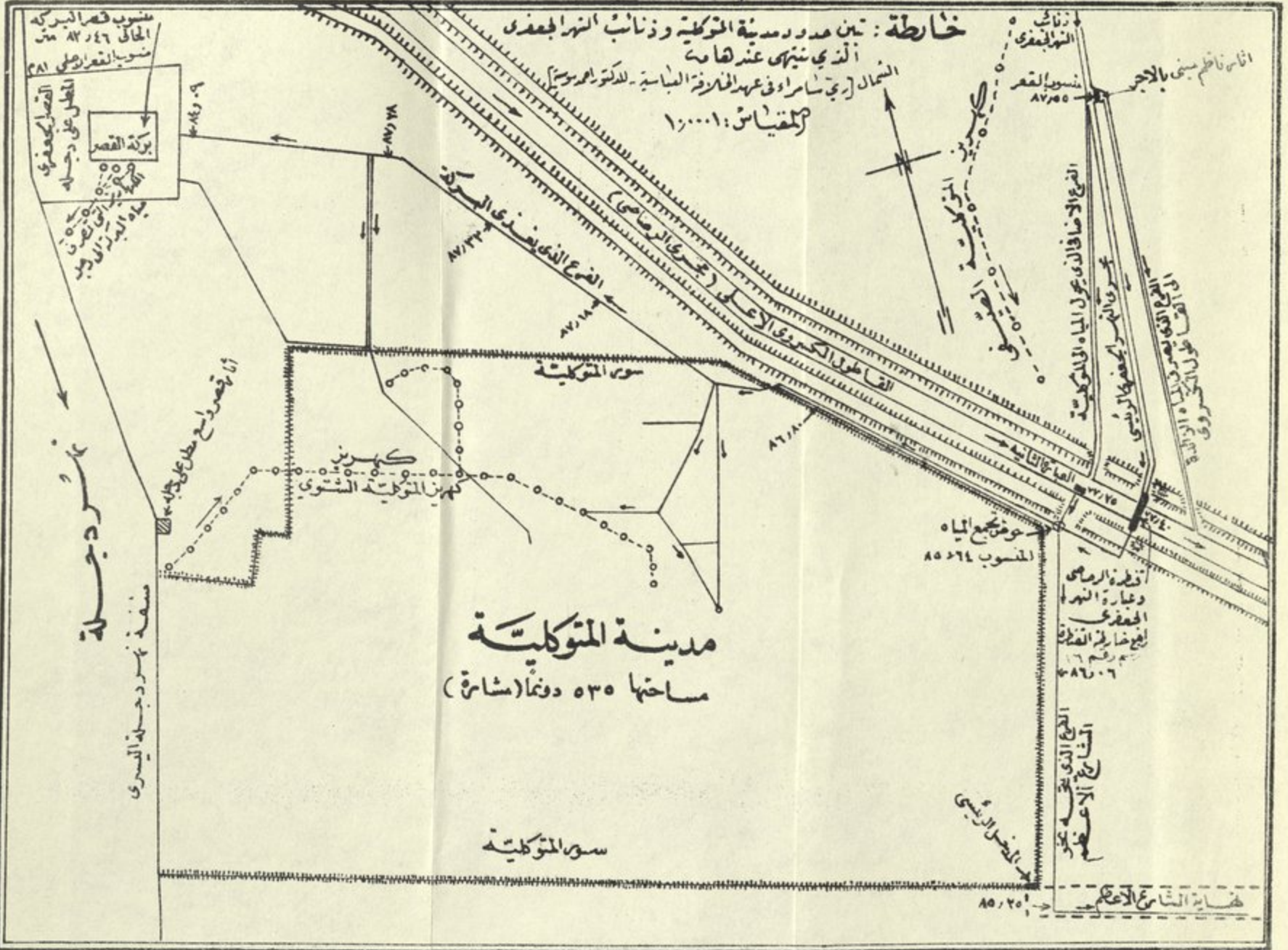
مدينة سماها المتوكلية وعمّرها وأقام بها وأقطع الناس القطائع وجعلها فيما بين
السكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية
المعروفة بالماحوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً وكان من ابتدائه اياها الى ان
نزلها اشهر ونزلها في أول سنة ست واربعين ومائتين ثم توفي رحمه الله في شوال
سنة سبع وأربعين ومائتين .

ونقل المتوكل جميع الدواوين الى مدينته الجديدة (المتوكلية) وأقطع ولاية
عهوده وسائر أولاده وقواده وكتّابه وجنده والناس كافة ، فالتسع البناء في
المنطقة الشمالية هذه التي تمتد بين آخر البناء في الدور (دور العرباني) من جهة
وآخر الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية من الجهة الاخرى مسافة حوالي خمسة عشر
كيلومتراً . ولتأمين المواصلات العامة بين مدينته الجديدة (المتوكلية) وبين مدينة
المتعصم (سامراء) مد الشارع الاعظم (وهو شارع السريجة الاعظم الذي
ينتهي الى دار أشناس في الكرخ وهي الدار التي صارت في هذا الدور للفتح بن
خاقان) مقدار ثلاثة فراسخ (أي حوالي ١٥ كيلومتراً) الى قصوره في الشمال ،
وجعل دون قصوره ثلاثة أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه وأقطع
الناس يمنا الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع
وكذلك شق الدروب من جهتي الشارع الاعظم وكانت الدروب التي على جهة
نهر دجلة تنتهي بالنهر هناك والدروب التي على الجهة الشرقية من الشارع تنتهي في
آخر البناء من جهة الشرق (١) . ولا تزال آثار هذا الشارع جليلة تحدها الخرائب
من الجهتين (٢) ، كما انه لا تزال آثار بناء الابواب المذكورة باقية ظاهرة تشاهد
في نهاية الشارع الاعظم وذلك في السور الخارجي لمدينة المتوكلية وقصورها ،
وهو السور الذي يمتد بين ضفة القاطول السكسروي المنجني ونهر دجلة (راجع
للوحيتين ١ و ٢ والرسمين ٢ و ١٧) .

(١) « كتاب البلدان » لليقوي .

(٢) راجع البحث التالي الخامس بالشارع الاعظم في الفصل الثامن .

خارطة: تين حدود مدينة المتوكلية وذنائب النهر الجعفري
الذي ينتهي عند قامة الشمال (رجي سامرا في عهد الخليفة العباسية - للتوثيق والبرهان)
مقياس: ١:١٠٠٠٠



ذئاب النهر الجعفري
منسوب القعر ٨٧٠٥٠

منسوب قصر البركة
الحالي ٨٧٤٦ متر
منسوب القعر على ٢٨١

القصر الجعفري
المطل على دجلة
بوابة القصر
التي تسمى بـ
باب البركة

٨٤٦٠ م

٨٧٠٠ م

الفرع الذي يجري في
المتوكلية
٨٧٠٠ م
٨٧١٨ م

سور المتوكلية

٨٧١٨ م

منسوب جميع المياه
٨٥٦٦٤

قناة الرضاوي
وقناة النهر
الجعفري
التي تجري في
المتوكلية

القناة التي يجريها الجعفري
القناة التي يجريها الرضاوي

مدينة المتوكلية
مساحتها ٥٣٥ دونما (مشاركة)

سور المتوكلية

٨٥٠٢٠

نهاية الشارع الاعظم

نهر دجلة
سنة نهر دجلة اليسرى

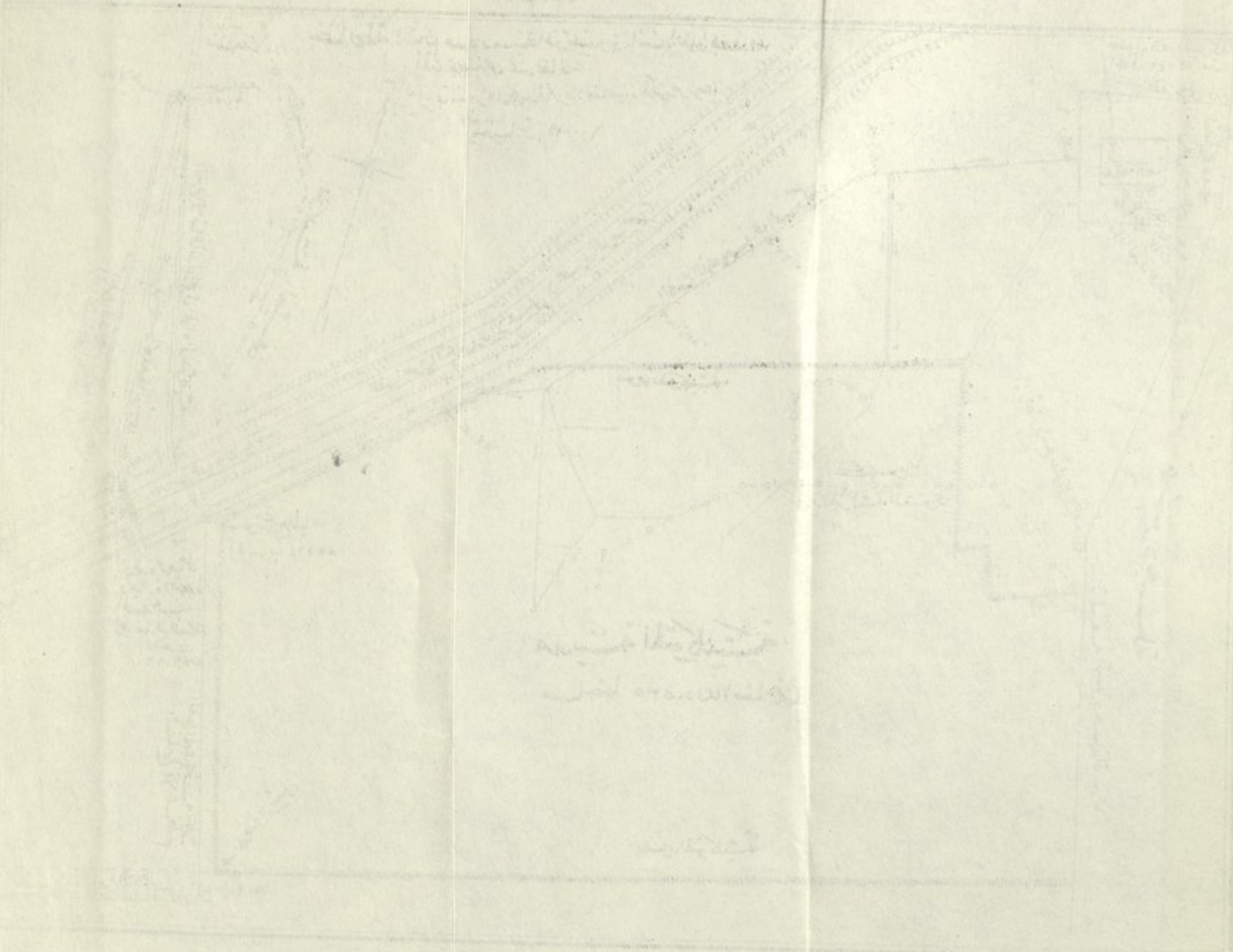
قناة تصدق مطلق على جباله

كهنين المتوكلية الشوي

انظر ناظم سيني بالاجرة

القناة التي يجريها الجعفري
القناة التي يجريها الرضاوي

Handwritten notes at the top of the page, possibly describing the layout or purpose of the drawing.



Handwritten notes in the lower middle section of the page, likely providing additional details or instructions related to the drawing.

وهكذا فقد اتصل البناء على ضفة نهر دجلة فيبدأ في أقصى الشمال من المتوكلية فالدور فكرخ أشناس فسر من رأى « ماداً الى الموضع الذي كان ينزله المعتر بن المتوكل ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ (حوالي ٣٤ كيلو متراً) » (١) .

وتموين المدينة الجديدة بالمياه السيمحية أخرج المتوكل نهرآ من ضفة دجلة اليسرى من نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلومتراً من شمال مدينة تكريت ، ويسير هذا النهر على محاذة دجلة جنوباً مسافة حوالي ستين كيلومتراً حتى يصل الى المتوكلية ، وقد سمي « النهر الجعفري » وانفق عليه ما يقرب من مليون دينار إلا أنه كان مشروعاً فاشلاً للأسباب التي سيأتي البحث عنها في الفصول التالية (٢) .

ويلاحظ أن المتوكل كان يشرف شخصياً على اعمال المدينة الجديدة في « الماحوزة » وعلى حفر النهر الذي يمدها بالمياه فانقل من سر من رأى وجعل مقره في قرية « المحمدية » ليكون قريباً من ساحة العمل فيسهل الاشراف عليه عن كئيب (٣) . أما موضع قرية المحمدية فيقول البلاذري انها قريبة من « الماحوزة » وانها كانت تعرف بـ « الايتاخية » نسبة الى ايتاخ التركي « ثم سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المنتصر ، وكانت تعرف أولاً بدير أبي الصفرة وهم قوم من الخوارج . غير ان ابن سراييون اعتبر الايتاخية والمحمدية قريتين منفصلتين وقال انها تقعان بالقرب من بعضهما على القاطول الأعلى السكسروي (٤) - الايتاخية من الشمال والمحمدية جنوبيها - - وذلك على مسافة قليلة من صدره . وأضاف ابن سراييون الى ذلك قوله انه كان على القاطول جسر من الحجارة عند الايتاخية وجسر من الزواريق عند المحمدية .

(١) « كتاب البلدان » لليعقوبي .

(٢) راجع البحث التالي الخامس بمشروع « نهر الجعفري » في الفصل الثامن .

(٣) الطبري (٣ : ١٤٣٨)

(٤) راجع البحث التالي عن القاطول السكسروي المذكور في الفصلين الثاني والثالث .

وجاء ذكر « الحمدية » أيضاً فيما رواه الطبري عن مقتل أبي نصر في حوادث سنة ٥٢٥ هـ ، وما قاله عن هذا الحادث ان أبا نصر قبل ان يتم قتله لجأ الى الحمدية فسكتب المهتدي اليه يعطيه الأمان على نفسه فوثق بذلك فرجع غير انه حبس على أثر عودته وقتل^(١). وقد روى اليعقوبي ان قطعة ايتاخ كانت تقع في آخر شارع أبي أحمد مما يلي وادي ابراهيم بزرياح ، أي في شمالي الكرخ ودور عربايا ، وكان هذا الشارع على حسب قول اليعقوبي ينتهي الى باب البستان وقصور الخليفة^(٢). ولعل قرية الايتاخية كانت من ضمن قطعة ايتاخ المذكورة ، ويحتمل أن يكون قصر بستان الايتاخية الذي ذكره ياقوت وقال انه من جملة قصور المتوكل وان كلفة إنشائه بلغت عشرة آلاف الف درهم^(٣) أحد قصور الخليفة التي روى اليعقوبي ان شارع أبي احمد كان ينتهي عندها .

أما الموضع الذي كانت فيه قرية الحمدية وقصور الخليفة بالنسبة الى الاطلال المتبقية فلم نعثر على موضع تنطبق عليه الاوصاف المتقدمة غير موضع التل المعروف باسم « تل الاصبعين » الواقع على الضفة اليمنى من القاطول السكسروي عند الكيلومتر (١٣ر٥٠٠) من صدره حيث تقع بالقرب من هذا التل في جهة الغرب اطلال عمران قديم ، ثم ان هناك تلاً آخر يقع جنوبي « تل الاصبعين » عند الكيلومتر (١٨ر٣٠٠) من صدر القاطول يقال له « تل تمر » ، يقوم على الضفة اليمنى من القاطول أيضاً وفيه آثار قصر قديم بالقرب منه على حافة القاطول تشاهد آثار قصر آخر كما أن هناك خرائب مجاورة تمتد غرباً حتى تتصل بالشارع الاعظم . ويغلب على الظن أن قرية الحمدية كانت في أحد هذين الموضعين . أما إذا أخذنا بقول ابن سراييون وهو ان هناك قريتين تعرفان بالايثاخية والحمدية

(١) الطبري (٣ : ١٨١٩ ، ١٨٢٤)

(٢) راجع ما تقدم في صفحة ٦٥

(٣) راجع ما تقدم في صفحة ١٠٤

فتكون هاتان القريتان في الموضعين المذكورين أي في جوار «تل الاصبعين» و «تل تمر» .

وكان المتوكل قد بنى في موضع الماحوزة بالمتوكلية قصرأ فخماً سماه باسمه «القصر الجعفري» وانتقل إليه . ولا تزال بقايا هذا القصر وبركته الواسعة تشهد على ضفة نهر دجلة في شمال السور الداخلي لمدينة المتوكلية في الزاوية التي يكونها نهر دجلة من جهة ونهر القاطول الكسروي من الجهة الثانية . وقد جاء وصف هذا القصر في أكثر كتب المؤرخين من العرب فقال ابو الفداء في تاريخ المختصر : «وفي سنة ست وأربعين ومائتين تحول المتوكل الى الجعفري وكان قد ابتدأ في عمارته سنة ٢٢٥ واتفق عليه أموالاً نجح عن الحصر ويقال لمسكانه الماحوزة» . وقال ياقوت في مادة (الجعفري) : «وفي سنة ٢٤٥ بنى المتوكل الجعفري واتفق عليه الف دينار وكان المتولي لذلك دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا الشراي» . و اضاف ياقوت الى ذلك قوله بان «الدرهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهماً بدينار فيكون عن الف دينار خمسون الف درهم» . وقد أيد ياقوت ذلك في مادة (سامراء) فذكر ان كلفة «القصر بالمتوكلية، وهو الذي يقال له الماحوزة، خمسين الف الف درهم» . وأشار أيضاً في المادة نفسها الى أن هناك قصرأ آخر كان يسمى «الجعفري المحدث» بلغت كلفة نشائه عشرة آلاف الف درهم . ولعل قصر المحدث هذا هو القصر الذي ذكره الطبري فقال في سيرة المنتصر ان محمداً المنتصر توفي في قصر المحدث بسامراء ، مما يدل على ان القصر المذكور يقع في سامراء وانه غير القصر الجعفري الذي بالمتوكلية .

ويلاحظ ان الطبري قد اعتبر مبلغ الالف الف دينار ، الذي ذكر ياقوت بانه كان كلفة بناء قصر الجعفري ، شاملاً كلفة بناء المتوكلية نفسها ، وفيما يلي نص ما كتبه في هذا الصدد قال : «وفي سنة ٢٤٥ هـ أمر المتوكل ببناء الماحوزة

وسماها الجعفري وأقطع القواد وأصحابه فيها وجد في بنائها وتحول الى الحمديّة
ليتم أمر الماحوزة وأمر بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجها الى الجعفري
وانفق عليها فيما قيل أكثر من ألف دينار وجمع فيها القراء فقرأوا وحضر
أصحاب الملاهي فوهب لهم ألف درهم وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة
المتوكلية «

وقد اشتهر القصر الجعفري بحسنه ونخامة بنائه فكان مصدر وحي الشعراء
والكتّاب، وذكر ابن خلكان ان أبا العيناء محمد بن القاسم بن الخلاء الاهوازي
البحري « دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ٢٤٦ فقال له
ما تقول في دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في
دارك فاستحسن المتوكل كلامه » .

كما ان للشعراء في ذكر هذا القصر أشعاراً كثيرة، ولعل أحسن ما قيل فيه
وصف البحترى له في أبياته التالية :-

ليتم إلا بالخليفة جعفر	قد تم حسن الجعفري ولم يكن
في خير مبدى للانام ومحضر	ملك تبوأ خير دار انشئت
وتراها مسك يشاب بعنبر	في رأس مشرفة حصارها لؤلؤ
ومضيتة واليسل ليس بقمر	مخضرة والغيث ليس بساكب
أعلام رضوى أو شواهد صبير	فرغت بنيانا كأن منارة
بنيان كسرى في الزمان وقبصر	أزرى على هم الملوك وغض من
ينظرن منه الى بياض المشتري	عال على لحظ العيون كأنما
شرفاته قطع السحاب الممطر	ملاّت جوانبه الفضاء وعانقت
من لجة غمر وروض أخضر	وتسير دجلة تحته ففناؤه
اعطافه في سائح متفجر	شجر تلاعبه الرياح فقنثي
بصفاء ود منك غير مكدر	اعطيته محض الهوى وخصصته
شرف العلو به وفضل المفخر	واسم شققت له من اسمك فاكسى

وقال البحري أيضاً وهو يرثي المتوكل بعد مقتله : -

تغير حسن الجعفري وأنسه وقوَّض بادي الجعفري وحاضره
تحمّل عنه ساكنوه فجأة فعادت سواء دوره ومقابره
إذا نحن زرناه أجد لنا الاسى وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

وهناك آثار قصر آخر لا يقل عن القصر الجعفري في سعة بنائه يقع جنوبي القصر الجعفري على ضفة نهر دجلة ، خارج سور المتوكلية أيضاً ، ولعله من جملة قصور المتوكل في مدينته الجديدة . ويرجح ان موضع هذه الاطلال هو مكان قصر اللؤلؤ الذي ذكر الطبري ان المتوكل انشأه في المتوكلية وانه لم ير مثله في علوه ، الامر الذي يؤيده ابن الأثير بقوله « وبنا المتوكل في المتوكلية قصرآ سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه » . وقد ذكر ياقوت ان المتوكل اتفق على بناء هذا القصر خمسة آلاف درهم .

وتدل الروايات التاريخية المدونة على ان مشروع مدينة المتوكلية الجديدة تم في اقل من عامين ، فقد شرع المتوكل في بنائها سنة ٢٤٥ هـ فأتمها في نهاية سنة ٢٤٦ هـ ، ويؤيد المؤرخون انه انتقل الى المدينة الجديدة في اليوم الاول من المحرم سنة ٢٤٧ هـ (١) . وقد تكامل السرور للمتوكل بعد ذلك ، فقال « الآن علمت اني ملك اذ بليت لنفسي مدينة سكنتها » (٢) .

وكان طبيعياً ان ينبري الشعراء فينظمون قصائد هم في وصف مدينة المتوكل الجديدة ، ومن اشهر ما قيل فيها قول البحري : -

أرى المتوكلية وقد تعالت محاسنها واكملت التامسا
قصور كالسكاكب لامعات يكذب يفضن للساري الظلاما

(١) هذا ما ذكره اليعقوبي غير أن البلاذري خالفه فقال ان المتوكل نزل المتوكلية في أول سنة ست واربعمين ومائتين ، والارجح ان ما ذكره اليعقوبي هو الاصح بالنظر الى تأييد بقية المؤرخين لكلامه .

(٢) « كتاب البلدان » لليعقوبي

وللبحتري قصيدة أخرى يصف في بعض آياتها المتوكلية منها :

يهنيك في المتوكلية انها	حسن المصيف بها وطاب المربع
فيحاء مشرقة يرق نسيمها	ميث تدرجها الرياح واجرع
وفسيحة الاكتاف ضاعف حسنها	بر لها مفض وبجر مترع
قدسرت فيها الأولياء اذ التقوا	بفناء منبرها الجديد فجمعوا
فارفع بدار الضرب باقي ذكرها	ان الرفيع محله من ترفع (١)

والكن للاقدار احكامها فما مضى عام واحد على انشاء هذه المدينة العظيمة حتى قضت الاقدار عليها بالموت والاقفار ، وكان ذلك على أثر قتل المتوكل في ٣ شوال من سنة ٢٤٧ هـ (٢). ولما كان المتوكل قد انتقل الى المتوكلية في اليوم الأول من المحرم سنة ٢٤٧ فيكون قد قضى فيها تسعة أشهر وثلاثة ايام فقط .

(١) يستدل من البيتين الاخيرين انه كان في المتوكلية جامع انشيء فيه منبر جديد كما كان فيها دار لسك النقود (راجع البحث التالي الخاص بجامع أبي دلف) .

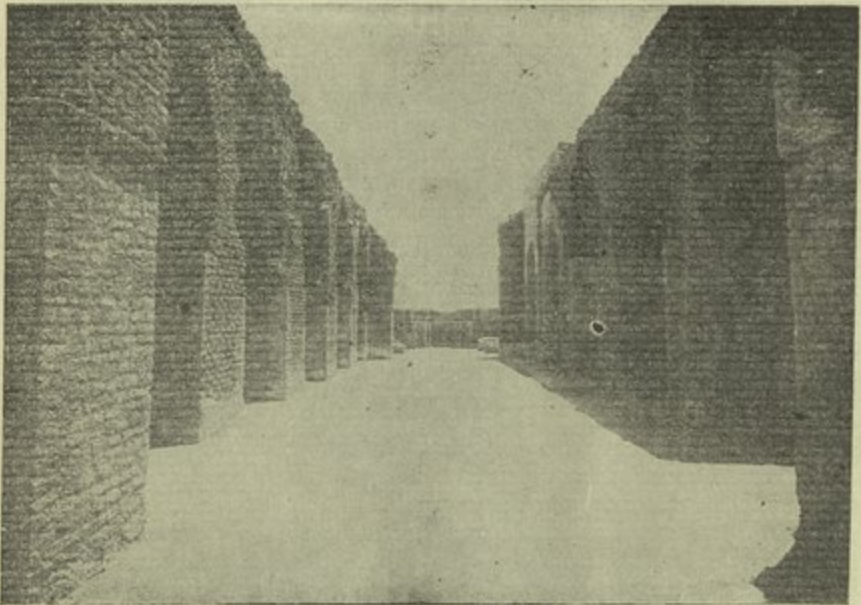
(٢) قتل المتوكل وهو في مجلس انسه في القصر الجعفري الذي بالمتوكلية ، قتله غلام تركي اسمه باغر ، وخلاصة الحادث ان المتوكل بينما كان يشرب مع ندمائه وقد سكر اذ دخل أحد المتآمرين المسمى بقا الصغير وأمر الندماء بالانصراف فانصرفوا ولم يبق عند المتوكل الا وزيره الفتح بن خاقان ، ففلق الابواب كلها الا الباب الذي دخل منه الذين قتلوا المتوكل ، فأول من ضربه باغر فتلفاه الفتح بنفسه فأكب عليه وقتل الاثنان . والمعتمد ان قتل المتوكل تم بالاتفاق مع المنتصر أحد اولاد المتوكل ، وسبب ذلك ان المتوكل كان قد عقد لأولاده الثلاثة المنتصر والمعتمد والمؤيد ولاية العهد ثم تغير على المنتصر دون اخوته وكان يسميه المنتظر ويقول له أنت تمنى موتي وانتظر وقتي ، وكان يأمر الندماء ان يمشوا به الى ان أوشر صدره وقتل صبره . وبويع المنتصر من ساعة مقتل المتوكل الا ان مدته في الخلافة لم تتجاوز الستة اشهر فقد قتله المالك الاتراك أيضاً اذ دسوا الى طبيبه ليمسه فقصده بمبضم مسموم فأت . وقد رتا البحتري ويزيد المهلب المتوكل بمرتين من أجود مائيل في معناها وكانا حاضرين ليلة قتله فأختفى أحدهما في طي الباب والآخر في قناة الشاذروان .

ويلاحظ مما كتبه اليعقوبي ان المتوكل دفن في نفس القصر الذي قتل فيه (اي في القصر الجعفري) راجع الجزء الثالث من « تاريخ اليعقوبي » طبعة النجف ص ٢٠٩

وقد هجرت المدينة وقصورها بعد مقتل المتوكل فوراً وعاد ابنه الخليفة المنتصر^{٢٤}
والناس جميعاً الى سامراء .

ط - جامع أبي دلف

تعد بقايا « جامع أبي دلف » القائمة خارج حدود مدينة المتوكلية في نهاية
الشارع الاعظم شمالاً من أبرز الخرائب في منطقة المتوكلية (راجع اللوحين
٧ و ٧ والتساوير ٦ و ٧ و ٨) ، على ان الآراء اختلفت في تاريخ انشاء هذا



تصوير رقم ٦

جامع ابي دلف (الرواق الاوسط للمصلى بعد الترميم ورفع الانتقاض)

الجامع ، فهل كان نابماً لمدينة المتوكلية فيكون قد اقامه المتوكل أو كان قد
أنشيء قبل عهد المتوكل . اما الجامع فيشبهه جامع الملوية الذي بناه المتوكل
شرقي سمر من رأي في أول طرق الحير شبيهاً كبيراً ، فهو مستطيل الشكل أيضاً
طوله ١٥٨ متراً وعرضه ٨ . ٥ أمتار وله صحن مكشوف محاط من جهاته الاربع

بأروقة وإلى جانبه مئذنة ملوية الشكل أيضاً ذات مرقاة خارجية يبلغ ارتفاعها عن مستوى التبليط حتى القمة المتهدمة نحو ١٩ متراً .

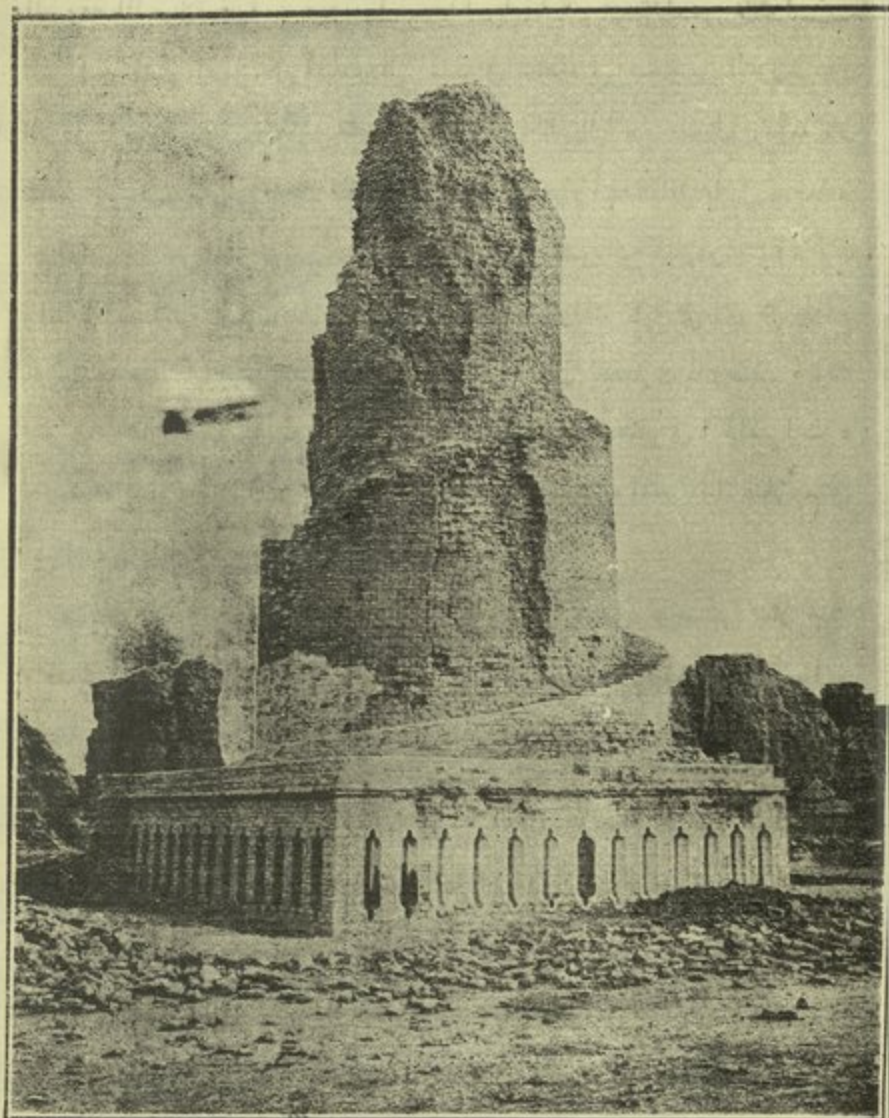
ومع ان الاعتقاد السائد ان تاريخ انشاء هذا الجامع يعود الى عهد الخليفة المتوكل إلا انه ليس هناك ما يثبت صحة هذا الظن أو خطأه ، غير انه من المعلوم ان المنطقة التي يقع فيها هذا الجامع كانت خالية من البناء في زمن المعتصم وان مكان الجامع يقع على بعد عدة كيلومترات من شمالي حدود آخر البناء الذي



تصوير رقم ٧

جامع أبي دلف (قوسان من أقواس الرواق الاوسط للمصلى)

في الدور (دور العرْباني)، فليس من المنطق اذن أن يكون هذا الجامع قد أنشئ في زمن غير زمن المتوكل ، وقد اختير مكانه هذا ليكون متوسطاً بين قصور المتوكلية من جهة وحدود البناء القديم الذي في الدور من الجهة الثانية ، وبما يؤيد ذلك أيضاً قول البلاذري بان المتوكل أحدث المتوكلية « وجعلها فيما بين



تصوير رقم ٨

ملوية جامع أبي دلف بعد ترميم القاعدة ورفع الانتقاض

السكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية
 المعروفة بالماحوزة فيها ، وبني بها مسجداً جامعاً . فيستدل من ذلك أن
 المتوكلية كانت تشمل كل المنطقة التي تمتد على محاذاة نهر دجلة بين الدور (دور
 العربي) من الجنوب وبين آخر حدود المتوكلية الشمالية من الشمال . ولما كان
 جامع أبي دلف يتوسط هذه المنطقة فلا مجال لتغيير رأينا القائل بأن جامع
 أبي دلف من عمل المتوكل ، وهو نفس الجامع الذي يشير اليه البلاذري ، ولا سيما
 واننا لم نعرث أثناء تحرياتنا للابنية الواقعة داخل سور المتوكلية على أي أثر للجامع
 أو مؤذنة هناك . وما يجدر ذكره في هذا الصدد ان البحري لما وصف مدينة
 المتوكلية أشار ضمناً الى وجود جامع فيها والى وجود منبر في الجامع اعتبره
 جديد الانشاء ، وأن الاولياء كانوا يلتقون في فناء ذلك المنبر أثناء صلاتهم في
 أيام الجمع ، فقال وهو يصف المتوكلية : -

وفسيحة الاكفاف ضاعف حسنها برّ لها مفض وبحر مترع
 قد سرّ فيها الاولياء إذ التقوا بفناء منبرها الجديد فجمّوا

ومما يؤيد ان الجامع المذكور هو جامع أبي دلف نفسه ان دائرة الآثار
 العراقية اهتمت في أثناء تنقيباتها في ابنية الجامع الى وجود محرابين هناك يقع
 احدهما على ظهر الآخر ، وعلى رأيها انه يحتمل ان الأول مشيد عند التأسيس وبعد
 اكمال تشييد الجامع وجد من الضروري تصغيره حيث انشئ منبر جديد بشغل
 جزءاً من المحراب الأول . ولعل ذلك هو السبب الذي حمل البحري على أن
 يطلق على المنبر اسم « المنبر الجديد » باعتبار انه انشئ بعد مضي بعض الوقت
 على إنشاء الجامع (١) .

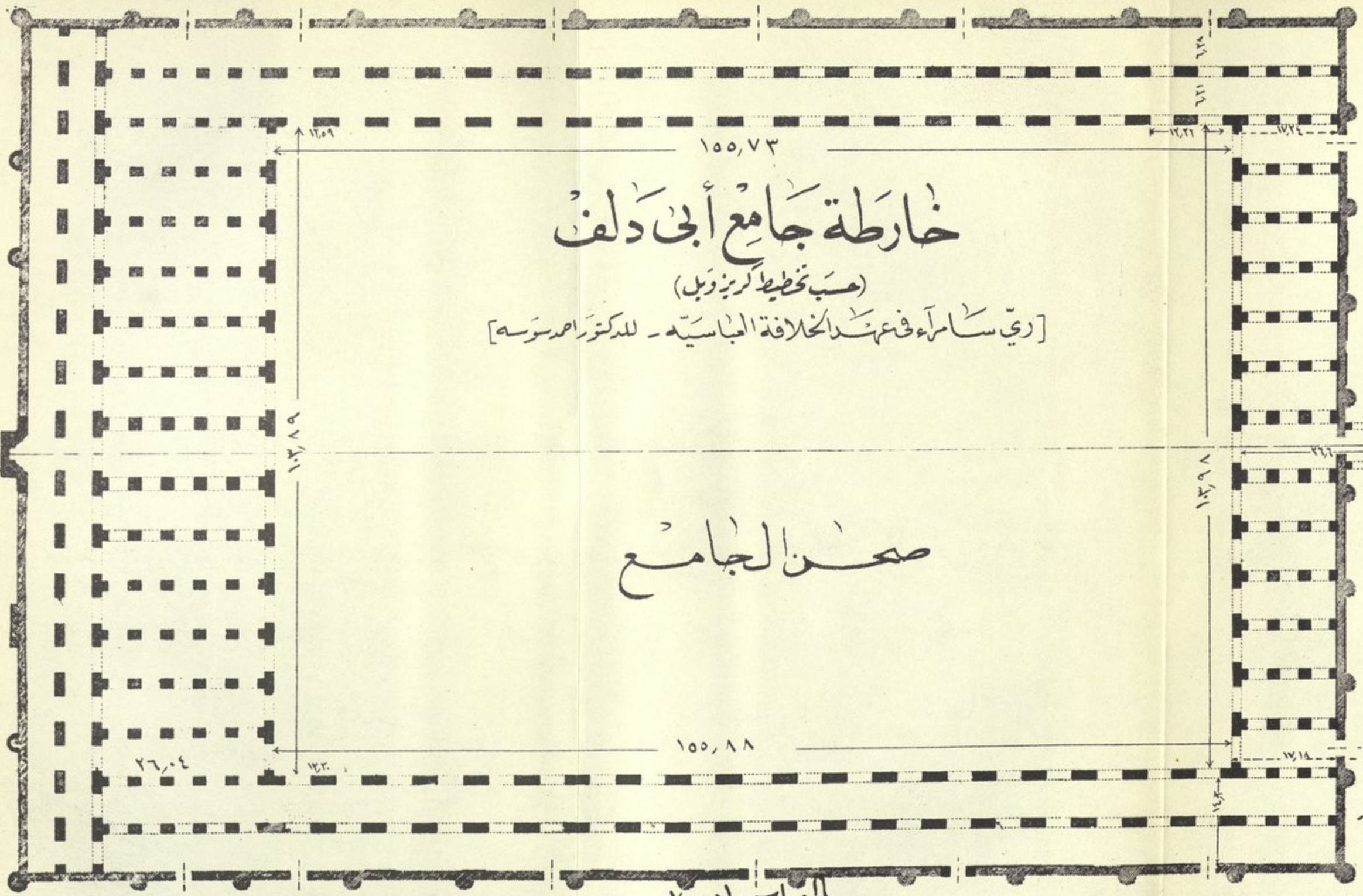
(١) راجع البحث المفصل عن جامع أبي دلف في مجلة « سرصر » ، المجلد الثالث ، الجزء
 الأول ، كانون الثاني ١٩٢٧ م (٦٠-٧٨) .

خارطة جامع أبي دلف

(مسب تخطيط كريتوبيل)

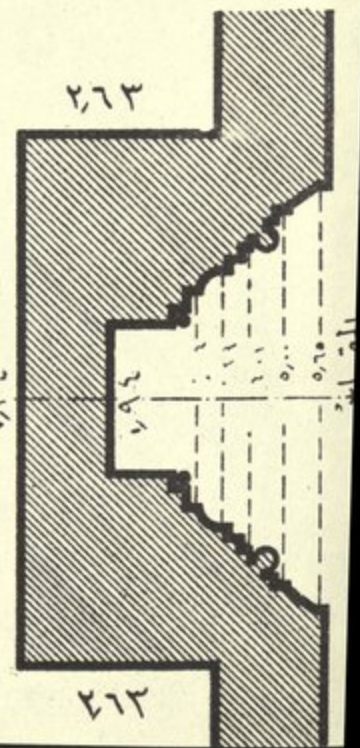
[ري سآراء في عهد الخلافة العباسية - للدكتور احمد سوسه]

صحن الجامع



المنزلة اللوية

تفاصيل لعوارب
٧٣٤



١٠ امتار

المقياس ١:٧٠٠

متراً

١ - مشروعات الري في عهد المتوكل

من أهم الأعمال التي تمت على عهد المتوكل المتصلة بتنسيق وتخطيط مدينة سامراء وضواحيها مشروع القناة (قناة سامراء) الذي يؤمن سحب المياه من دجلة وإيصالها إلى مختلف المواقع في المدينة . ويشتمل هذا المشروع على قناة خفية تستمد مياهها من نهر دجلة في شمالي الدور (دور تكريت) فتسير مسافة حوالي أربعين كيلومتراً حتى تصل إلى قلب العاصمة (سمر من رأي)، وقد مدها المتوكل إلى الجنوب حتى جوار القادسية . وبفضل هذه القناة تمكن المتوكل من إنجاز مشاريعه الجبارة في قلب العاصمة والتوسع شرقي مدينة سامراء باتجاه منطقة الحير ، ومن أهم هذه المشاريع مشروع إنشاء حلبة السباق التي في الحير (حلبة تل العليق) وهي الحلبة التي أمّن وصول المياه إليها من دجلة^(١) ، ثم مشروع إنشاء بركتي قصر الخليفة (دار الخليفة)^(٢) . وإن هذه القناة هي التي مكّنت المتوكل من ترميم المسجد الجامع (جامع الملوية) الذي أنشأه في أول الحير بالمياه الدائمة فجعل فيه على حسب قول اليعقوبي « فوارة ماء لا ينقطع ماؤها »^(٣) .

ولسكي يؤمن المتوكل إيصال المياه إلى حير الحيوانات ، الذي أنشأه جنوبي شرقي مدينة سامراء ، وإلى البركة الجعفرية (بركة البحترى) التي في الحير المذكور قام بمشروع ري خاص لتحقيق ذلك ففتح نهراً يقال له « نهر نيزك » يستمد المياه من القاطول الأعلى الكسروي وينتهي إلى الحير والبركة . ولتموين النهر بالمياه الدائمة ورفع مستوى المياه في القاطول أنشأ ناظماً قاطعاً على القاطول

(١) حول الحلبة المذكورة راجع البحث الذي تقدم في صفحة ٢١

(٢) حول البركتين المذكورتين راجع البحث الذي يلي في الفصل الخامس وما تقدم في

ص ٦٨ و ٧٠

(٣) حول مشروع القناة المذكورة راجع البحث التالي في الفصل الخامس وما تقدم في ص ١١٨

فأمن بذلك تنظيم المياه في ذلك المكان حسب المقتضى (١).

وأخيراً علينا أن نشير الى مشروع « نهر الجعفرى » وهو المشروع الذي انشيء لايصال المياه الى مدينة المتوكلية سيحاً . ويشتمل هذا المشروع على حفر جدول من ضفة دجلة اليسرى في نقطة تقع على بعد حوالى اربعين كيلومتراً من شمال تكريت فيسير جنوباً على محاذاة نهر دجلة مسافة حوالى ستين كيلومتراً حتى يصل المتوكلية . وكان الجدول المذكور يموت بركة القصر الجعفرى بالمياه وعلاوة على توين مدينة المتوكلية بالمياه ، كان يموت السواقي التي على جانبي الشارع الاعظم الذي يمتد بين « المتوكلية » و « كرخ أشناس » ، كما كان يموت أيضاً جامع أبي دلف بالمياه (٢) (راجع لوحة رقم ١) . ولسكي يستطيع المتوكل المشروع بانشاء مدينة المتوكلية وايصال المياه الى أماكن العمل دون أن يضطر الى الانتظار حتى ينتهي من مشروع النهر أنشأ قناة تسحب المياه من أعالي نهر دجلة وتحملها الى نواحي العمل في المدينة . وتبدأ هذه القناة (قناة المتوكلية) من ضفة دجلة اليسرى بالقرب من التلول المسماة « تلول هطرة » الواقعة شرقي حدود حاوي البوعجيل في نقطة تقع على بعد حوالى اثنى عشر كيلومتراً من شمالي الدور (دور تكريت) وحوالى ثمانية كيلومترات من جنوبي مدينة تكريت (٣) ، ثم تمتد الى موازاة قناة سامراء من شرقها فتخترق الدور وتتابع

(١) راجع البحث الذي يلي في الفصلين السادس والسابع .

(٢) حول النهر الجعفرى ، راجع البحث الذي يلي في الفصل الثامن .

(٣) ان « تلول هطرة » المذكورة كانت موضع قرية « هاطرى » القديمة ، وهي القرية التي ذكر ياقوت ان « بينها وبين الجعفرى الذى عند سامراء (أى القصر الجعفرى الذى في المتوكلية) ثلاثة فراسخ وهي دون تكريت واسفل الدور الاعلى المعروف بالخرية (أى دور تكريت) وكان اكثر اهلها اليهود » . وهذا يتفق مع المسافة الحالية بين تلول هطرة واطلال القصر الجعفرى .

سيرها الى جانب قناة سامراء حتى اذا ما قطعت مسافة حوالي أربعة كيلومترات
جنوبي الدور انحرقت الى الغرب واتجهت نحو مدينة المتوكلية . وتقطع القناة
في طريقها الاخير قناة سامراء كما انها تقطع القاطول الاعلى الكسروي في نقطة
تقع على بعد حوالي سبعة كيلو مترات من الدور . ولا تزال آثار شبكة الكهاريز
الفرعية التي تتفرع من القناة المذكورة ماثلة للعيان يمكن مشاهدتها في مواضع
عديدة داخل مدينة المتوكلية .

النهر وان - منسوه - تطوره

١ - نهر -

عرضنا في الفصل الأول صورة مجلّة لمدينة سامراء القديمة والتطورات التي اعتمدت مراحل انشائها ، وليتسنى لنا الوقوف على نظام الري القديم في المدينة علينا أن نستعرض قبل كل شيء ، الأدوار التي مرّت على مشروع النهر وان القديم ، وهو المشروع الذي يعدّ العمود الفقري لمنظومات الري القديم في منطقة سامراء .

اما الآثار التي نشاهدها اليوم لهذا النهر التاريخي العظيم على طول الضفة الشرقية نهر دجلة بين الدور (دور تكريت) والسكوت لمسافة ثلثمائة كيلومتر تقريباً فتمود الى عدة عصور واغله في القدم

وقد كان هذا الجدول اعظم وأوسع جدول عرفه العالم القديم ، ولا شك انه يعد من أطول وأكبر الجداول في العالم حتى في عصرنا هذا . وإذا لاحظنا أن عرضه يبلغ في بعض أقسامه حد المائة والعشرين متراً وعمقه في بعض الأقسام يبلغ أكثر من عشرة امتار اتضح لنا أهمية هذا المشروع وعظمته . فلا نعجب إذن اذا قال ويلكوكس « ان النهر وان كان يؤثر في مجري دجلة تأثيراً محسوساً في موسم الفيضان عندما كان يسحب اقصى حد استيعابه للغياء . » وقد أضاف الى ذلك قوله « لا يوجد أي جدول سواء أ كان في مصر أو في الهند يمكن ان يضاهي النهر وان في حجمه ، فان أوسع جدول في مصر لا يتجاوز عرضه الستين متراً وعمقه العشرة امتار » .

٢ - صرر النهروان

للنهروان ثلاثة مداخل رئيسية تتفرع من الضفة اليسرى لنهر دجلة في منطقة سامراء اثنان منها يتفرعان من جنوب سامراء ، أما المدخل الثالث فيتفرع من شمالها . ويؤلف المدخلان الجنوبيان المجري الرئيسي الاصلي للنهروان وقد انشأ على حسب الطريقة القديمة المتبعة في ذلك الوقت ، أي على أساس انشاء مدخلين للجدول أحدهما خاص بموسم الفيضان يستعمل عند ارتفاع مناسيب المياه في النهر والثاني خاص بموسم الصيفود (موسم قلة المياه) يستعمل عند هبوط مستوى النهر .

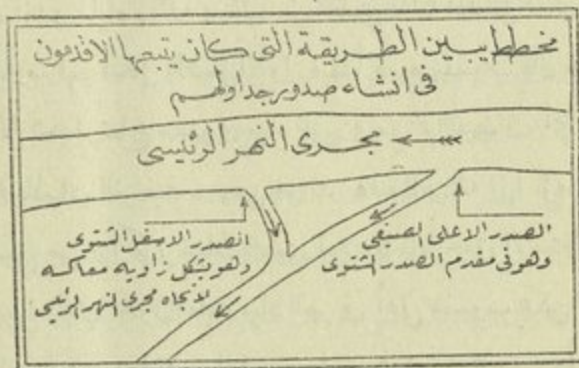
ومن المفيد ان نذكر في هذا الصدد ان الاقدمين اعتادوا أن يضعوا تصاميم جدواهم من دون نواظم في الصدور ، إلا أنهم كانوا يعوضون عن ذلك بانشاء مدخلين لكل جدول ينتحونه ، فيستخدم اعلاهما في الموسم الصيفي ، فلا يفتح إلا بعد ان تغدو المياه راتقة وخالية من الطمي ، أما المدخل الذي يقع عادة على بعد عدة كيلومترات اسفل المدخل الأول فينشأ قعره بنسوب عال بحيث لا تجري فيه المياه الا بعد ارتفاع مستوى مياه النهر في موسم الفيضان، أي عندما تكون المياه مشبعة بالمواد الغرينية . ومن فوائد هذه الطريقة انها تؤمن المحافظة على المدخل الصيفي من تراكم ترسبات الطمي فيه ، كما انها تحقق الاستفادة من موقع المدخل الصيفي الذي تكون امامه مياه النهر في أعلى منسوب يمكن الحصول عليه في موسم الصيفود عندما تشح المياه ويهبط مستواها في النهر . وأخيراً ان هذه الطريقة تسهل ضبط مياه الفيضان في المدخل الاسفل ذي القعر المرتفع حيث يكون مستوى المياه في النهر أمام هذا المدخل أوطأ منه أمام المدخل الاعلى (١).

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا « وادي الفرات » حيث يجد القارىء في ص ١٢٤ منه بحثاً عن مشكلة الطمي وجداول الري القديمة .

وعلى هذا الأساس انشيء مدخلان للنهروان ، وهما الواقعات في جنوبي سامراء ، فكان مدخل المجرى الشمالي المعروف اليوم باسم « نهر القائم » أو « نهر الارفاف » يستعمل أيام شحة المياه ، على حين ان مدخل المجرى الواقع جنوبي « نهر القائم » ، وقد رأينا ان نطاق عليه اسم « مجرى الصنم » للاسباب التي ستأتي فيما بعد ، كان يستعمل في موسم الفيضان . ويستدل من تدقيق مناسيب المياه في مجرى دجلة أمام كل من المدخلين المذكورين ان مستوى مياه نهر دجلة كان أمام المدخل الأسفل أوطأ منه أمام المدخل الأعلى بما يقرب من ثلاثة أمتار .

ونلاحظ ان المدخل الأسفل ، الذي كانت تجري فيه مياه الفيضان ، انشيء في اتجاه معاكس لمجرى النهر الرئيسي كما مبين في المخطط التالي (رسم رقم ٤) . ويظهر ان قد كان الغرض من ذلك تقليل كمية الطمي التي تدخل

رسم رقم ٤



الى الجدول بنتيجة تخفيض سرعة المياه الذي يتجه نحو المدخل ، على اعتبار ان انخفاض سرعة جري المياه يقلل من كمية الطمي التي تحملها هذه المياه الى الجدول .

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان السير ويلم ويلسكوكس كان قد اتبع في

وضع تصاميم مشاريعه التي اقترحها على نهر الفرات الطريقتين المذكورتين ،
فاقترح إنشاء مداخل مرتفعة خاصة بالفيضان واخرى خاصة بموسم الفيضانات في
كل الجدول التي وضع تصاميمها على نهر الفرات ، كما انه اقترح إنشاء صدر
جدول الحلة معاكساً لمجرى التيار ومواجهاً لقناطر الهندية على نفس الطريقة القديمة
الآتفة الذكر^(١) . ولا شك أن السير ويلم ويلسكو كس اقتبس هاتين الطريقتين
من القدماء بعد دراسته لمشاريع الري في العراق دراسة دقيقة ، ولا عجب في
ذلك فهو الذي كان يقول : « ان العراق في غنى عن تخطيط جديد لشق الترع فان
في الآثار الباقية من الدور العباسي كفاية لتنظيم أمر الزراعة والري في العراق » .

٣ - نهر القائم - مجرى النهر وانه الصيفي

يتفرع صدر مجرى القائم من نهر دجلة في نقطة تقع على بعد حوالي ١٦
كيلومتراً من جنوبي سامراء^(٢) عند برج القائم الواقع على الضفة اليمنى من
المجرى^(٣) (راجع التصوير رقم ٩ - برج القائم) ، لذلك يسمى هذا المجرى

(١) حول تفاصيل مقترحاته المذكورة راجع الجزء الثاني من كتابنا « وادي الفرات »
ص ١٢٥ - ١٢٧ و ص ٣١٣ - ٣١٥ وكذلك كتابنا « قناطر الهندية - تصميمها
تاريخها بعدائها » (بالانكليزية) ص ٥٨ - ٦٢ .

(٢) تشير هذه الابعاد الى المسافات التي تمتد على طول نهر دجلة .

(٣) يتكون هذا البرج من بناء مربع الشكل يبلغ طول ضلعه حوالي ستة امتار وارتفاعه
عن الأرض المجاورة ١٥ الى ٢٠ متراً ويقع على قم مجرى القائم تماماً وقد مهي في
اكثر الخرائط باسم « امام القائم » على حين انه لا يوجد فيه غير آثار منارة قديمة
هي اقرب الى شكل النصب التذكاري أو البرج من القبر . ويظهر من الآثار المتبقية
ان بناء البرج الداخلي بني بالجص والحصى الحشن ، والارجح ان وجه البناء كان
مغطى بطبقة من الآجر عليها بعض الكتابة وان هذه الطبقة تحربت أو قلعت منها
مادة الآجر التي فيها لاستعمالها في أبنية سامراء . ويلاحظ في الجهة الشرقية من البرج
آثار يستدل منها على انه كان في تلك الجهة سلم مدرج يصعد الى قمة البرج .

ويعتقد البعض بان البناء كان نصباً تذكاريماً اقيم بمناسبة انشاء الجدول وهي

الطريقة المتبعة منذ اقدم العصور حتى الآن عند انشاء الجداول فيدون عادة على النصب =



تصوير رقم ٩ - برج القائم

باسم « مجرى القائم » مع ان البعض يسميه باسم « نهر الارفاف » . ويسير مجرى القائم هذا بعد ان يترك حصن القادسية على ضفته اليمنى^(١) في الاتجاه الجنوبي الشرقي محاذياً الى نهر دجلة ، فيخترقه نهر العظيم قرب مصب العظيم في دجلة ، ثم يخترقه نهر الخالص قرب مدينة الخالص الحالية ويخترقه نهر ديالى قرب مدينة بعقوبة . وبعد ذلك يجري موازياً للضفة اليسرى لنهر ديالى

== اسم القائم بالمشروع وتاريخ انشاء المشروع وغير ذلك من الامور المتعلقة بالمشروع . وقد اختلف المحققون في امر تعيين تاريخ هذا البناء بعضهم ، وفي مقدمة هؤلاء المس بيل ، يعتقد انه اقيم عندما انشيء المشروع ولذلك فهو أقدم من العصر العربي . والذي نراه هو ان البرج قديم جداً والارجح ان البناء الاصلى يرجع الى العصر الذي انشيء فيه النهروان في الاصل ثم اتيد انشاؤه على عهد الرشيد عندما اعاد الرشيد حفر المجرى نفسه ، ولعل المتوكل اضاف اليه بعض الزخارف أو قام بتقويته . والدليل على هذا ان الحموي يذكر بان القائم « بنية كانت قرب سامراء من ابنية المتوكل » كما ان ابن عبد الحق يؤيد ذلك بقوله ان القائم « ثنية قرب سامراء من ابنية المتوكل » .

(١) حول هذا الحصن راجع البحث التالي الخاص بالقادسية في الفصل الرابع .

الحالي ، وبعد أن يجري في هذا الاتجاه مسافة زهاء ثلاثين كيلومتراً جنوبي بعقوبة يترك نهر دبال فينحرف نحو الشرق مخترقاً الأراضي الزراعية الواقعة على ضفة نهر دجلة اليسرى حتى ينتهي بالقرب من مدينة الكوت الحالية ، وبذلك يكون قد قطع مسافة ثلثمائة كيلومتر تقريباً في مجراه هذا . ويستدل مما أورده المؤرخون العرب بأن مجرى القائم المذكور هو نفس المجرى الذي عرفه العرب بأسم « القاطول » في اقسامه العليا ، وهو القاطول الذي تؤيد لنا كتاباتهم واشعارهم ان الرشيد أعاد حفره وبنى عليه قصرأ ليقم فيه عندما يخرج للتنزه هناك وقد سمي باسم « نهر أبي الجند » (١) .

٤ - نهر الصنم - مجرى النهر وانه الشتوي

اما مدخل النهر وان الأسفل (أي المدخل الشتوي) ، وهو المدخل الأخير من الجنوب ، فيتفرع من نهر دجلة في نقطة تقع على بعد ستة كيلومترات تقريباً من جنوبي مدخل مجرى القائم ومن أمام « حصن القادسية » مباشرة (٢) ، ويمتد مجرى هذا النهر مسافة حوالي أربعة عشر كيلومتراً يسير فيها محاذياً لمجرى دجلة أيضاً ثم يلتقي بمجرى القائم شرقي خان صعاوية وعرب رشيد على مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات عنها . وعلى الرغم من ان مجرى دجلة الحالي قد اكتسح معظم آثار هذا المجرى إلا أنه لا تزال آثار معظم اقسامه يذنة في جنوبي القادسية حيث يبلغ عرضه هناك حوالي ثلاثين متراً وارتفاع ضفتيه اكثر من اثني عشر متراً ، ولما كان هذا المجرى هو مجرى الفيضان فلا عجب اذا كان أوسع من المجرى الشمالي (مجرى القائم) .

ولا يزال يعرف الموضع الذي يتفرع منه هذا المجرى بالنسبة الى نهر دجلة

(١) حول نهر أبي « الجند » المذكور راجع البحث التالي في الفصل الرابع .

(٢) حول « حصن القادسية » المذكور راجع البحث التالي في الفصل الرابع .

بـ « الصنم » حيث لا تزال آثار صدر المجرى وضافه العالية ماثلة للعيان لمسافة مائتي متر تقريباً وذلك في شمال غربي القادسية بالقرب من معمل الزجاج القديم . ويرجع منشأ هذه التسمية الى عثور الأهلين على صنم فوق الضفة الغربية للمجرى في هذا المكان ، وكان ذلك بطريق الصدفة وحين جرفت مياه السيول النصف الاعلى للصنم من مسكانه الذي في أعلى ضفة النهر فحملته الى الوادي المجاور . ولعل الصنم المذكور كان قد نصب على فم المجرى في نفس الوقت الذي انشيء فيه النهر جرياً على العادة المألوفة بإنشاء مثل هذه النصب التذكارية على فوهات الجداول . وما يجدر ذكره في هذا الصدد هو أن المكان الذي يقع فيه الصنم المذكور يتفق تماماً مع الموضع الذي يقع فيه البرج القائم على فم المجرى الاعلى (مجرى القائم) .

ولقد ذكر فيليكس جونس، الذي مسح منطقة النهروان قبل مئة سنة تقريباً، أن الدكتور روس الذي زار هذه المنطقة في سنة ١٨٣٤ عثر على النصف الاسفل من هذا الصنم فحمله معه وبقي في حوزته . وقد ذكر الدكتور روس ان الصنم مصنوع من الحجر الاسود على هيئة التماثيل المصرية القديمة مما يدل على انه يرجع الى عهد قديم جداً . وقد وصف الدكتور روس الموضع الذي عثر فيه على النصف الاسفل من الصنم فذكر انه وجد هناك اطلالا لبناء مستطيل من الآجر المفخور المصنوع صنماً دقيقاً وقد جرف مجرى نهر دجلة نصف هذا البناء . اما الآن فلا يوجد أي أثر للبناء المذكور في هذا الموقع وذلك بنتيجة قلع الاهلين الآجر المتبقي منه .

ولا شك ان موقع مدخلي النهروان المذكورين (مدخلي القائم والصنم) كان موقعاً عسكرياً ستراتيجياً مهماً بالنسبة الى الظروف التي انشيء فيها مشروع النهروان، ونعني بذلك العداة الذي كان مستحكماً بين الرومان والفرس . ولما كان أمر المحافظة على هذين المدخلين وحراستها من خطر غزو الرومان الذي كان

يهدد المملكة الفارسية من ذلك الجانب من أهم الامور التي كان على رجال الحكم اعاتها اهتمامهم فقد انشأوا حصناً منيعاً بالقرب من نهر دجلة في داخل المثلث الذي يتكون في موضع التقاء مجرى القائم بمجرى الصنم لتحقيق حراسة المدخلين المذكورين ومنع وقوعهما بيد الاعداء . ولا تزال آثار هذا الحصن التاريخي باقية حتى الآن وهي تقع بين مجري القائم والصنم . أما الحصن فيتألف من سور ضخمة مشتمل الاطراف مدعم بدعامات ضخمة وهو يعد من أهم آثار منطقة سامراء^(١) .

٥ - القاطول الاعلى الكسروي

ان ما تقدم يتصل بالمجرى الرئيسي للنهروان الذي يبدأ بمدخله الشتوي والصيفي في جنوبي سامراء ، اما المجرى ذو المدخل المنفرد الذي يبدأ من شمالي سامراء فكان يعرف باسم القاطول الاعلى الكسروي نسبة الى كسرى أنوشروان الذي أمر بحفره لأرواء الاراضي الواقعة في جنوبي سامراء على ضفتي مجرى النهروان الرئيسي في القسم الأعلى منه ، وهي الاراضي المرتفعة بالنسبة الى مستوى صدر مجرى النهروان المذكور . وأهم ما في هذه الاراضي القسم الواقع بين مجرى النهروان الرئيسي الذي يتفرع من جنوبي سامراء وبين الضفة اليسرى من مجرى دجلة القديم الذي كان يسير آنذاك غربي مدينة بلد الحديثة فيجري غربي مجرى دجلة الحالي ثم يلتقي به شمالي مدينة السكاظمية الحالية^(٢) . وقد سمي هذا المجرى بالقاطول الاعلى لتمييزه عن القاطول الاسفل ، أي نهر القائم الذي كان يسمى بالقاطول أيضاً في العهد العربي .

وبدأ صدر القاطول الاعلى الكسروي في الدور (دور تكريت) فيسير

(١) راجع البحث الذي يلي في الفصل الرابع (المواد ١١ و١٢ و١٣) .

(٢) راجع البحث التالي الخامس بمجرى دجلة القديم في المادة (١٣) من هذا الفصل .

جنوباً على محاذة الضفة اليسرى لنهر دجلة مسافة نحو ٦٥ كيلومتراً ثم يلتقي
بجري القائم ، أو القاطول الاسفل ، في نقطة تقع على بعد ٣٢ كيلومتراً من قه .
وكان قد انشيء سد غاطس في نهاية القاطول الاعلى هذا لتحويل كل مياهه
الصيفية الى الفروع التي تتشعب منه أمام السد (راجع الرسمين ٦ و ٧) (١) .
وكانت الجداول التي تنفرع من الضفة الغربية تعبر من فوق مجري النهروان
الرئيسي (مجري القائم والصنم) على عبارات ضخمة (Aqueducts) ومن ثم
تمتد نحو مجرى دجلة القديم (راجع اللوحة رقم ٢) . ومن جملة هذه الجداول
الفرع الذي فتح من شمال السد الغاطس لحمل المياه الى « حصن القادسية » .
وكان هذا الفرع يقطع الاراضي الواقعة بين القاطول الاعلى والقاطول الاسفل
(مجري القائم) ، وبعد ان يعبر من فوق نهر القائم على عبارة من بناء الآجر
يفضي الى داخل الحصن (راجع الرسمين ٨ و ١٣) (٢) .

المنشآت الرئيسية والمرور المهم على النهروان والقاطول الكسروي

أن أهم المنشآت على النهروان هي النواظم والسدود المنشأة على مختلف المواقع
من مجراه بغية حجز المياه ورفع مستواها لتحويلها الى الجداول الفرعية التي
تنفرع من أمام تلك النواظم والسدود ، وأول بناء من هذا النوع ابتداء من
الشمال السد الغاطس (Weir) الواقع في ذنائب القاطول الكسروي عند ملتقاه
بمجرى النهروان الرئيسي (مجري القائم) ، وهو السد الذي سماه المؤرخون
العرب باسم « القناطر » ، وهو لا يزال محافظاً على هذه التسمية حتى الآن . وقد
انشيء هذا السد من بناء ضخيم يقوم على أساس من الآجر ومونة النورة
والرماد ، فيمتد سطحه بتسريح منتظم فوق طبقة سميكة من خرسانة الجص

(١) راجع البحث التالي الخاص بالقاطول الكسروي

(٢) راجع البحث التالي الخاص بحصن القادسية في الفصل الرابع

لوحة رقم ٢

خارطة تبين المواقع الاثرية لمدينة سامراء العباسية ومجرى النهر وان من صدره الشمالي الذي في الدور حتى هضبة العظيم

[ري سامراء في عهد الخلافة العباسية - للدكتور امرسون]

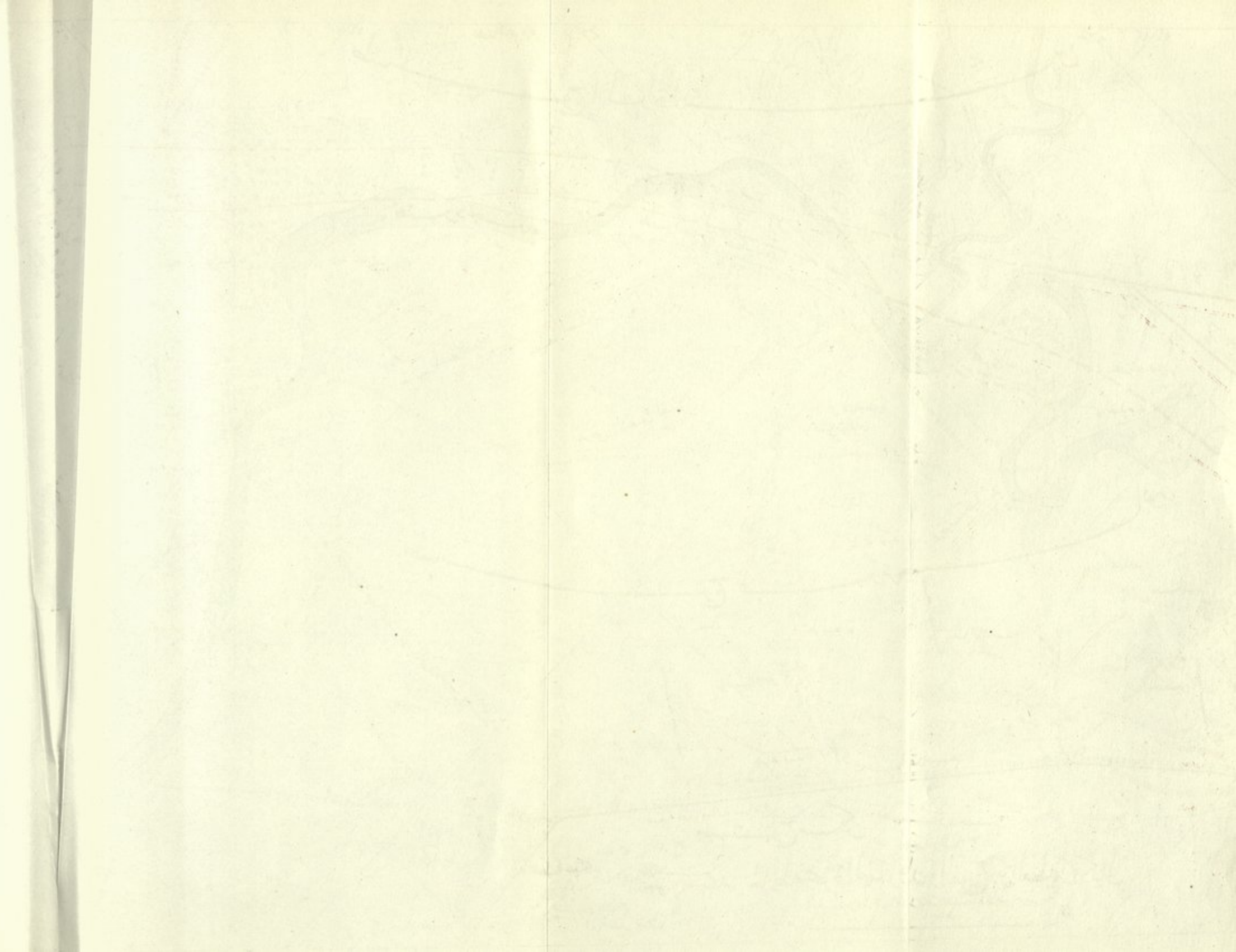
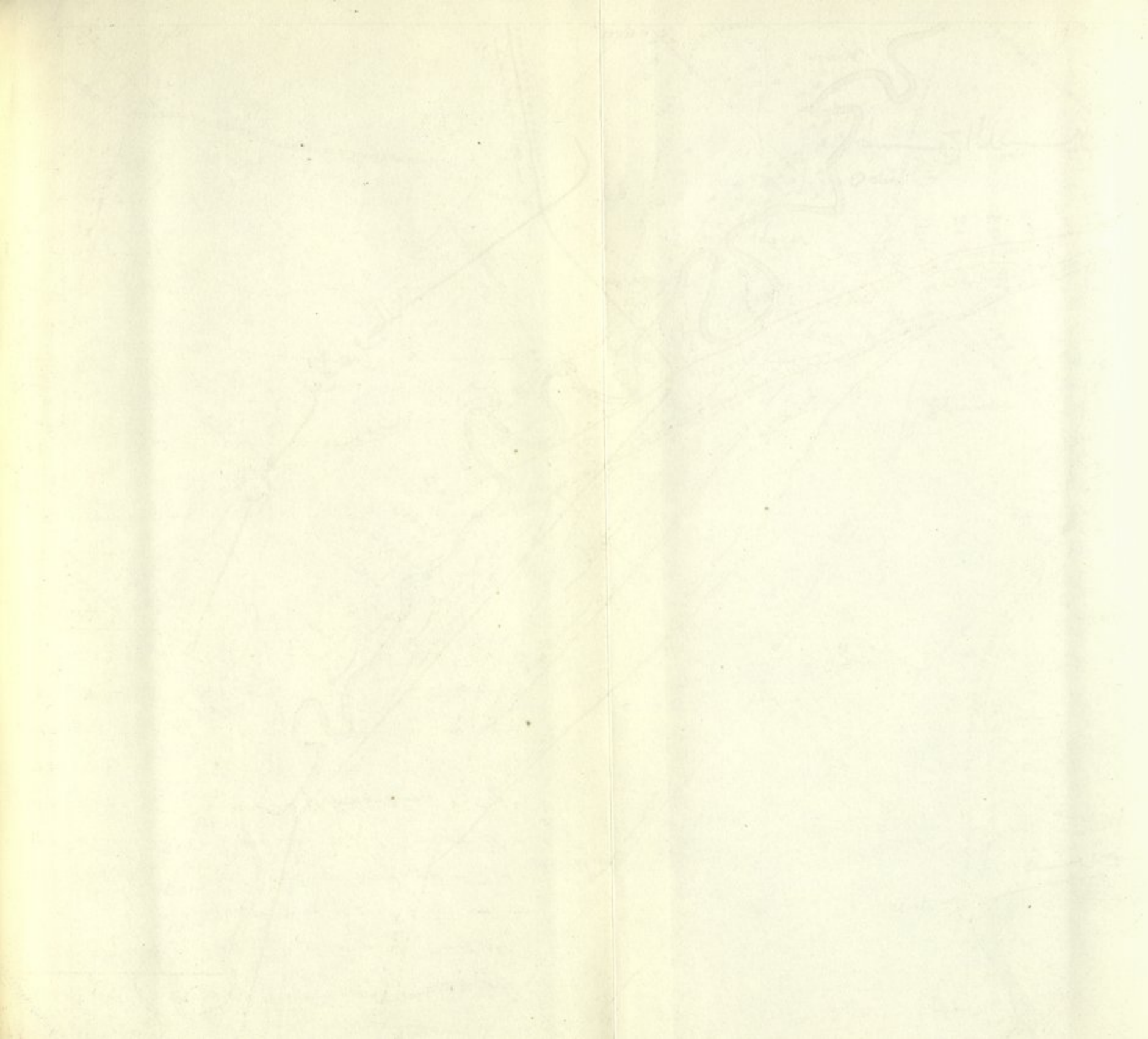
للقياس

كيلومتر ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

راجع ما قبلها لورقة رقم ١



راجع ما بعدها لورقة رقم ٣



والنورة والحصى . ولا يزال قسم السد الذي يقع على محاذاة الجناح الايمن باقياً الى الآن ، وقد تعذر على الاهلين انتزاع الآجر الذي في أسفل طبقة الخرسانة لصعوبة قلع الخرسانة بالآلات اليدوية. وفيما يلي القناطر سد آخر على مجرى النهروان الرئيسي يقع في نقطة تبعد حوالي ٢٥ كيلومتراً من فنه . وكان يعرف هذا السد باسم « الشاذروان الاعلى » لتمييزه عن سد آخر يقع في جنوبه ، وكانت تتفرع من أمامه عدة جداول كبيرة أهمها المعروفة اليوم باسم « خشوم الخور » وهذه كانت تروي الاراضي الواقعة بين مجرى دبالى الحالى والصفحة المبنى للنهروان ، وهي المنطقة التي تقع فيها « خفاجي » و « إسمايا » و « المدائن » القديمة (راجع اللوحة رقم ٢) . هذا فيما يختص بالجهة الغربية ، اما فيما يختص بالجهة الشرقية فكانت هناك عدة جداول تتفرع من أمام السد أيضاً لأرواء الاراضي الشرقية وأهمها الجدول الغربي الذي تسمى آثاره اليوم باسم « خيوط الاعوج » (١) .

ونأتي أخيراً الى أهم ما كان على مجرى النهروان من منشآت رئيسية ونعني بذلك السد القائم في القسم الاسفل من المجرى ، وهو السد الذي كان يسميه القدماء باسم « الشاذروان الاسفل » لتمييزه عن « الشاذروان الاعلى » الذي مر ذكره ، ويسميه الاهلون اليوم باسم « القنطرة » . ويقع هذا السد بين مدينة « عبرتا » وبين مدينة « اسكاف بني الجنيد » (المدينتين المهمتين على القسم الاسفل من مجرى النهروان) (٢) في نقطة تبعد زها ١٧٧ كيلومتراً عن فنه . ويمتاز هذا السد في كونه أضخم السدود التي على مجرى النهروان كما انه يمتاز في تصميمه الذي يشتمل على جدار ضخم يمتد في الجانب الغربي من السد وعلى هويس (ممر للسفن) الى جانب ذلك الجدار . ويستدل من آثار بناء هذا السد التي لا تزال باقية الى الآن انه اجرى ترميمات واضافات فيه في ادوار

(١) راجع البحث الذي يلي في الفصلين التاسع والعاشر .

(٢) راجع البحث عنهما في الفصل العاشر .

مختلفة لاختلاف نوع البناء ومادة البناء في مختلف اقسامه . وبما لا شك فيه أن القسم الاكبر من هذه الترميمات والاضافات اجريت خلال العهد العربي . وكان يتفرع من أمام السد جداول واسعة عدة تمتد الى جانبي النهر وان لارواه الاراضي السهلة الواقعة في منطقة اسكاف بني الجنييد ، ولا تزال آثاره هذه الجداول وضفافها العالية ماثلة للعيان تؤلف تلوفاً عالية تستوقف النظر من مسافة بعيدة ، وهي تقع في وسط أراضي الجزيرة الصحراوية ، كما ان بقايا النواظم التي كانت في فوهات هذه الجداول لا تزال تشاهد في مواضعها وهي مكونة من الآجر والنورة في الاساس ومن الآجر والجص في القمم الاعلى من البناء .

اما المنشآت التي كانت على نهر القاطول السكسروي فأهمها الناظم القاطمي الذي انشأه المتوكل هناك وهو يقع في نقطة تبعد نحو ثلاثين كيلومتراً عن فم النهر . وقد أنشيء هذا الناظم لحجز المياه ورفع منسوبها بغية تحويلها الى « نهر نيزك » الذي فتح من امام السد في الضفة الغربية ليروي المنطقة الواقعة بين القاطول السكسروي ونهر القائم^(١) ، وهي المنطقة التي انشأ المتوكل فيها حير الحيوانات وبركته المشهورة التي وصفها البحري وسيأتي البحث عن ذلك في الفصول الآتية .

وكان عدا السدود الرئيسية المذكورة جسوراً مهمة على مجرى النهر وان تقع على الطرق الرئيسية ، فأهم هذه الجسور من الناحية الاستراتيجية الجسر الذي انشيء في مدينة النهروان الواقعة على بعد زهاء ١٢٠ كيلومتراً من فم مجرى النهروان الذي في القائم وعلى بعد نحو عشرين كيلومتراً من شمالي شرقي مدينة بغداد ، وهو الجسر الذي كان يقع على طريق خراسان العام ، وقد عرفت مدينة النهروان باسم مدينة جسر النهروان نسبة للجسر المذكور . وقد تردد ذكر مدينة

(١) راجع ماتقدم في صفحة ١٤١

جسر النهروان هذه فيما كتبه المؤرخون من ان العرب لمناسبة الحوادث المهمة التي وقعت فيها في مختلف العهود التاريخية من جملتها واقعة النهروان المشهورة التي اندحر بها الخوارج سنة ٣٨ هـ^(١). وكان في جنوب جسر النهروان المذكور جسراً آخر في مدينة عبرتا الواقعة على بعد ٣٨ كيلومتراً من مدينة النهروان جنوباً. وكانت مدينة عبرتا هذه مدينة رئيسية على عهد الفرس تقع على الطريق العام بين المدائن (الايوان) ، التي جعلها الفرس عاصمتهم الشتوية ، وبين بلاد فارس^(٢) . أما في الناحية الشمالية فكانت جسور رئيسية على مجرى القائم ومجرى الصنم بالقرب من صدريهما على الطريق العام بين بغداد وسامراء^(٣) . ويمكن مشاهدة آثار الجسر الذي على مجرى القائم وهو يقع على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من فوه شرقي برج القائم .

أما الجسور التي كانت على القاطول السكروني فأهمها الجسر التاريخي المشهور المعروف اليوم باسم « قنطرة الرصاصي » ، ويقع هذا الجسر على مسافة سبعة كيلومترات ونصف من فم مجرى القاطول المذكور ، وكان مبنياً بالاحجار البازلتية السوداء ، وقد استعمل الرصاص في بنائه مما حمل الناس على تسميته باسم « قنطرة الرصاصي » وتسمية المجرى الذي تقع القنطرة عليه باسم « مجرى الرصاصي^(٤) » . وقد أشار ابن سراييون الى جسرين آخرين على المجرى المذكور في جنوب قنطرة الرصاصي أحدهما من الحجارة عند الايتاخية والثاني من الزواريق عند المحمدية^(٥) .

أما المدن الرئيسية التي كانت على مجرى النهروان فإن أحسن وصف تاريخي لها

(١) راجع البحث الذي يلي في الفصلين التاسع والعاشر ،

(٢) حول مدينة عبرتا راجع البحث الذي يلي في الفصل العاشر .

(٣) حول الطريق بين بغداد وسامراء راجع البحث الذي يلي في الفصل التاسع .

(٤) حول هذا الجسر راجع البحث الذي يلي في الفصلين الثالث والثامن .

(٥) راجع ما تقدم في صفحة ١٣١

ولنهر و ان نفسه الوصف الذي دونه ابن سرايون في أواخر القرن التاسع
 الميلادي فندرجه ادناه لأهميته، وقد بدأ به من فم القاطول السكسروي قال : -
 « ويحفل من دجلة من شرقها القاطول الاعلى السكسروي أوله أسفل دور
 الحارث^(١) بشي. يسير ماس لقصر المتوكل على الله المعروف بالجعفري^(٢) وعليه
 هناك قنطرة حجارة^(٣) ثم يمر الى الايتاخية وعليه هناك قنطرة كسروية ثم يمر
 الى المحمدية وعليه هناك جسر زواريق ثم يمر الى الاجمة قرية كبيرة ثم يمر الى
 الشاذروان ثم يمر الى المأمونية وهي قرية كبيرة ثم الى القناطر وهذه قرى عامرة
 وضياح متصلة ثم يمر الى قرية يقال لها صولى (ذكرت بعده صولى) وباعقوبيا
 ويسمى هناك تاملًا ثم يمر الى باجسرى ويحيى الى الجسر المعروف بجسر النهر و ان
 ثم يمر الى الشاذروان الأعلى ثم يمر الى جسر بوران ثم يمر الى عبرتا ثم الى يرزاوية
 ثم الى الشاذروان الاسفل وهذه قرى وضياح جميلة ثم يمر الى اسكاف بني الجنيد
 وهي مدينة في جانين والنهر يشقها ثم يمر بين قرى متصلة وضياح مادة الى أن
 يصب في دجلة أسفل ما ذرايا بشي. يسير في الجانب الشرقي ». وسيأتي البحث
 عن كل من هذه المدن والمواقع في مجرى فصول الكتاب الآتية .

٧ - منشأ النهر و ان

حاولنا فيما تقدم أن نحيط على قدر الامكان بالمواضيع المتعلقة بوضع
 النهر و ان، ويمكننا الآن ابداء بعض الملحوظات الاجالية عن منشأ النهر و ان . أما
 فيما يختص بتاريخ انشاء النهر و ان فيكاد يكون اجماع على انه انشيء على عهد
 الساسانيين بدليل ان البلاد اجتازت في هذا العهد خطوات واسعة في مضار
 الرقي وال عمران . ولعل أعظم رخاء شاهده العراق انما كان في عهد ملوك ساسان

(١) راجع البحث الذي تقدم عن الدور في صفحة ٥٨

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن القصر الجعفري في صفحة ١٣٣

(٣) هي « قنطرة الرصاصي » التي تقدم البحث عنها .

حيث ازدهر عمران الري بصورة خاصة في هذا العهد فأعيد احياء معظم مشاريع الري القديمة المهمة وانشئت السدود الضخمة لاستغلال مرافق البلاد الى اقصى حد ممكن . وقد امتاز هذا الدور بما تتمتع به من استقرار سياسي إذ قامت فيه سلطة موحدة على انقراض النظام العشائري فوضعت الركن المتين لنهضة عمرانية جديدة شملت طول البلاد وعرضها ، ومما ساعد على نمو تلك النهضة تأثير العقيدة الزوروستيرية التي أصبحت ديانة الممالك في عهد الساسانيين ، وهي العقيدة التي جعلت تعاليمها الاهتمام بالزراعة واصلاح الارض وتربية الحيوانات فرضاً مقدساً . ويظن أن أكثر مشاريع الري القديمة كمشروع النهروان وغيره من المشاريع المهمة الاخرى كانت قد أسست في ذلك العهد . وقد كتب انسير ويليم ويلكوكس في وصف أعمال الري في هذا العهد قال : « ولعل أعظم رخاء شاهدهه دلتا العراق انما كانت في أيام ملوك الفرس الساسانيين في أول العهد المسيحي ، حيث كان جدول النهروان الواسع الذي يبلغ عرضه أربعائة قدم وعمقه خمسة عشر قدماً يروي كل المنطقة الواقعة شرقي نهر دجلة » .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن إنشاء النهروان كان مقروناً بعوامل عسكرية تستهدف وقاية البلاد من غزوات الرومان ، فيقول هؤلاء بان الفرس قاموا بانشاء هذا المشروع بعد أن شعروا بأن القطر العراقي الذي كان في حوزتهم أصبح مهدداً من جهة شرق دجلة ، حيث صار الرومان يسلكون طريق نصيبين أو سنجار أو أرمينية في غزواتهم للعراق ، فينزلون بسهولة عن طريق السهول الآشورية شرقي دجلة في المواسم الملائمة حتى باب طيسفون . وقد شعر الفرس بأن بقاء هذا السهل بالشكل الذي كان عليه مما يهدد كيان دولتهم وانهباء اميراطوريتهم فقاموا بانشاء النهروان كمشروع دفاعي في الدرجة الاولى ، أما فوائد الزراعة فكانت في بادئ الأمر ثانوية ولكنها أصبحت الهدف بعد أن زال خطر الغزو على عهد العرب . وغير معلوم بالضبط في أي من عصور

عوائل الفرس انشيء مشروع النهروان ، على أن هناك من يعتقد بأنه إذا كان
بديء به على عهد العوائل الاول فان مما لا شك فيه انه تم في زمن سابور الثاني
ذي الاكتاف الذي تمتع عهد حكمه الطويل بفترة صلح طويلة مكنته من انجاز
هذه المشاريع دون ما اعتراض أو حائل .

أما تسمية النهروان فهناك ما يدل على انها قديمة للغاية وقد جاء ذكر هذا النهر
في اسطوانة اكتشفت في خرائب « خفاجي » الواقعة شرقي نهر ديبالي الحالي
بين بعقوبة وبغداد ، وكان وروده فيها صريحاً وانه كان يخترق مقاطعة « اشنونا »
التي تقع فيها مدينة « اشنونا » ، ويرجح ان خرائب تل اسم الواقعة على بعد
٢٢ كيلومتراً من شمالي شرقي خفاجي من بقايا مدينة « اشنونا » . والظاهر ان
هذه الاسطوانة كتبت على عهد شمسو ايلونا بن همورابي وخليفته الذي ورد اسمه
مقروناً باسم الموقع « دور شمسو ايلونا » المسمى « خفاجي » ، الآن ، وهي تعود
الى ما قبل ١٩٠٠ ق . م . على الاقل . والارجح ان النهروان كان في ذلك الدور
يقصر على القسم الذي يمتد بموازية نهر دجلة بين ديبالي والسكوت فقط وانه كان
يستمد مياهه من نهرديبالي مباشرة أو من أحد فروع ديبالي التي كانت تتفرع من
جوار مضيق جبل همربن .

وقد ذكر ياقوت ان للنهروان اسمين أحدهما فارسي والآخر سرياني فالفارسي
جوروان والسرياني تامراً فعرّب الاسم الفارسي ف قيل نهروان والعامية يقولون
نهروان بكسر النون على خطأ .

ومما يلفت النظر ان كلمة « نهروان » مصطلح عليها للدلالة على النهر الكبير
أو عمود النهر الرئيسي بصورة عامة ، إذ يلاحظ ان كلمة نهروان تطلق بصورة
عامة على الانهر الكبيرة المندرسة من دون تمييز . ومثال ذلك ان الاهلين
يطلقون هذه التسمية على نهري « رودان » و « البت » في منطقة العظيم وذلك
على الرغم من انها معروفة باسميها هذين ، ذلك مما يدل على ان كلمة نهروان

قديمة للغاية ، ويستفاد من الكتابات القديمة بانها كانت بالاصل (ناران) ثم صارت (نهروان) وأخذت هذه الكلمة تستعمل بعد ذلك للدلالة على النهر الكبير بصورة عامة .

٨ - السراة الفريمانه على النهرين «ديالى» و«العظيم»

ان من جملة الاعمال التي كان يتطلبها مشروع النهروان ضبط مياه النهرين «ديالى» و«العظيم» وتحويل مجريهما ليتسنى للنهروان اجتيازهما في طريقه الذي يمتد به من ثمه عند القائم الى جوار السكوت. وقد عالج الاقدمون ذلك بانشاء سدين ضخمين من الاحجار على المجريين المذكورين لتحويل مياههما عن اتجاهيهما الاصيلين . وقد انشيء هذان السدان في الموضع الذي يقطع فيه كل من النهرين سلسلة جبال حميرين ، فاقم سد ديالى بالقرب من منصورية الجبل ، وسد العظيم في الموضع المعروف بـ « البند » . ولا يعلم تاريخ انشاء هذين السدين ، كما انه لا يعلم ما اذا كان مجري ديالى والعظيم وتحويل اتجاهيهما الاصيلين من أجل النهروان الذي يستلزم سيره بين سامراء والسكوت اجتيازها أو من أجل هدف آخر بعيد الصلة بالنهروان ، ولا يعلم ايضاً ما اذا كان مشروع سد هذين المجريين انجز في نفس الوقت الذي انشيء فيه مشروع النهروان ، انما الذي نعلمه بصورة أكيدة هو انه لما انشيء مشروع النهروان كان مجريا النهرين (ديالى والعظيم) يسيران في غير اتجاهيهما الحاليين ، وهناك ما يدل على ان العرب بعد احتلالهم للعراق حافظوا على هذين السدين وقاموا بصيانتها لاستغلال مشروع النهروان والاستفادة منه كما استفاد منه اسلافهم .

٩ - مشروع سر ديالى الفريم

اما مجرى ديالى فقد حوّلت مياهه من أمام السد الذي انشيء في جبل حميرين الى منخفضات الروز الواقعة على محاذة جدول الروز الحالي^(١) ومنها الى بحيرة

(١) حول مجرى الروز هذا راجع البحث الذي يلي في الفصل العاشر (مادة ١) .

الشويحة التي تقضي الى نهر دجلة جنوب مدينة السكوت الحالية^(١) . وقد انشيء السد باحجار رملية مقطوعة من الجبل الواقع الى جانبه ولم يبق من بناءه إلا جزء من جناحه الايسر بالقرب من صدر جدول الروز الحالي ، ويبلغ عرض السد في اعلاه ما يزيد على المترين . ويستدل من الآثار الموجودة على أن هذا البناء كان قاطعاً نهر ديالى الى الجهة الثانية ، ويحتمل انه كان للسد أبواب لتنظيم المياه . ولعل بعض مياه فيضان ديالى كان يجري خلال الابواب المذكورة في مجرى ديالى الاصيلي بالقدر الذي تسمح به ظروف الفيضان فينصب في الجانب الشرقي من النهران قرب مدينة بمقوبة. والدليل على ذلك وجود اماكن من جهة الشمال يسمونها بيوت العباد أو بيوت العبيد ، ولعل العبيد أقرب الى الصحة ، وهذه منحوتة في الجبل نحتاً متقناً. ولا شك أن هذه الاماكن كانت قد اعدت للنواظير والمأمورين المستخدمين بذلك السد ، ولا بد من انه كان بجوار هذه الامكنة أبنية غير ما ذكر إلا أن تحريات ديالى على سرور العصور لم تبق لها أثر يستدل به .

وهناك بعض الروايات تشير الى ان تاريخ انشاء السد على مجرى ديالى وتحويل مياه هذا النهر من مجراه الاصيلي الى جهة الروز يرجع الى زمن قديم للغاية ، بدليل ان هيرودوتس ذكر بأن كورش الكبير الذي استولى على العراق في حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد قام بمشروع من هذا القبيل ، فانشأ سداً على مجرى ديالى وحوّل كل مياهه الى جداول احتقرها لسحب المياه بها الى المزارع الواسعة في الجنوب. واليك ما كتبه هيرودوتس في

(٢) راجع بحث المؤلف نفسه بعنوان «مشروعات الري الكبرى - خزان بحيرة الشويحة» وقد اقترح فيه مشروع يشتمل على إعادة انشاء سد ديالى من جديد وانشاء خزان في بحيرة الشويحة لخزن مياه فيضان ديالى فيها تم تحويل هذه المياه الى نهر دجلة جنوبي مدينة السكوت الحالية عندما تشح مياه النهر . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة المعارف سنة ١٩٤٧

هذا الصدد قال : « واذ كان كورش زاحفاً على بابل وصل الى شواطئ نهر جيندس (نهر ديالى) الذي يخرج من الجبال المتيانية ويمر ببلاد الدرنيين ويصب في نهر دجلة المار تجاه مدينة أويس ويصب في بحر اريتريه وهو خليج العجم ، فأراد كورش أن يعبر النهر المذكور وكان العبور لا يمكن إلا بالزوارق فحفرى أحد أحصنته البيض المعروفة بالخليل المقدسة وقفز فوق النهر وكان مجرى النهر شديداً فاخطفه وغرق فيه ، ورأى ذلك كورش فاستشاط غيظاً وآلى على نفسه أن يجعله جدولاً صغيراً يسهل على النساء أن يجترن فيه دون أن يغرهن أكثر من الركب ، فأوقف مسير جيشه عن بابل وقسمه الى شطرين ورسم بالحبال على كل من جانبي النهر مائة وثمانين ترعة وأقام لها حدوداً وأمر العسكر فأخذ يحفر حتى بلغ الغاية واشغل فيه جمّاً غفيراً من الرجال واقتضى هذا العمل مدة الصيف كلها . »

وخلاصة القول ان السد المذكور، سواء أ كان قد تم انشاؤه في زمن الفرتيين أم في زمن الساسانيين أم قبل ذلك ، فان هناك أمراً لا مجال للشك فيه وهو أن مشروع السد على نهر ديالى كان قد انشيء قبل مشروع النهروان الذي يمتد بين سامراء والسكوت ، إذ لولاه لما أمكن هذا النهر أن يجتاز مجرى ديالى ويمتد جنوباً الى قرب مدينة الكوت الحالية .

ويستدل بما دونّه المؤرخون العرب ان السد انهار في أواخر القرن الثالث الهجري (أوائل القرن العاشر الميلادي) ، الامر الذي اضطر ولاة الامور أن يقيموا بعد ذلك سداً آخر على مجرى ديالى بالقرب من مدينة جسر النهروان جنوباً بغية تحويل مياه ديالى من امام هذا السد الى مجرى النهروان الاسفل الذي يمتد بين نهر ديالى والسكوت^(١) . وبذا انقسم النهروان الى شطرين شطر يستمد ماءه من نهر ديالى ،

(١) حول تفاصيل انهيار السد راجع الفصل العاشر (النهروان في عهد انحطاطه) .

وهو القسم الذي يمتد بين ديالى والكوت ، وشطر يستمد مياهه من نهر دجلة في جوار سامراء ، وهو يقتصر على القسم الذي يمتد بين سامراء وديالى .

١٠ - مشروع سد العظيم القريم

ويمتاز سد العظيم عن سد ديالى بكونه من السدود المرتفعة ، وتعد بقاياه من أهم آثار مشاريع الري القديمة في العراق (أن لم يكن أهم ما لدينا) . ويتألف السد هذا من جدار ضخيم مسرّح من الخلف على نحو الجدران الداعمة (Retaining Walls) لمقاومة ضغط المياه الذي يتجمع أمام السد . ويبلغ عرض الجدار في القاعدة ٣٦ قدماً ثم يتقلص تدريجياً حتى يصبح حوالي العشرين قدماً عند القمة . ويبلغ ارتفاع هذا الجدار من سطح المياه في النهر الى القمة أربعين قدماً تقريباً ، أما طوله بين الضفتين فيبلغ حوالي ٤٥٠ قدماً جرفت المياه ما يقرب من ٢٠٠ قدم منه في القسم المتوسط ، أي في وسط مجرى النهر ، وقد دعم هذا السد بجناح طويل في كل من الجانبين يمتد الى مسافة عدة أمتار . أما المادة التي انشيء بها فهي من نفس الحجر الرملي الذي بني فيه سد ديالى وهو موجود في جبل حميرين في موضع السد ، وقد قطعت الاحجار بأطوال تتراوح بين ١٦ بوصة وثلاث أقدام ويعرض قدم ونصف الى قدمين وبسمك ١٦ بوصة . ويستدل من بقايا المونة التي استعملت بين الاحجار انها تتألف من خرسانة مزيجية من الجص والنورة والحصى الناعم وقد انتج هذا المزيج خرسانة قوية للغاية .

وقد حوّلت مياه النهر بعد انشاء هذا السد الضخم الى جدولين واسعين يتفرع أحدهما من الضفة اليمنى للنهر وتعرف آثاره اليوم باسم « نهر البت »^(١) ، وهو يمتد بموازاة نهر العظيم حتى ينتهي الى الضفة اليسرى للنهر وان ، وتتفرع

(١) البت كلمة فارسية معناها واحد أي النهر المنفرد .

منه عدة فروع من ضعفته اليمنى كانت تروي الاراضي الواسعة المعروفة الآن
بالسيحة والعيث والتي تمتد حتى بحيرة الشارع من جهة الغرب، وطبيعة الاراضي
في هذه المنطقة تدل على ان مياه نهر العظيم الزائدة كانت تحول في موسم
الفيضان الى بحيرة الشارع ، وذلك عن طريق نهر البت ووادي عسيلة الذي
يصب في بحيرة الشارع عند حدها الجنوبي الشرقي^(١) . والجدول الثاني يتفرع
من أمام السد أيضاً على الضفة اليسرى ويسمى الآن باسم « نهر رودان »^(٢) ،
وهذا يمتد لمسافة طويلة على محاذاة مجرى العظيم ، ومن أهم فروعه النهر الذي يمتد
الى الشرق مخترقاً أرض العرفة الشاسعة حتى ينتهي بالقرب من مزارع الخالص
الحالية. وأهم آثار عمران العرفة القديم الاطلال المعروفة باسم «العطوانيات»، وهذه
تحتل مساحة واسعة من الاراضي كلها تلول من بقايا أبنية ضخمة من الآجر تدل
على انها اطلال مدينة مهمة . وتقع هذه الآثار وسط العرفة شرقي طريق بغداد
كر كوك العام مباشرة وهي تحاذي وادياً وأسعاً « يسمى وادي الايتر » من

(١) تقع بحيرة الشارع في منطقة ساءراء ما بين النهرين دجلة والعظيم وشكلها مستطيل تمتد
بموازاة مجرى العظيم من الشمال الى الجنوب الى مسافة ٢٥ كيلومتر تقريباً . أما عرضها
فيبلغ معدله خمسة كيلومترات تقريباً وبذا تبلغ مساحتها حوالي ١٢٠ كيلومتراً مربعاً .
وتنصب المياه في هذه البحيرة في موسم الامطار من الاودية التي تنحدر من سفوح
جبل حرين والاراضي المرتفعة المجاورة من أطراف البحيرة الثلاثة اي من الشمال والغرب
والشرق . اما الحد الجنوبي فهو منخفض وينتهي الى واد طبيعي يعرف باسم وادي
السد ، ويتجه هذا الوادي نحو دجلة فيحمل المياه الفائضة من البحيرة ليصبها في
النهر في نقطة تقع أمام مدينة بلد الحالية الواقعة على الجهة الغربية منه .

وبلاحظ ان كل خرائطنا للعراق قد أسمت البحيرة باسم « بحيرة شاري » على حين
أن الاسم الحقيقي للبحيرة هو « بحيرة الشارع » ولعل الخطأ حصل في نقل اسم
البحيرة من الخرائط الانكليزية الى الخرائط العربية لا سيما وانه لا يوجد حرف
(ع) في اللغة الانكليزية .

(٢) كلمة رودان اصطلاح فارسي أيضاً وهي جم رود ومعنى الرود نهر، ذلك ما يدل على ان
نهر رودان كان مؤلفاً من فروع رئيسية عديدة .

ضفته اليسرى . ويلقب على الظن أن وادي الايتر هذا الذي يسير على محاذاة الضفة اليسرى لنهر العظيم هو نهر رودان نفسه وقد اجتاحتها السيول فتوسع واصبح عقيقاً للسيول التي تنحدر نحو نهر العظيم من جهته الشرقية . وتقدر مساحة الأراضي التي كان يرويها الجدولان (البت والرودان) بحوالي مليون مشاركة من الأراضي .

ويستدل من خرائب المدن والقرى الواقعة على جدولي البت والرودان وفروعها ان المنطقة التي كانت تمر بها هذه الانهر ، وهي المنطقة الواقعة على ضفتي نهر العظيم بين جبل حميرين ودجلة كانت كثيفة بسكانها ومزارعها وبساتينها ، وكانت أكثر بقاع العراق انتاجاً بفضل السد القائم على نهر العظيم .

ويؤيد لنا التاريخ أن منطقة العظيم هذه كانت من أوسع طاساسيج السواد على عهدي الفرس والعرب، فكانت تتكون من طسوجين يعرفان بـ «الراذانين» كان أحدهما في غربي مجرى العظيم والآخر في شرقيه . وكان يعرف الأول باسم «الراذان الاعلى» وهو القسم الذي كان يروي من نهر البت ، أما الثاني فكان يسمى «الراذان الاسفل» وهو القسم الذي كان يروي من نهر الروذان^(١) . ويظهر أن تسمية «راذان» ترجع الى عهد واغل في القدم ، إذ كان الآثوريون يسمون نهر العظيم «رادان» وكذا أتى اسمه أيضاً في تواريخ السكلدان أو الآثوريين

(١) ان التقسيمات الزراعية التي كان يعمل بها في ذلك الزمن تتألف من السكورة أو الاستان (والسكورة والاستان معنى واحد) وهي اكبر وحدة زراعية في القطر ، فتتقسم السكورة الى رساتيق (جمع رستاق) وينقسم الرستاق الى طاساسيج (جمع طسوج) وينقسم كل طسوج الى عدة من القرى . والسكورة اسم فارسي بحت وقد استعارتها العرب وجعلتها اسماً للاستان ، وهي الصقم الذي يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها . ويعني بالرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن فهو بمنزلة السواد وهو اخص من السكورة أو الاستان . أما الطسوج فهو لفظة فارسية أيضاً وهو اخص وأقل من الرستاق وقد قسم سواد العراق على ستين طسوجاً اضيف كل طسوج الى اعم (راجع مقدمة معجم يادوت الحوي) .

النصارى والبلد الذي في الجهة اليسرى منه كان يدعى أيضاً «رادان» (١).
وقد ذكر ابن خردادبة ان طسوجي الراذانين يقسمان الى ستة عشر رستاقياً
تبلغ ييادرها ثلثمائة واثنين وستين ييدراً وهذه تشتمل على أربعة آلاف وثمانمائة
كر من الخنطة واربعة آلاف وثمانمائة كر من الشعير هذا عدا مائة الف وعشرين
الف درهم من الورق .

اما الموضوع الذي كان الجدولان (البت والروذان) يتفرعان منه فان الجدول
الايمن (نهر البت) كان يتفرع في تقطة تقع على بعد ٢٠٠ متر تقريباً من أمام
السد، وعلى الارجح انه كان يسحب المياه دون ناظم في الصدر، حيث لا يوجد
أي أثر لناظم في موقع صدره . وكان الجدول الثاني يتفرع من عند السد وفي
صدره ناظم ضخم لا تزال بقاياه تؤلف جزءاً من بناء السد نفسه .

والناظم الواقع على صدر نهر الروذان مبني في الجناح الايسر من السد ويتألف
من أربع دعامات ضخمة بارترفاع ١٤ قدماً وسمك ١٥ قدماً وطول ٣٥ قدماً، وهذه
الدعامات تكون ثلاث فتحات عرض الواحدة منها سبعة أقدام وأربع بوصات.
ويختلف بناء هذا الناظم عن بناء السد في مادة بنائه حيث انشيء بالآجر المفخور
ومونة النورة، وقد سدت احدى فتحاته، وهي الفتحة الأخيرة من الجانب
الايسر، ببناء من الحجر الرملي الذي بني به السد، ويوجد صف من الاحجار بني
فوق الناظم على الطريقة التي انشيء بها السد نفسه مما يدل على ان الناظم كان جزء
من السد وقد بني في نفس الوقت الذي بني فيه السد (٢) (راجع رسم رقم ٥ -
سد العظيم القديم في جبل حمرين) .

(١) راجع تاريخ كلدو وآتور تأليف ادى شير، الجزء الاول، ص ٢

(٢) يظن البعض ان دعامات هذا الناظم من بقايا البناء الذي أقامه سليمان باشا
المعروف باسم «كجوك سليمان باشا» (والي بغداد بين سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨١١)
وذلك عندما حاول إعادة انشاء السد. ومن جملة الذين كانوا يحملون هذه الفكرة
الكتور روس الذي زار بند العظيم في سنة ١٨٣٤ وكتب عنه في جورنال

ويلاحظ ان عوامل التعرية (Soil Erosion) قد لعبت دورها في المنطقة التي يتفرع منها نهر البت والروذان ، ويتجلى تأثير العوامل الطبيعية هذه في المنطقة التي يتفرع منها نهر رودان في الجهة اليسرى ، إذ مزقت أحشاء الأرض هناك بحيث لم تبق أي أثر لجرى هذا النهر في صدره . وهكذا فلا نشاهد هناك اليوم سوى سلسلة من الخنادق العميقة والأودية الشاسعة تفزوها السيول في كل عام فتزيد في فعالية التعرية والتخريب .

ويظن أن سد العظيم كان يؤمن - فضلاً عن رفع مناسيب مياه نهر العظيم لتحويلها الى الجدولين الماري الذكر - خزن بعض المياه أمام السد لعمق حوالي مترين من مستوى قمة السد البالغ ٩٨ متراً فوق سطح البحر . وحيث ان الكمية التي يستوعبها عمق هذين المترين عبارة عن سبعة ملايين متر مكعب فقط، فلم تكن هذه الكمية من الكفاية بحيث يتسنى معها تحقيق ارواء المزارع الواسعة في أوقات انجbas الامطار أثناء الموسم الشتوي وأيام شحة المياه في موسم الصيفود . وهذا ما يؤيد لنا ان جدولي « الروذان » و « البت » كانا يتوهنان من مصدر آخر غير نهر العظيم هو من دون شك الزاب الصغير ، وذلك بواسطة قناتي العباسي والفيل المتصلتين بوادي زغيتون الذي يمتد بين الزاب الصغير والعظيم وينتهي في العظيم شمالي موقع السد بقليل . أما في موسم الفيضان فكانت تحوّل مياه الزاب الصغير بعد أن تختلط بمياه العظيم وتجري الى بحيرة الشارع عن طريق نهر البت الآنف الذكر^(١) .

== الجمعية الجغرافية الملكية لسنة ١٨٤١ (ص ١٢١ - ١٣٦) ، غير ان هذه الفكرة بعيدة عن الواقع كل البعد لأن الناظم مثبت في بنائة السد من كل الاطراف مما يجعله جزءاً من بناء السد كما ذكرنا اعلاه . اما اذا كان سليمان باشا قام بعمل ما على سد العظيم فلا يمكن ان يكون عمله هذا غير ترميمات سطحية قام بها أثناء محاولته لاعادة انشاء السد .

(١) راجع بحث المؤلف نفسه بعنوان « مشروعات الري الكبرى — خزان بحيرة الشارع » وقد اقترح فيه مشروع يشتمل على اعادة انشاء سد العظيم لاجلاء ==

ومن المرجح ان انهيار سد العظيم كان تدريجياً وانه لم يتم نهائياً حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (حوالي أواخر القرن السادس الهجري) وذلك بتتبع تصدع حصل فيه قبل الانهيار النهائي بـمدة . ويمتد البعض أن السد خرب عمداً خلال الحروب والغزوات التي انتابت البلاد في العهد العباسي الأخير لتخريب النهروان الذي كان يعتبر من أهم الحصون الدفاعية في ذلك الزمن ولا سيما وانه كان أهم مشروع يمتدح منطقة دجلة الشرقية بأسرها بمياه الري^(١) .

١١ - مشروع سد نمرود القديم

ولا بد من التطرق في هذا الصدد الى البحث عن السد التاريخي المشهور المعروف بـ « سد نمرود » ، وهو السد الذي انشيء على نهر دجلة في شمالي بلد لتحويل مجرى دجلة الرئيسي من عقيقه الأصلي، الذي كان يسير في اتجاه مجرى دجلة الحالي بين بلد وبغداد، الى الاراضي الصلبة الواقعة في الجهة الغربية. فبمقتد السير ويليم ويلسكوكس ان مياه دجلة كانت في الماضي تقب فوق طبقة حجرية صلبة وتدخل الدلتا بمنسوب عال ، إلا انه حصل ائتكال في هذه الارض الصلبة بتأثير المياه منذ العصور التاريخية الغابرة كان من نتائجه أن أقام رجل عظيم سداً تريباً عبر المجرى وبذلك حوّل المياه الى الأرض الصلبة في الشاطيء الايمن ، وقد عرف هذا السد بأسم « سد نمرود » . ودليل ويلسكوكس على ذلك أن هناك، في هذا القسم من دجلة، طبقة حجرية صلبة عمقها عشرة امتار تقع تحت الرواسب السطحية وتغطي طبقة أخرى من الصلصال فتتحد هذه الطبقة

== منطقة العظيم من جديد وانشاء خزان في بحيرة الشارح لخزن مياه فيضان النهرين العظيم والزاب الصغير فيها ثم تحويل هذه المياه الى نهر دجلة جنوبي مدينة سامراء عندما تشح مياه النهر . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة المعارف سنة ١٩٤٧ .

(١) حول تفاصيل انهيار سد العظيم راجع البحث الذي يلي في الفصل العاشر مادة « انهيار سد العظيم ونتائجه » .

الصلبة نحو الجنوب الشرقي ثم تخفتي تحت قاع النهر شرقي بلد . ويرى السير ويليم أنه بعد تحويل مياه النهر الى جهة الغرب بقي المجرى في تلك الجهة مدة تربو على ثلاثة آلاف سنة وذلك بفضل السد الذي انشيء هناك حتى انهار السد فرجعت مياه نهر دجلة الى المجرى الشرقي الواطي . الأمر الذي أدى الى هبوط منسوب الماء في نهر دجلة في ذلك المكان الى عشرة امتار ، وكانت نتيجة ذلك ان جف النهران العظيمان - النهروان ودجيل - فتحولت الأراضي الواقعة على ضفتي نهر دجلة في القسم الاعلى من مجراه القديم الى صحراء قاحلة ، ويرى ويلسكوكس انه يحتمل بأن سبب انهيار السد يرجع الى فيضان دجلة أو أن الائتسكال في قعر النهر وصل الى السد فقضى عليه^(١) . ويمكننا ان نلخص آراء السير ويليم ويلسكوكس عن سد نمروود فيما يلي :-

١ - ان السد كان سداً ترايبياً .

٢ - ان السد كان قد انشيء قبل اكثر من ٣٥٠٠ عام على مجرى دجلة الأصلي وهو المجرى الذي كان يسير في اتجاه المجرى الحالي بين المدينتين بلد وبغداد وبعد أن حصل ائتسكال في هذا المجرى حفر مجرى جديد في الأراضي المرتفعة على الجانب الغربي وحولت مياه النهر اليه وقد بقي السد قائماً مدة تربو على ٣٠٠٠ سنة

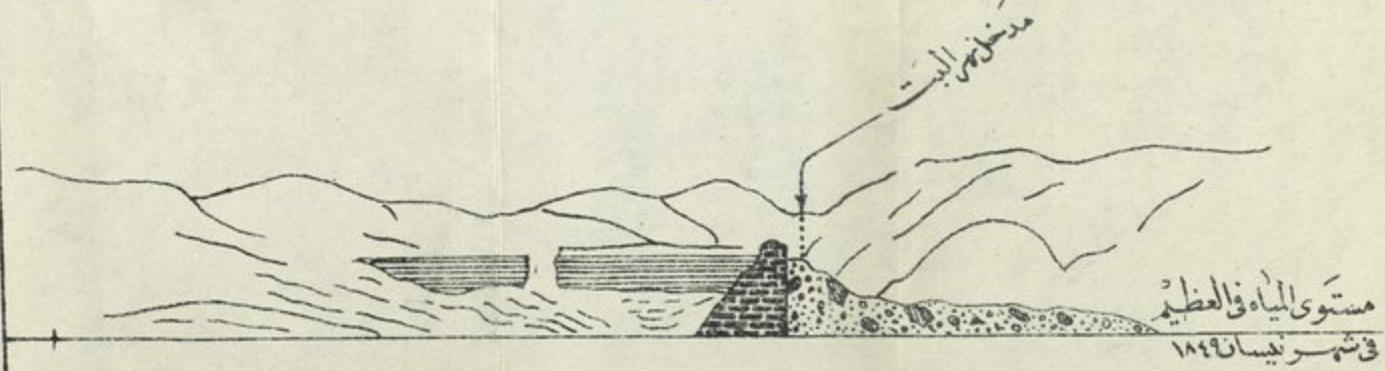
(١) قال السير ويليم ويلسكوكس : « هناك على بعد بضعة كيلومترات فوق النقطة التي يدخل فيها نهر دجلة دلتاه أقيم في الوادي سد ترابي جسيم يحول النهر فوق الأرض الصلبة لكيما يجري بمنسوب عال فيروي الأراضي الواقعة على ضفتيه . وقد اخذت من طرف السد الأمامي الصدور الثلاثة لجداول النهروان الكبير على الضفة اليسرى وجدول دجيل على الضفة اليمنى . ويمزى الى نمروود الفضل في انشاء السد وتحويل مجرى النهر . وقد بقي هذا السد قائماً مدة تربو على ٣٠٠٠ سنة حين جرفته المياه في عهد آخر الخلفاء العباسيين الضعاف (راجع كتاب ويلسكوكس « بين عدن والاردن » الترجمة العربية ص ٤٦ و ٨٣ وتقريره عن ري العراق الترجمة العربية أيضاً ص ٨ و ٥٩) .

رِسْمٌ رَقْمٌ ٥
 سَدُّ الْعَظِيمِ الْقَدِيمِ فِي جَبَلِ حَرَبِينَ [عنه فيليكس جونسن - ١٨٤٩]
 [ري سامراف عهد الخلافة العباسية - للدكتور (مدرس)]

المقطع العرضي للسد



المقطع الجانبي للسد ماخوذ من الجانب الشرقي



٣ - ان النهر وان بداخله الثلاثة كان يتفرع من نهر دجلة من أمام السد في الجانب الشرقي وان نهري دجيل والاسحاقي كانا يتفرعان من أمام السد أيضاً في الجانب الغربي وان هذه الانهر انشئت في نفس الوقت الذي انشيء فيه السد .

ومع أننا نتفق مع السير ويليم ويلكوكس بأن السد كان سداً تريبياً إلا أنه لا يسعنا أن نتفق وأياه فيما ذهب اليه حول حفر المجرى الجديد في الجهة الغربية من مجرى دجلة الأصلي وانهار السد ومنشأ النهران ودجيل نظراً للدلة التاريخية والبراهين الأخرى التي بين أيدينا والتي تدل على خلاف نظرياته في هذه الامور . أما ما يختص بتحويل مجرى دجلة فالذي نراه هو ان مجرى دجلة كان في القسم الذي يمتد بين المدينتين بلد وبغداد يتألف في الأصل من فرعين رئيسيين ، فرع شرقي يسير باتجاه مجرى دجلة الحالي وهو أشبه بالمصرف منه بالنهر، وفرع غربي وهو المجرى الرئيسي للنهر ينعطف من قرب القادسية فيجري غرباً بموازية مجرى الفرع الشرقي تاركاً قصبه بلد الحالية في جانبه الشرقي ومدينة سميكه الحالية في جانبه الغربي حتى اذا ما قطع مسافة حوالي مئة كيلومتر التقى بالفرع الشرقي في مكان غير بعيد من شمال السكاظمية .

ويظهر ان الفرع الشرقي سد من صدره بعد أن حصل الائتكال في قعره وكاد يسحب كل مياه النهر تاركاً الفرع الغربي (مجرى دجلة الرئيسي) من دون ماء ، وقد بقي هذا السد قائماً مدة طويلة حتى جاءت ظروف ملائمة بنتيجة الاضطراب والتدهور اللذين سادا في البلاد فعاد مجرى النهر الرئيسي الى الفرع الشرقي الواطئ . سالكاً طريق نهر القورج، وهو النهر الذي حفره كسرى انوشروان قرب سد عمرود ليحل محل مجرى القائم بغية تأمين ايصال المياه الى أراضي النهران السفلى في موسم الصيف ، وسيأتي البحث عن النهر المذكور في الفصل الذي يلي (راجع الفصل الثالث « مادة نهر القورج » واللوحتين ٢ و ٣) . وهكذا صار الفرع الشرقي الذي كان يسير باتجاه مجرى دجلة

الحالي يسحب مياه النهر كلها فأصبح هو المجرى الرئيسي لنهر دجلة تاركاً المجرى الأصلي في الجهة الغربية بين كتيبات الرمال يحيط به الجذب من كل صوب ، وقد ساعده على ذلك انخفاض قعره من جهة وارتفاع مستوى المجرى الغربي لسكثرة الترسبات التي تراكت فيه من الجهة الثانية . وهناك دلائل تاريخية موثوقة على ان تحول المجرى حصل في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر القرن السادس الهجري)^(١) ، وبعد أن تم التحول بصورة نهائية صار الوادي الذي كان يجري فيه نهر دجلة القديم من جهة الغرب يعرف باسم « الشطيطة » ، ولا يزال هذا الوادي يسمى بـ « الشطيطة » حتى الآن^(٢) .

والدور الذي لعبه مجرى دجلة بالنسبة الى الفرعين الشرقي والغربي إنما يذكرنا بالدور الذي لعبه مجرى الفرات بالنسبة الى فرعي الهندية والحلة ، إذ كان مجرى الهندية في بادئ الامر مصرفاً لنهر الفرات ثم أصبح هو المجرى الرئيسي للنهر في القرون الوسطى ، وكان كذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي للمرة الثانية ، وهو يكون المجرى الرئيسي لنهر الفرات في الوقت الحاضر^(٣) .

وإذا قام الاقدمون بسد فرع دجلة الشرقي سداً تاماً وتحويل كل مياه النهر الى الفرع الغربي ، فذلك لانه لم تكن لديهم الوسائل الحديثة التي تسهل عملية انشاء بناء مع أبواب تفتح في موسم الفيضان وتغلق في موسم الصيف على نمط قناطر الهندية الحديثة ، لذلك كان لا بد من سد المجرى كله وتحويل مياهه الى

(١) كنا قد ذهبنا في كتابنا « وادي الفرات » الجزء الثاني (ص ٢١٠ و ص ٢٥١) الى ان تحول مجرى دجلة حصل في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، الا أن التبعات والدراسات العملية الاخيرة جعلتنا ننهي الى النتائج المبينة اعلاه . (راجع البحث التالي الخاص بتحول مجرى دجلة في الفصل الحادي عشر) .

(٢) راجع البحث التالي الخاص بمجرى دجلة القديم في هذا الفصل

(٣) حول تطورات مجرى الفرات المذكور راجع الجزء الثاني من كتابنا « وادي

الفرات » (الفهول ٥ - ٩) .

الفرع الغربي بدلاً من انشاء سد من بناء يتخلله أبواب حديدية لتوزيع المياه على الفرعين الغربي والشرقي بحسب الحاجة .

ويرى البعض ان السد المذكور لم ينفشاً لغرض رفع مناسيب المياه في النهر فحسب وإنما كان قد انشيء لخزن كمية من المياه في موسم الفيضان في الجهة الامامية من السد على نمط خزان اسوان أو خزان جبل الاولياء في مصر فتكونت بنتيجة ذلك بحيرة داخل وادي النهر بطول ١٣ ميلاً وعرض يتراوح بين الميل الواحد والميل والنصف، وكانت هذه البحيرة تمتد شمالاً الى قرب مدينة سامراء الحالية . إلا ان ذلك بعيد الاحتمال لسببين ، أوهما ان الاراضي على ضفتي النهر وان كانت مرتفعة الى حد ما غير انها لا تشكل ارتفاعاً كافياً لاحاطة وادي النهر من جهتيه بحدود مرتفعة تساعد على خزن المياه بكميات كافية ، ثم لو كان هناك خزان من هذا القبيل لسكان بقي له بعض الأثر على الاخص قرب مداخل النهروان العديدة ، وفضلاً عن ذلك ان المؤرخين القدماء لم يشرؤا الى مثل هذا الخزان في هذه المنطقة ، كل ذلك يدل على ان الغرض من انشاء السد كان يقتصر على تحويل مياه نهر دجلة الى الفرع الغربي كما سي بيانه .

وقد يجوز لنا أن نستدل بما تقدم ان ما ذهب اليه السير ويليم ويلسكوكس من ان الاقدمين قاموا بانشاء سد تمرود على المجرى الشرقي الذي كان على حسب ظنه المجرى الرئيسي بغية تحويل مجرى دجلة الى نهر جديد احتفروه في الجهة الغربية لا يخلو من الوهم، إذ لو كانوا حفروا مثل هذا المجرى الواسع الذي ينبغي أن يكون بحجم يستوعب كل مياه فيضان دجلة لمسافة تربو على المئة كيلومتر لما اغفلوا ذكره أو اهملوا نقل اخباره .

ولا بد من الاشارة في هذا الصدد الى ان سد تمرود فقد علائمه الاصلية كسد بمرور الزمن حيث أصبح جزء من الاراضي المرتفعة الواقعة على شاطئه النهر ، لا سيما بعد أن انشئت على المجرى الشرقي القديم قرى ومزارع وجداول

أدت الى محو معالم ذلك المجرى واندراس عقيقه تماماً. لذلك فان من الأصح أن يقال إن مجرى دجلة تحول من عقيقه الغربي العالمي الى المجرى الشرقي الواقع في الاراضي الواطئة بدلاً من ذكر انهيار سد نمرود القديم، إذ لم يبق هناك سد لينهار، وكل ما حدث هو ان مجرى دجلة تحول من عقيقه الغربي الى جهة الشرق حيث يسير مجرى دجلة الحالي، وكان ذلك من جنوب موقع سد نمرود القديم على اثر انبثاق صدر نهر القورج الذي كان يتفرع من نهر دجلة في ذلك الموضع^(١) وعلى أثر انهيار سد العظيم الذي ساعد على ذلك التحول^(٢).

ويستدل من تدقيق المناسيب على أن مشروع سد نمرود كان يحقق رفع منسوب مياه النهر في موسم الصيف الى حوالي تسعة أمتار فوق منسوب النهر الصيفي الحالي، بدليل ان منسوب قعر مجرى القائم في الصدر، وهو المجرى الذي كان يستعمل في موسم الصيف في ذلك العهد، يبلغ حوالي ٦٠ر٥٠ متراً فوق معدل مستوى سطح البحر، على حين أن معدل منسوب المياه الصيفي الحالي في نهر دجلة يبلغ زهاء ٥٠ر٥٠ متراً أمام برج القائم. كذلك ان منسوب قعر صدر المجرى الاسفل الذي يتفرع عند الصنم أمام القادسية يعلو عن منسوب مياه نهر دجلة الصيفي الحالي في هذا المكان بما يقرب من عشرة أمتار أيضاً.

اما ما ذهب اليه السير ويليم ويلسكوكس من أن مشروع النهروان بمداخله الثلاثة انشيء في نفس الوقت الذي انشيء فيه سد نمرود أي قبل اكثر من ٣٥٠٠ سنة على اعتبار ان سد نمرود انشيء لغرض تأمين اوصول المياه اليه، بعيد عن الواقع للأسباب التي مر ذكرها في بحثنا عن منشأ النهروان. اما مشروع نهر دجيل الذي يرى انه انشيء في نفس الوقت أيضاً فهناك ما يثبت لنا انه

(١) راجع البحث التالي في الفصلين الثالث والحادي عشر

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن انهيار سد العظيم في صفحة ١٦٧ والبحث الذي يلي في

يعود الى دور متأخر أي الى ما بعد انشاء النهروان (١).

ومما يدل على تردد السير ويلم ويلسكوكس وشكوكه فيما ذهب اليه حول تاريخ سد نمرود وتطوره ان كتاباته في هذا الصدد جاءت غامضة ومتناقضة ، فبعد أن أيد في كتابه « اعادة احياء مشاريع الري القديمة على نهر دجلة » المطبوع في سنة ١٩٠٣ ما ذهب اليه فيليكس جونس من أن سد نمرود جرف بفيضات دجلة العظيم الذي وقع في سنة ١٦٢٩ الميلادية ، عاد فقال في تقريره المرفوع الى الحكومة العثمانية سنة ١٩١١ ما يلي : « وفي ايام الاضطرابات التي حدثت بعد الخراب الذي جرى على يد هولوكو وتيمورلنك ، حل الدمار في طول البلاد وعرضها ولا ندرى فيما اذا كانت سد نمرود قد جرفت بفيضان دجلة أو ان الائتكال الذي كان يحصل في قاع مجرى دجلة الجديد وصل الى السدة ففضى عليها » . ثم ذكر في مقاله « مستقبل العراق » المنشور في مجلة الشرق الاذن سنة ١٩١٦ أن « سد نمرود بقي قائماً مدة تربو على ٣٠٠٠ سنة ، حتى جرفته المياه في عهد آخر الخلفاء العباسيين الضعاف » . وفضلاً عن ذلك ان السير ويلم ويلسكوكس رفع مقترحات عديدة حول اعادة احياء مشروع سد نمرود القديم مما يدل على انه لم يكن حاسماً في آرائه ولا واثقاً من نفسه فيما يختص بموضوع السد المذكور ، إذ يبدأ فيقول ان محل العاشق خير موقع لتحويل مجرى دجلة منه ، فيضع تصميماً لأنشاء سدة ترابية في ذلك المسكان طولها حوالي سبعة كيلومترات وعرضها في القمة عشرة أمتار وتساريجها ١ في ٢ من الامام و ١ في ٤ من الخلف ، على أن يحول نهر دجلة من أمام السدة المذكورة ليسير في الجهة الشرقية في اتجاه النهروان . ومما يلفت النظر ان السير ويلم ويلسكوكس لم يذكر شيئاً عن الاتجاه الذي كان ينوي

(١) حول مشروع نهر دجيل راجع البحث التالي العاصم بنهر دجيل في الفصلين الثالث والحادى عشر .

تحويل المجرى فيه بعد أن يتصل بالنهروان ، فهل كان يروم تمديد المجرى الجديد في اتجاه النهروان الى قرب الكوت حيث ينتهي مشروع النهروان أو كان ينوي ارجاعه الى مجرى دجلة الرئيسي مسكناً ما من شمال بغداد ، واذا كان يروم اتباع الطريقة الثانية أين يكون المسكن الذي سيلتقي فيه المجرى الجديد بمجرى دجلة ، فسكل ذلك غير واضح . وبعد أن يرفع السير ويليم وبلـكوكس هذا الاقتراح ويدون تصميمه^(١) يعود فيقترح هذه المرة انشاء السد الترابي في جنوب سامراء قرب القادسية ، ولكنه لم يوضح كيفية تحويل المجرى كما انه لم يشر الى الجهة التي يحول اليها النهر . وبعد كل هذا يعود فيقترح انشاء سد غاطس واطيء على مجرى دجلة بالقرب من القادسية فيرفع به منسوب الماء الصيفي الى ٥٢٥ مترأ فوق سطح البحر ، أما في الشتاء فيقلب الماء من فوق السد^(٢) . وأخيراً ينتهي الى الاقتراح الذي يقضي بانشاء قناطر في المسكن الاخير نفسه فيرفع بها منسوب الماء الى ٥٤٥٠ مترأ ليعيد بذلك احياء نهري دجيل والاسحاقي على الضفة الغربية من دجلة^(٣) . وفي كلتا الحالتين الاخيرتين يقتصر المشروع على رفع منسوب الماء في النهر دون تحويل المجرى الى جهة جديدة^(٤) .

١٢ - سور الميريين وسر نمرود

وما يدل على ان الاقدمين كانوا يعلقون على مشروع سد نمرود أهمية كبرى أنهم أقاموا في جواره تحصينات عسكرية ضخمة لصد هجمات الاعداء والحيلولة

(١) راجع خارطة رقم (٧٠) من مجموعة الخرائط المرفقة مع تقرير السير ويليم وبلـكوكس عن ري العراق

(٢) راجع خارطة (٤١) من خرائط وبلـكوكس المرفقة مع تقريره عن ري العراق

(٣) راجع خارطة (٧١) من خرائط وبلـكوكس المرفقة مع تقريره عن ري العراق

(٤) راجع تقرير وبلـكوكس عن ري العراق (الترجمة العربية) من ٥٩ - ٦٠

دون وقوع هذا الموضع الاستراتيجي الحيوي بأيدي العدو . وما زالت هذه التحصينات ماثلة للعيان ، فهي تتألف من جدار ضخّم من اللبن مدعم بدعامات كبيرة . وما يلفت النظر أن اللبن المستعمل في البناء يبلغ من الحجم بحيث يضاهي أكبر أنواع الآجر البابلي القديم ، وليس في هذه المنطقة ما يساوي حجمه غير اللبن المستعمل في بناء حصن القادسية الواقع في الجهة الشمالية الشرقية من موضع سد نمرود وأبنية الحصون الفارسية القديمة . أما الجدار فيبدأ من الضفة اليمنى من نهر دجلة في نقطة تقع في جوار موضع سد نمرود من جهة الغرب ، فيمتد غرباً مخترقاً الأراضي السهلة الواقعة على الجانب الغربي من دجلة ، وبعد أن يسير مسافة حوالي عشرة كيلومترات في هذا الاتجاه ينتهي الى حدود الأراضي الصحراوية المرتفعة . ويعرف هذا الجدار اليوم باسم « عرقوب المطبق » ويمكن المرء أن يتتبع آثاره بين « إمام الخضر » وحدود الصحراء المرتفعة بكل سهولة نظراً لضخامته وارتفاعه . وتشاهد في نهاية الجدار آثار بناء مربع يبلغ طول ضلعه زهاء ثلاثين متراً ، وفي كل من الأركان الأربعة لهذا البناء برج ضخّم ينظر منه الى مسافات بعيدة من جميع أطراف الصحراء المجاورة ، كما تشاهد آثار خندق عميق يسير الى محاذة الجدار شمالاً ، وقد انشيء هذا الخندق وفق الطريقة التي كان يتبعها الأقدمون في انشاء تحصيناتهم العسكرية . وكان الخندق المذكور يستمد مياهه من نهر دجلة من أمام سد نمرود (راجع رسم رقم ٢ أ) .

وما لا شك فيه ان للجدار المذكور صلة مباشرة بالسد الذي كان قد أقيم على مجرى دجلة في هذا الموضع ، أي موضع سد نمرود ، على ان الكثير من الكتاب والمحققين الآثاريين قد توهموا فظنوا ان هذا الجدار كان يمتد في الصحراء الواقعة بين نهر دجلة والفرات ، فيبدأ من الضفة اليمنى وينتهي الى الضفة الغربية اليسرى وانه السور التاريخي المشهور المعروف باسم « سور الميدين » ، وهو السور الذي أشار اليه زينفون في كتابه عن حملة العشرة آلاف المشهورة ، ونعني بذلك الحملة التي نظمها كورش الصغير في اليونان في سنة ٤٠١ قبل الميلاد

ووجهها ضد أخيه ارتاكرس كس للاستيلاء على عرش المملكة الفارسية في بابل. و«سورالميديين» هو الاسم الذي أطلقه المؤرخون والباحثون على التحصينات التي كان قد أقامها البابليون لاستخدامها في الدفاع عن مملكتهم وصد عادية الميديين عنهم وقد وصف المستر جيزني رئيس البعثة البريطانية التي قامت بمسح نهري دجلة والفرات بين سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٧ الجدار في قسمه الواقع قرب نهر دجلة فقال ان ارتفاعه يتراوح من ٣٥ الى ٤٠ قدماً وان هناك أبراجاً كثيرة على جهته الشمالية تقع على بعد مسافات متقاربة ، ثم ذكر ان هناك آثاراً لخندق عرضه ٢٧ متراً تقريباً بنيت اطرافه بالحصى والنورة يقع في الجهة الشمالية من الجدار ويسمى باسم «الجالى» . وقد ذهب المستر جيزني الى ان هذا الجدار يمتد الى نهر الفرات مستنداً بذلك الى كتابات المستر فيتز جيمس (Fitz James) والدكتور روص (Dr. Ross) والملازم لنج (Lt. Lynch) الذين سبقوه في ابداء هذا الرأي المبني على الحدس دون ان يتبعوا آثار الجدار وسط الجزيرة . ويتضح مما تقدم ان ما ذهب اليه هذا الفريق من أن السور يمتد الى نهر الفرات لم يكن إلا استنتاجاً وهمياً مستنداً الى آثار الجدار القديم بالقرب من دجلة من جهة وكتابات الاغريق التي نوهت بوقوع سد الميديين بالقرب من نهر الفرات من الجهة الاخرى .

وقد خالف بعض الخبراء الرأي المذكور فرأى هؤلاء ان الجدار الذي تقدم وصفه جدار مستقل يتصل بمشروع سد نمرود ولا علاقة له بسورالميديين الذي ينبغي التحري عنه في مكان آخر . وقد اطلق هذا الفريق على الجدار اسم «سور سيميراميس» لتمييزه عن سورالميديين الذي كان يقع في الجنوب^(١) ، وكان السير

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا «وادي الفرات» فقد أوردنا فيه الرأي الفائل بوقوع سورالميديين في الجنوب (ص ١٧ - ٢٧) وقد أبدت نتائج التنقيبات الاثرية الأخيرة ذلك اذ تبنت موضع مدينة اوبيس القديمة التي كان سورالميديين ينتهي عندها جنوبي مدينة بغداد (راجع مجلة «سور» عدد كانون الثاني ١٩٤٧ ، القسم الانكليزي ، ص ٤ - ٦)

ويليم ويلسكوكس من مؤيدي الرأي الاخير فسكتب قائلاً : « ويشاهد اليوم على الجانب الأيسر من نهر دجلة في هذا المكان (أي مكان سد نمرود) حصن مهيب (ويقصد بذلك حصن القادسية) (١) وعلى الجانب الآخر سور سيميراميس الذي يسمى في بعض الخرائط خطأ سور الميدين وكانت تصون هذه المباني جناحي سد نمرود . وكان يرى ويلسكوكس ان سور الميدين كان يمتد بين الفرات ودجلة فيبدأ من قرب صدر نهر الصقلاوية الحالي فيسير نحو عقرقوف ثم ينتهي الى دجلة جنوبي بغداد ، وكان هذا السور يحمي البابليين من غارات الآشوريين كما كان يحميهم من عدوان الميدين في العهد الذي سبق العصر الفارسي (٢) .

١٣ - مجرى دجلة القديم

قلنا فيما تقدم ان مجرى نهر دجلة تم تحويله الى الجهة الغربية بعد ان اقيم سد نمرود على المجرى القديم للنهر ، وقد يكون من المفيد ان نصف المجرى الغربي المذكور ونبحث في المدن التي ازدهرت على ضفافه في العهد العباسي . وقد تتبعنا آثار هذا المجرى من أوله قرب سامراء الى نهايته بجوار الطارمية وثبتنا مواضع المدن المهمة التي كانت عليه ، وان معظم هذه المدن مازالت محافظة على اسمائها الاصلية رغم التحريف البسيط الذي طرأ على القليل منها . ويجد القارىء في اللوحة رقم ٦ خارطة حقيقية تبين اتجاه هذا المجرى كما كان عليه في العهد العباسي يوم اتخذ العباسيون موضع سامراء عاصمة لامبراطوريتهم ومواقع المدن المهمة التي كانت على ضفاف ذلك المجرى في ذلك الزمن .

«١» حول حصن القادسية المذكور راجع البحث الخاص بسور القادسية في الفصل الرابع التالي .

«٢» راجع كتاب « بين عدن والاردن » للسيد ويليم ويلسكوكس ، الترجمة العربية ،

ويتضح من الخارطة المذكورة ان معالم مجرى دجلة الغربي القديم لا تزال واضحة وتسمى في معظم اقسام الجرى « الشطيطة » ، وهو الاسم الذي يطلق عادة على معالم الجرى المهجور الذي يتركه النهر بعد تحوله عنه ، ونظراً لانخفاض الوادي الذي كان يسير فيه النهر بالنسبة الى مستوى الاراضي المجاورة التي كانت تسكون ضفافه ، نجد ان مياه التريز تتسرب اليوم الى بعض اقسام « الشطيطة » المذكورة في موسم الفيضان حين يرتفع منسوب مياه نهر دجلة الحالي الذي يجري بالقرب منها من جهة الشرق ، كما ان بعض الثغرات التي تحصل في الاسداد الغربية من دجلة الحالي تسيل الى المواضع المنخفضة من « الشطيطة » . ويقع اوطاً هذه المواضع جنوباً بالقرب من « الطارمية » (١) ، فلا تزال تتجمع فيه المياه في موسم الامطار فتتسرب أولاً الى المنخفض المعروف باسم « كرتة الزهيري » ثم الى المنخفض الثاني الذي يليه والمسمى « كرتة الطارمية » . وكان منخفض الطارمية قبل وقت غير بعيد يكون بحيرة واسعة تتسرب اليها المياه من الضفة الغربية لمجرى دجلة الحالي من موضع الوادي المعروف اليوم باسم « وادي الرفيع » ، وهو الوادي الذي لا تزال آثاره ظاهرة حتى الآن . وكذلك كانت تنصب في هذا المنخفض بعض مياه نهر دجيل الزائدة في العهد الاخير من ذلك النهر . وكانت المياه تتجمع في بحيرة الطارمية الى عمق حوالي خمسة امتار في « كرتة الطارمية » (بين منسوب ٣٦ متراً ومنسوب ٣١ متراً فوق سطح البحر) وعمق حوالي ثلاثة امتار في « كرتة الزهيري » (بين منسوب ٣٦ متراً و ٣٣ متراً فوق سطح البحر) . وكانت مساحة الأراضي التي تغمر بمياه الفيضان في البحيرة حوالي سبعين كيلومتراً مربعاً بمنسوب ٣٧ متراً فوق سطح البحر . والى قبل

(١) ان اصطلاح « طارمية » مشتق من الكلمتين « طفار » و « مائة » ومعناها ان الارض في هذه المنطقة كانت تنتج حاصلات يساوي مئة طفار مقابل كل طفار واحد من البذر الذي يثر في تلك الارض .

وقت غير بعيد عمر منخفض الطارمية ثلاث مرات ، وكان ذلك في فيضانات سني ١٩١٩ و ١٩٢٣ و ١٩٢٦ ، وكانت المساحة المغمورة في هذه الفيضانات ٧٨ كيلومتراً مربعاً . ولما زار فيلسكس جونس هذه المنطقة في ربيع سنة ١٨٥٠ (بين ٢٠ و ٢٥ مارت من تلك السنة) كانت « كرة الطارمية » مملوءة بالماء فأرتوى هو وقافلته منها ، اما « كرة الزهيري » فكانت يابسة آنذاك .

وإذا ما تتبعنا آثار مجرى دجلة القديم ما بين سامراء وبغداد نجد انه كان ينحرف الى الغرب من امام سد نمرود القديم في نقطة تقع شرقي « تل مسعود »^(١) بقليل فيسير في الاتجاه الجنوبي الشرقي موازياً نهر دجيل الحالي ، الذي يمتد الى غربيه نحو الجنوب الشرقي ايضاً ، تاركاً « تل جبارات »^(٢) على ضفته الشرقية ، وبعد ان يقطع مسافة حوالي تسعة كيلومترات في هذا الاتجاه يصل الى مدينة « العلت » الواقعة على ضفته الشرقية ، ثم يميل الى الشرق فيشكل نصف دائرة تاركاً عندها قريتي « الحظيرة » و « بلد » على ضفته اليسرى ومدينة « حربي » مقابل الحظيرة على ضفته اليمنى ، ويسمى المجرى هنا باسم « نصبة الشطيطة » في الوقت الحاضر^(٣) . وبعد ان ينهي المجرى دورته في جنوبي بلد يسير على محاذة سكة حديد (بغداد - سامراء) شرقاً ، تاركاً قبر « امام الشيخ سعدي » ومحطة بلد الى جانبه الغربي و « تل عابر » الى جانبه الشرقي حتى يصل الى « تل الصخر » و « عرقوب الحسينية » ، فيترك الأول الى جانبه الأيسر والثاني الى جانبه الأيمن . وعلى مسافة قليلة من شرقي تل الصخر يلتقي المجرى بمجرى العظيم القديم ، وهو المجرى الذي لا تزال آثاره ماثلة للعيان ، فيسير بين مجرى دجلة الشرقي الحالي

(١) حول « تل مسعود » المذكور راجع ما تقدم في صفحة ٩٤ حاشية ٣

(٢) ان « تل جبارات » المذكور تل واسم يرجع انه موضع احدى المدن التي ازدهرت في العهد العباسي على طريق البريد العام ما بين بغداد وسامراء

(٣) حول مدينة الحظيرة وبلد وحريري راجع البحث التالي الخاص بطسوجي « بزر جسا بور » و « مسكن » في هذا الفصل

ومجرى دجلة الغربي القديم، فيبدأ من شرقي «إمام السيد محمد» وينتهي عند ملتقاه بمجرى دجلة القديم قرب «عرقوب الحسينية» ماراً في طريقه بالتل المسمى «تل الذهب» الذي يتركة الى جانبه الايسر. وقد دلت تدقيقاتنا في هذه المنطقة على ان الفيضانات العالية في مجرى دجلة الحالي كانت ولا تزال تؤدي الى تسرب مياه دجلة الى مجرى العظيم القديم ومنه الى مجرى دجلة الغربي القديم (الشطيطية)، فتدخل فيه من شرقي «إمام السيد محمد» وتتجه الى جهة مجرى دجلة القديم فتسبب فيه حتى تصل الى قرب بساتين سميكه الحالية (راجع اللوحتين ٣ و ٦). ويسمى المجرىان القديمان (دجلة والعظيم) في هذا المسكن «شط السجلة» في الوقت الحاضر.

وبعد التقاء دجلة والعظيم قرب «عرقوب الحسينية» يسير مجرى دجلة القديم في عدة تعرجات وتشعبات فيترك «تلول الخير» الى جانبه الايسر، وهي التلول التي يرجح ان قرية «باحمشا» كانت فيها، ويترك محطة سميكه الحالية وقرية «مسكن» القديمة الى جانبه الايمن، ثم يسير في الوادي المعروف بـ «العوار الصغير» ومن ثم في الوادي الذي يليه جنوباً والمعروف بـ «العوار الكبير»، وبعد ذلك يصل الى مدينتي «عكبرا» و «اوانا»، فيترك الاولى على جانبه الشرقي والثانية على جانبه الغربي^(١)، وبعد ان يجتاز المجرى مدينة «عكبرا» يسير الى الجنوب تاركاً منخفضي الزهيري والطارمية الى جانبه الغربي وقرية «بصري» الواقعة في «تل البصيرة» الحالي الى جانبه الشرقي، وبعد ان يسير في هذا الاتجاه حوالي عشرين كيلومتراً يصل الى مجرى دجلة الحالي بالقرب من الطارمية على مسافة قليلة من شرقي «خان المشاهدة»، وهنا يقطعه مجرى دجلة الحالي عند الراشدية. ويسير المجرى بعد ذلك شرقي مجرى دجلة الحالي

(١) حول «باحمشا» و «مسكن» و «عكبرا» و «اوانا» راجع البحث التالي الخاص بطسوجي «بزرجسابور» و «مسكن» في هذا الفصل

تاركاً موضع الداودية الى جانبه الغربي وقربة «البردان» الواقعة في «تل بدران» الحالي الى جانبه الشرقي، ويتصل اخيراً بمجرى دجلة الحالي بالقرب من «التاجي» الحالية التي تبعد حوالي عشرين كيلومتراً من شمال مدينة بغداد (راجع اللوحة رقم ٦) (١).

وكان نهر دجيل يسير موازياً بمجرى دجلة من جهة الغرب فتمتد ما بين بلد وبغداد، وكانت تتشعب من ضفتيه فروع كثيرة فتمتد الفروع الغربية الى جهة سهل الجزيرة الواقعة ما بين دجلة والفرات لارواء الاراضي الزراعية هناك، اما الفروع الشرقية فتمتد الى جهة مجرى دجلة فتروي الاراضي الزراعية الواقعة ما بين نهر دجيل ومجرى دجلة (٢).

وقد ثبت عندنا ان نهر دجلة تحول الى المجرى الشرقي الحالي في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (آخر القرن السادس الهجري) (٣) تاركاً المجرى الغربي من دون ماء، الأمر الذي ادى الى انقطاع المياه عن المدن والقرى والمزارع الواقعة على ضفافه، وعلى أثر ذلك فتح المستنصر فروعاً خاصة من الضفة اليسرى لنهر دجيل ومدّها على عمادة ضفة مجرى دجلة القديم او في وسطه في بعض المواضع لايبصال المياه الى تلك المدن، وأهم هذه الفروع الفرع الذي كان ينتهي الى قريتي الحظيرة وبلد والذي سمي «نهر المستنصر»، وهو لا يزال محافظاً على اسمه القديم (٤).

(١) حول «بصرى» و «البردان» راجع البحث التالي الخاص بطسوجي

«بزرجسابور» و «مسكن» في هذا الفصل .

(٢) حول نهر دجيل راجع البحث التالي الخاص بـ «طسوج مسكن» في هذا الفصل

والبحث في الفصلين الثالث والحادي عشر .

(٣) راجع ما تقدم في صفحة ١٧٠ والبحث الذي يلي الخاص بمشروع الفورج في الفصل

الثالث والبحث الخامس بتحول مجرى دجلة في الفصل الحادي عشر .

(٤) راجع البحث التالي الخاص بنهر دجيل القديم في الفصل الثالث والبحث الخامس

بتدجيل المستنصر في الفصل الحادي عشر .

١٤ - طسوجا « بزرجسابور » و « مسكن »

وكان قد ازدهر على ضفاف مجرى دجلة القديم طسوجان ، الشرقي (طسوج بزرجسابور) الذي يشمل الاراضي والقرى الواقعة على الجانب الايسر من النهر، والغربي (طسوج مسكن) الذي يشمل الاراضي والقرى الواقعة على الجانب الأيمن من النهر . وقد ازدهرت مدن وقرى مهمة كثيرة على ضفاف النهر داخل هذين الطسوجين أهمها « العلت » و « بلد » و « الحظيرة » و « باحشا » و « عكبرا » و « بصري » من ضمن « طسوج بزرجسابور » في الجانب الشرقي، و « حربي » و « اوانا » و « مسكن » و « دجيل » و « المنارية » من ضمن « طسوج مسكن » في الجانب الغربي .

وكان يشمل « طسوج بزرجسابور » المنطقة الواقعة شرقي النهر برمتها ومن ضمنها عتيق فرع دجلة الشرقي الذي أصبح أرضاً زراعية بعد انشاء سد نمرود وتحويل مجرى النهر الى الفرع الغربي ، فيمتد أكثر من سبعين كيلومتراً في الطول ومعدل عشرة كيلومترات في العرض ، أي ما يبلغ مساحته حوالي ربع مليون دونم (مشاركة) ، وكان معظم أراضي هذا الطسوج يروى من القاطول الأعلى الكسروي ، أما جبايته فكانت في أيام المعتصم ألفين وخمسمائة كر من الحنطة وألفين ومائتي كر من الشعير^(١) وثلاثمائة ألف درهم من الورق^(٢) . وما كتبه المسعودي (المتوفي سنة ٣٤٥ هـ) في وصف حد السواد الأعلى قال : « وقد حد كثير من الناس السواد وهو العراق فقالوا حده مما يلي المغرب وأعلى دجلة

(١) السكر مكيال قديم كان يستعمل في العراق قديماً وهو أربعمون اربداً أو ٩٦٠ صاعاً ،
والا كان الصاع مساوياً حوالي ستة كيلوات فيكون وزن السكر ٥٧٦٠ كيلوغراماً ،
أي حوالي خمسة أطنان ونصف ، وبهذا يكون وزن الألف كر حوالي ٥٥٠٠ طن .

(٢) حول طسوج بزرجسابور راجع الفصل التاسع (مادة ٢) .

من ناحية آثور وهي الموصل القريتان المعروفة إحداهما بالعت من الجانب الشرقي من دجلة وهي من طسوج بزرجسابور والاخرى المعروفة بحربي وهي بازائها في الجانب الغربي من طسوج مسكن ومن جهة المشرق الجزيرة المتصلة بالبحر الفارسي الخ ...»^(١) وقريب من هذا ما قاله ابن رسته في هذا الموضوع^(٢).

أما المدن والقرى المهمة التي كانت على مجرى دجلة ضمن «طسوج بزرجسابور» فأولها من الشمال مدينة «العت» ، وهي المدينة التي ما زالت خرائبها الواسعة تشهد على مسافة حوالي سبعة كيلومترات من شمالي غربي مدينة بلد الحالية ، وقد حافظت على اسمها القديم حتى اليوم فهي لا تزال تسمى أطلالها بالعت، كما أنه لا يزال يسمى سكنة هذه المنطقة «عثاوبين» . وتمتد خرائب العت هذه على طول الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم «الشطيطة» ، وهو المجرى الذي يسير فيه نهر بلد الحالي الذي يتفرع من ضفة نهر دجيل اليسرى وينتهي الى بساتين بلد الحديثة (٣) .

ويوجد شرقي خرائب العت المذكورة، على بعد حوالي ثلثمائة متر منها تقريباً، تل مدور الشكل يسمى «تل صنكر» يرجح أنه جزء من خرائب العت ، كما أن هناك نهراً مهجوراً يسمى «نهر العت» يتفرع من نهر دجيل فيسير موازياً نهر بلاد شمالاً فيمر من قرب «تل جبارات» ثم ينتهي الى منطقة سراحي الواقعة قرب «قبة الشيخ جادر» القائمة فوق «تل ام صالح» ، ولا شك في أن هذا الفرع أنشئ لأرواء منطقة العت بعد أن تحول مجرى دجلة عنها (راجع اللوحة رقم ٢) (٤) . وما يدل على استمرار ازدهار مدينة العت بعد تحول

(١) راجع كتاب «التنبيه والاشراف» ص ٣٨ .

(٢) راجع كتاب «الأعلاق النفيسة» ص ١٠٤ .

(٣) حول نهر دجيل راجع البحث التالي الخاص بطسوج مسكن في هذا الفصل والبحث في الفصلين الثالث والحادي عشر .

(٤) حول تحول مجرى دجلة ، راجع ما تقدم في صفحة ١٧٠ والبحث التالي الخاص بمشروع القورج في الفصل الثالث والبحث الخاص بتحول مجرى دجلة في الفصل الحادي عشر .

مجرى دجلة عنها أن المستنصر كان يقصدها بين حين وآخر للاتصال بملائها ، فقد ذكر سبط ابن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان) أن المستنصر « كان يمضي الى العلت قرية من دجيل بينها وبين بغداد مسيرة يومين حتى يزور اسحاق العلي الحنبلي » .

وذكر ياقوت في معجمه أن العلت « قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء ... موقوفة على العلويين وهي أول العراق في شرقي دجلة وفيها يقول أحمد بن جعفر جحظة :

وحانة بالعلت وسط السوق نزلتها وصارمي رفيقي «

وقريب من هذا ما كتبه ابن عبدالحق في المراصد قال : « والعلت قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء وموقوفة على العلويين كانت في شرقي دجلة وهي الآن (سنة ٧٣٩) من عمل دجيل على الشطيطة . »

وكان الى جانب مدينة العلت دير يعرف باسم « دير العلت » وهو الذي امتدحه الشابشتي فقال عنه فيما قاله : « وهذا الدير رآك دجلة وهو من أحسن الديارات موقعا وأنزهها موقعا ، يقصد من كل بلد ، ويطرقة كل أحد ولا يكاد يخلو من منحدر ومتعمد ، ومن دخله لم يتجاوزه الى غيره لطيبه ونزهته ووجود جميع ما يحتاج اليه بالعلت وبه . » ويقال أن « دير العذارى » المشهور كان في دير العلت المتقدم الذكر ، فجاء في « نمالك الابصار للمعري (المتوفي سنة ٥٧٤٩) أن دير العذارى « بين سر من رأى وبغداد بجانب العلت على دجلة ، في موضع حسن . فيه رواهب عذارى . وكانت حوله حانات للخارين وبساتين ومنزهات . لا يعدم من دخله أن يرى من رواهبه جوارى حسان الوجوه والقنود والألحاظ والالفاظ . قال الخالدي : ولقد اجتزت به فرأيته حسنا ، ورأيت في الحانات التي حوله خلقا يشربون على الملاهي . وكان ذلك اليوم عيدآله . ورأيت في جنينات لرواهبه جماعة يلقطن زهر العصفر ، ولا يمانل حمرة خدودهن . ثم أن دجلة أهلكتها بمدودها ، حتى لم يبق منه أثر . ولجحظة فيه أخبار وأشعار

لأنه كان معانه ومأواه ، واليه ينجذب به هواه . وفيه يقول ابن المعتز :
 أيا جيرة انوادي على المشرع العذب
 سقاك حياً حي النوى ميّت الجذب
 وحسبك يا دير العذارى قليل ما
 يحنّ بما تحويه من طيبة قلبي
 كذبت الهوى إن لم أقف أشتكى الهوى
 إليك وإن طال الوقوف على صحنى « (١) »

هذا فيما يتعلق بمدينة العلت ، أما القصبة التي كانت تليها في الجنوب ضمن «طسوج بزرجسابور» فهي قرية «الخطيرة»، وهذه تقع على الضفة الشرقية من مجرى دجلة القديم أيضاً ، وإن مكانها الأصلي لا يزال يعرف باسم «الخطيرة» فيقع جنوبي بساتين بلد الحالية عند التل المعروف باسم «تل أبي كزيز» (راجع اللوحة رقم ٢) . وهناك أنهر قديمة مهجورة تتفرع من نهر بـسـلد جنوب شرقي بساتين بلد الحالية كانت تروي المنطقة التي تقع فيها «الخطيرة» وهذه الأنهر لا تزال محافظة علي أسمائها الاصلية وهي تسمى «أنهر الخطيرة» . وقد جاء في معجم ياقوت ان «الخطيرة» قرية كبيرة من اعمال بغداد من جهة تكريت من ناحية دجيل ينسج فيها الثياب الكرباس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد ، كما جاء في المراصد انها « قرية كبيرة من اعمال بغداد من دجيل قرب حربي ينسب اليها الثياب القطن الخام التي تحمل الى البلاد » .

ويلاحظ ان لي سترانج عين موضع «الخطيرة» على الجانب الايمن لمجرى دجلة القديم كما انه عين موضع بلد في ذلك الجانب أيضاً على حين انها يقعان على الجانب الايسر من المجرى المذكور ، ولعله توصل الى ذلك مستنداً الى قول

(١) راجع كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري ، الجزء الأول ، طبعة دار للكتبة المصرية ، ص ٢٥٨ - ٢٦١ .

ابن عبد الحق من ان الحظيرة بالقرب من حربى الواقعة على الجانب الايمن لمجرى
 دجلة القديم وان بلد بالقرب من الحظيرة وحربى . ويغلب على الظن ان بلد
 كانت في ذلك الوقت ضاحية من ضواحي الحظيرة حيث لا تزال بساكنها محاذي
 ضفة مجرى الشطيطة اليسرى في شمال اطلال الحظيرة مباشرة ، وقد ذكرها
 ياقوت في معجمه فقال « وبلد أيضاً بليدة من نواحي دجيل قرب الحظيرة وحربى
 من اعمال بغداد » . وقريب من هذا ما ذكره ابن عبد الحق في المرصد قائلاً
 ان بلد « قرية معروفة من قرى دجيل قرب الحظيرة وحربى » . وهناك مكان
 آخر في شمالي الموصل يعرف بأسم بلد أيضاً ذكره ياقوت في المشترك قال : « بلد
 مدينة قديمة فوق الموصل على دجلة بينهما سبعة فراسخ ويقال لها بلط أيضاً
 ينسب اليها أبو منصور محمد وأبو عبد الله أحمد ابنا الحسن بن سهل البلدي
 يعرفان بأبني الصباح » ، إلا أنه ذكر في معجمه عن بلد الموصل ما نصه : « وقال
 عبد الكريم بن طاووس بها قبر أبي جعفر محمد بن علي الهادي باتفاق » . ولما
 كان القبر المذكور في بلد دجيل فيعتقد ان ذلك كان حاشية ملحقة بالاصل ثم
 دخل الى المتن لأن عبد الكريم بن طاووس من الذين لم يدركوا ياقوتاً الحموي .

وكان يلي الحظيرة من الجنوب مدينتا « باحمشا » و « عكبرا » ، فتقع الاولى
 على بعد أربعة فراسخ (١٨ كيلومتراً) من الحظيرة والثانية على مسافة ثلاثة
 فراسخ (١٥ كيلومتر) من باحمشا . أما باحمشا فقد ذكر ابن خرداذبة انها تقع
 على بعد اثني عشر فرسخاً (حوالي ٧٠ كيلومتراً) من شمالي بغداد ، وذلك يتفق
 وموضع « تلول الخير » الواقعة على الضفة اليمنى من مجرى دجلة القديم
 « الشطيطة » ، ويوجد في الوقت الحاضر نهر قديم باسم « نهر ابي حمشة » ينتهي
 عند « تلول الخير » المذكورة . ومن الادلة التي تؤيد ان مدينة « باحمشا » كانت
 في موضع « تلول الخير » ان هذه التلول تقع على بعد أربعة عشر كيلومتراً من
 شمالي اطلال « عكبرا » وهذا يتفق تماماً مع المسافة التي أشار اليها ابن خرداذبة

الذي قال ان المسافة بين عكبرا وباهمشا تبلغ ثلاثة فراسخ أي حوالي أربعة عشر كيلومتراً . وقد اطلق ياقوت وابن عبد الحق على هذه المدينة اسم « باهمشا » فذكرا انها قرية بين « أوانا » و « الحظيرة » وعلى دجلة القديمة .

وكانت عكبرا من أهم مدن «طسوج برزجسابور» فما زالت أطلالها تعرف باسمها الأصلي « عكبرا » وهي تمتد على محاذة الضفة الشرقية من مجرى دجلة القديم « الشطيطة » مسافة حوالي خمسة كيلومترات (راجع اللوحة رقم ٣) . وقد ذكر ياقوت ان عكبرا بلدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، إلا أن ابن عبد الحق صحح ذلك فقال ان « عكبرا كانت من الجانب الشرقي على شاطيء دجلة فلما استحالت الدجلة الى جهة الشرق صارت دجلة تحتها تسمى الشطيطة واوانا تقابلها من غربي الشطيطة وخربت وانتقل أهلها إلى أوانا وغيرها وصار ما في شرقها الى دجلة من عمل دجيل ويسمى الآن (سنة ٧٣٩ هـ) المستنصري لان الامام المستنصر استخرج له نهراً يسقيه من دجيل . وكانت عكبرا مجعاً للخلفاء ومأوى لأهل الأناضول والقصف فكان يقصدها الناس من بغداد وقد أصبحت بعد انتقال العاصمة الى سامراء من المدن الرئيسية على طريق البريد العام بين بغداد وسامراء . وجاء ذكر عكبرا فيما انشده البحترى من قصيدة :

ولما نزلنا عكبرا ولم يكن نبيذ ولا كانت حلالاً لنا الخمر
دعونا لها بشرا وربّ عظيمه دعونا لها بشرا فأصرخنا بشر

وقد أشار ابن عبد الحق في المرصد الى نهر متصل بعكبرا اسمه « نهر زاور » كما أشار الى قرية باسم « قرية زاور » أيضاً كانت تقع عند ذلك النهر .

وكانت عكبرا تدعى في عهد الفرس « بوزورك شابور » واسمها بالسريانية عكبرا ومعناها الفأر ، فقال حمزة الاصبهاني « بزرجسابور معرب عن وزرك شافور وهي المسماة بالسريانية عكبرا »^(١) .

(١) راجع معجم ياقوت الحموي مادة « بزرجسابور »

ومن القرى المهمة التي كانت على الضفة نهر دجلة الشرقية ما بين عكبرا وبغداد « بصرى » و « البردان » و « بزوغى » . اما قرية « بصرى » فقد حافظت على اسمها القديم وهي تقع في التل المسمى « تل البصرة » السكائن على بعد زهاء خمسة كيلومترات من جنوبي شرقي عكبرا على الضفة اليسرى من مجرى دجلة القديم « الشطيطة » . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان قرية « بصرى » من قرى بغداد قرب عكبرا واياها عنى ابن الحجاج بقوله :-

ولعمر الشباب ما كان عني أول الراجلين من احبابي
ان تولي الصبي عني فاني قد تعزيت بعده بالتصابي
أيظن الشباب اني مخل بعده بالسماع أو بالشراب
حاش لي حاتي اوانا وبصرى للدنان التي أرى والخوابي
ان تلك الظروف أمست خدوراً لنبات الكروم والاعناب

واليها ينسب ابو الحسن محمد بن محمد بن احمد بن خلف البصري الشاعر قرأ الكلام على المرتضى الموسوي .

وقريب من هذا قول ابن عبدالحق مؤيداً ان « بصرى من قرى بغداد قرب عكبرا ذكرها ابن الحجاج في شعره مع اوانا » .

وكانت « البردان » مدينة عامرة على الجانب الشرقي من مجرى دجلة وهي تقع عند مصب نهر الخالص القديم في دجلة في الجهة الجنوبية منه (١) ، فذكر ابن خرداذبة انها تقع على طريق البريد العام بين بغداد وسامراء على بعد أربعة فراسخ (حوالي ١٨ كيلومتراً) من شمالي بغداد ، إلا أن أبا الفداء ذكر انها تبعد خمسة فراسخ عن بغداد ، اما ياقوت فقال ان المسافة بينها وبين بغداد سبعة فراسخ ، ولعل قول ابن خرداذبة أصح من تقدير ابي الفداء وياقوت لانه

(١) حول نهر الخالص القديم راجع البحث الخاص بأنهر مدينة بغداد الشرقية في الفصل التاسع التالي .

يرجع الى ما قبل عصر ياقوت وأبي الفداء بعدة قرون ولا سيما وان قدامة
الذي كان معاصراً لابن خردادبة يؤيد تقدير ابن خردادبة ، فضلاً عن ذلك
ان ابن عبدالحق يصحح ياقوت قائلاً ان الموضع الذي أشار اليه ياقوت غير معروف.
أما موضع البردان فالتناهي الى الاعتقاد انه كان في مكان التل المسمى « ايشان
بدران » ، وهو التل الواقع على مسافة ثلاثة كيلومترات ونصف جنوبي شرقي ناحية
الداودية الحالية ، ولعل البردان حرّفت فأصبحت بدران بعد ان تناقلت لها
الألسن خلال الألف سنة الاخيرة . وأوضح دليل على ذلك ان « ايشان
بدران » هذا يقع على نفس المسافة التي ذكرها ابن خردادبة بالنسبة الى مدينة
بغداد ، اذ يبعد ١٨ كيلومتراً من شمالي مدينة بغداد . ويلاحظ أن الطريق القديم
بين بغداد و« البردان » كان يسير في نفس الاتجاه الذي يسير فيه الطريق العام الحالي
بين مدينة بغداد والجديدة ، ومع ان موضع « البردان » مازال شرقي مجرى دجلة ، كما
كان عليه الحال قديماً ، إلا ان هناك ما يدل على ان مدينة « البردان » كانت تقع
على ضفة النهر تماماً ، على حين ان « ايشان بدران » الحالي يقع على مسافة حوالي
سنة كيلومترات من ضفة النهر . ونستخلص من ذلك ان نهر دجلة كان يجري في
هذه المنطقة في غير مجراه الحالي (راجع اللوحة رقم ٦) .

وكانت هناك محلة في مدينة بغداد الشرقية تسمى « قنطرة البردان » لانها
كانت تقع على الطريق المؤدية الى « البردان » ، كما أن هناك موضعاً في هذه
المحلة كان يسمى « باب البردان » للسبب نفسه . وقد ذكر ياقوت في هذا الصدد
أن « قنطرة البردان » محلة ببغداد بناها رجل يقال له السري بن الحطيم صاحب
الحطمية قرية قرب بغداد وقد نسب الى هذه المحلة جماعة وافرة من المحدثين منهم
الحسك بن موسى القنطري والعباس بن الحسين القنطري وغيرها من المنسوين
الى هذه المحلة . وقال الحموي أن البردان من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها
قرب صريفين وهي من توابع دجيل والبردة بالفارسية الرقيق المجلوب في أول

اخرجه من بلاد الكفر ولعل هذه القرية كانت منزل الرقيق فسميت بذلك ، إلا أن ابن عبدالحق صحح قول ياقوت هذا فيما يختص بموقع البردان مؤيداً بأنها قرية فوق بغداد من نواحي الخالص ، مضيفاً الى ذلك ان قول ياقوت من انها من نواحي دجيل على سبعة فراسخ من بغداد قرب صريفين فان ذلك غير معروف ، اما الواقع فيؤيد الرأي الاخير .

أما قرية « بزوعي » فوضعها غير معلوم ، إلا أن ياقوت ذكر بأنها قرب « المزرفة » وإنها تقع على مسافة فرسخين من بغداد ، وقد ذكرها ابن سراييون أيضاً فمعيّن موضعها على نهر دجلة قرب « البردان » و « المزرفة » . ونستخلص من ذلك أنها كانت ما بين بغداد و « البردان » مقابل « المزرفة » الواقعة على الجهة الغربية للنهر (١).

وكان طريق البريد العام بين بغداد وسامراء يسير على الجانب الشرقي من مجرى دجلة القديم ضمن « طسوج بزرجسابور » ماراً بـ « البردان » الواقعة على مسافة أربعة فراسخ من بغداد شمالاً ، وبمكبرا السكائنة على بعد خمسة فراسخ من « البردان » ، و بـ « باحشا » الواقعة على مسافة ثلاثة فراسخ من « مكبرا » ، و بـ « الحظيرة » التي تبعد ثلاثة فراسخ عن « باحشا » ، و بـ « العلت » السكائنة على مسافة حوالي فرسخ ونصف فرسخ عن « الحظيرة » ، و بـ « القادسية » الواقعة على بعد زهاء فرسخين ونصف فرسخ من « العلت » ، وأخيراً ينتهي الى سر من رأى بعد مسافة ثلاثة فراسخ من القادسية . وبذلك يكون مجموع مسافة الطريق بين بغداد وسامراء حوالي ٢٢ فرسخاً . ويظهر مما كتبه اليعقوبي أن العمران كان متصلاً بين بغداد وسامراء على الطريق المذكور فقال ما نصه : « ولم تحرب بغداد ولا نقصت أسواقها لأنهم لم يجدوا

(١) حول « المزرفة » راجع البحث التالي الخاص بـ « طسوج مسكن » في هذا الفصل.

فيها عوضاً ولأنه أصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسر من رأى في البر والبحر أعني في دجلة وفي جاني دجلة .

بحثنا فيما تقدم عن «طسوج بزرجسابور» ومدنه المهمة التي كانت على الضفة الشرقية من مجرى دجلة القديم بين سامراء وبغداد ، وبنقل الآن الى البحث عن «طسوج مسكن» ومدنه ، وهو الطسوج الذي كان على الضفة المقابلة من النهر ، فيبدأ من جوار مدينة «حربي» شمالاً وينتهي الى قرب التاجي جنوباً . وما يدل على أهمية هذا الطسوج أن جبايته في أيام المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ = ٨٣٣ - ٨٤٢ م) بلغت ثلاثة آلاف كر حنطة و الف كر شعير و ٢٥٠٠٠٠٠ درهم . وكانت اراضي هذا الطسوج تسقى من الانهر المتفرعة من الجانب الغربي لنهر دجلة بجوار العلت وكان من جملة هذه الانهر نهر دجيل الذي يعد أهمها من حيث سعته وطول امتداده .

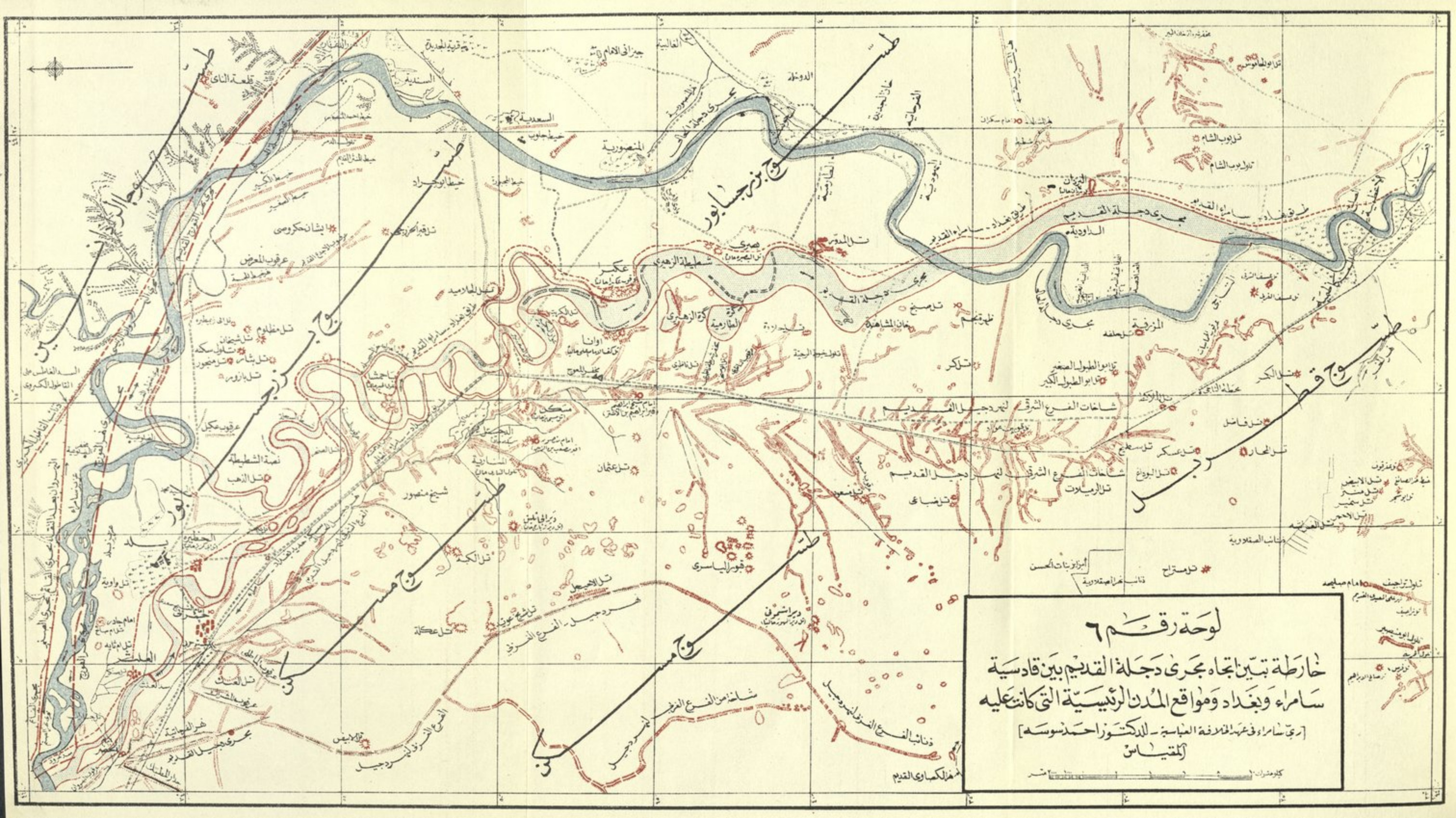
أما المدن والقرى المهمة التي كانت ضمن الطسوج المذكور فأولها من الشمال مدينة «حربي»^(١) ، وهي المدينة التي ما زالت خرائبها الواسعة تشاهد على مسافة حوالي خمسة كيلومترات من غربي مدينة بلد الحامية ، وقد حافظت على اسمها القديم حتى اليوم فهي لا تزال تسمى اطلالها «خرائب حربي» . وتمتد اطلال المدينة هذه على طول الضفة اليمنى لمجرى دجلة القديم (الشطيطة الآن) محاذية الضفة اليسرى لمجرى دجيل (راجع اللوحة رقم ٢)^(٢) . وقد ذكر ياقوت في معجمه (مادة حربي) أن «حربي بليدة في أقصى دجيل بين بغداد

(١) جاء ذكر حربي في كتاب «منصل جغرافية العراق» للعلامة العميد طه الهاشمي (ص ٥٢٣) بإضافة أداة التعريف (الحربي) عليها ، إلا أننا لم نعتز عليها بهذه الصيغة في الكتب العربية القديمة .

(٢) لاحظنا أن دائرة الآثار العراقية ذكرت في نشرتها عن جسر حربي أن اطلال مدينة حربي تقع على الضفة اليسرى من الشطيطة ، وقد ثبت عندنا خلاف ذلك .

وتكربت مقابل الحظيرة تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمّل الى سائر البلاد وقد نسب اليها قوم من أهل العلم والنباهة . ويظهر أن مدينة حربي كانت قديمة وكانت معروفة بنفس الاسم في صدر الاسلام ، لأن الطبري أشار الى أن شبيبا عندما خرج على الحجاج عبر نهر دجلة بالقرب من حربي .

وكانت تلي حربي من الجنوب قصبه « اوانا » التي كانت تعد من أهم مدن « طسوج مسكن » ، أما اطلالها فتقع في اراضي الزهيري الحالية (مقاطعة رقم ١ الدجيل ابو صخير) بالقرب من تل « كف الامام علي » جنوباً عند الموضع المسمى تل « شنيث » أو تل « الصخر » ، ولا يزال يسمى موضع خرائبها « تلول وانه » ، كما أنه لا يزال يسمى سكان هذه المنطقة « وانين » وان معظم هؤلاء الوانين قد استوطنوا السكاظمية في الوقت الحاضر . وكانت « اوانا » على الضفة الغربية من مجرى دجلة مقابل « عكبرا » الواقعة على الجانب الشرقي ، ولا يزال موضعها على الضفة الغربية من ذلك المجرى مقابل اطلال « عكبرا » . ويسمى المجرى في هذا الموضع اليوم « شطيطة الزهيري » نسبة الى اراضي الزهيري التي يقع فيها . ويظهر أن الاراضي المجاورة الى خرائب « اوانا » كانت تعرف باسم « اوانا » ، إذ كانت تقع فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، والدليل على ذلك أن ابن عبدالحق يقول ان قرية « صريفون » الواقعة شمالي « اوانا » كانت تتصل بضياح « اوانا » . لذلك نميل الى الاعتقاد ان منطقة « اوانا » كانت تمتد على حافة النهر الغربية من قرب « كرة الزهيري » حتى نهاية التلول التي تمتد على حافة الشطيطة في شمالي « تل كف الامام علي » ومن ضمن ذلك « تل كف الامام علي » نفسه ، اما من جهة الغرب فكانت تمتد الى حد نهر دجيل . وبما يؤيد ذلك ان هناك موضعاً بالقرب من دجيل لا يزال يسمى « وانه » ، ويقع هذا الموضع على بعد حوالي ٣٠٠ متر من شمالي منحرف الموعج بين الطريق العام وسكة حديد بغداد - سامراء ، وفي هذا الموضع آثار سور قديم وبقايا بناء من الآجر .



لوحة رقم ٦
 خارطة تبين اتجاه مجرى دجلة القديم بين قادية
 سامراء وبغداد ومواقع المدن الرئيسية التي كانت عليه
 [رعى سامراء في عهد خلافة العباسية - للدكتور أحمد سوسة]
 (مقياس)

كل متر ١ كيلومتر

ويلاحظ أن لي سترايخ ثبت موقع « اوانا » في الجهة الشرقية من الشطيطة على حين أن موقعها الحالي من الشطيطة لا يترك أي شك في كونها على الجانب الغربي ، وقد أيد المؤرخون العرب ذلك في كتاباتهم . قال ابن عبدالحق في مادة « اوانا » ما نصه : « اوانا بليدة من دجيل كثيرة البساتين والشجر بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من فوقها تحاذي عكبرا كانت بينهما الدجلة واستحالت عنهما . » ثم ذكر في مادة « الجويث » : « والبردان من الجانب الشرقي و اوانا من الغربي . » وأيد ذلك مرة أخرى في مادة « عكبرا » فقال : « كانت عكبرا من الجانب الشرقي على شاطئ دجلة فلما استحالت الدجلة الى جهة الشرق صارت دجلة تحتها تسمى الشطيطة و اوانا تقابلها من غربي الشطيطة . » كما أنه أيد ذلك أيضاً في مادة « صريفون » فقال انها « بقرب دجلة القديمة التي تسمى الشطيطة فوق اوانا تتصل بضياعها وعكبرا تقابل اوانا من جانب الشطيطة الآخر ونهر دجيل بعيد عنها . » وكان الطبري ، الذي دون تاريخه قبل ابن عبدالحق بأكثر من اربعة قرون ، قد أيد ذلك عرضاً ، فقال في أخبار قحطبة بن شبيب سنة ٥١٣٢ . « لما كان قحطبة يريد الكوفة دون أن يكون مسيره عن طريق جلولاء التي كان ابن هبيرة مخندقاً فيها قال لأصحابه هل نعامون طريقاً يخرجنا الى الكوفة لا تمر بان هبيرة فقال له أحدكم نعم أنا أدلك فعبير به تامرا من روستقباد ولزم الجادة حتى نزل بزر ج سابور وأتى عكبرا فعبير دجلة الى اوانا . »

وقد ذكر فيليكس جونس الذي زار هذه المنطقة في سنة ١٨٥٠ م . أن قبر « كف الامام علي » كان قد اتخذه قطاع الطرق مكنناً يخفون عنده ، وقد حفروا بئراً في وسط الشطيطة المحاذية له للارتواء منها . وفي زمن الوالي علي باشا أسس مخفر للشرطة في « وانه » لحماية القوافل من التعرض لها في هذا المسكان ، وفتح فرعاً من نهر دجيل لايصال المياه الى هذا المخفر من النهر المذكور ، إلا أن قلة المياه في النهر المذكور حالت دون امكان استمرار المخفر في هذا المسكان طويلاً .

ونرجح أن مكان هذا الخفر كان في موضع مخفر المروج المهجور (راجع اللوحة رقم ٦). وقد ذكرت مس بيل التي زارت هذه المنطقة في سنة ١٩١١ م. في كتابها «امورات الى امورات» أن هناك على «تل وانه» قبر الامام محمد علي وقد وصفت القبر وقبته المئمنة العقادة وقد صورت القبة المذكورة في كتابها المذكور، ولعل القبة التي وصفتها هي «قبة كف الامام علي» وقد تخربت الآن.

ومن أهم المواقع التاريخية في «طسوج مسكن» مدينة «دجيل» و«مسكن» اللتان كانتا تقعان على نهر دجيل، فبجوار هاتين المدينتين وقعت المعارك التاريخية المشهورة بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان حوالي سنة ٨٧٢، وفي هذه المعارك قتل مصعب وعيسى ابنه وابراهيم بن الاشر، وعلى الأرجح انهم دفنوا في هذه المنطقة نفسها. ومن بين المعارك التي دون المؤرخون العرب تفاصيلها «وقعة يوم دجيل» وهي الوقعة التي قتل فيها عيسى بن مصعب وابراهيم بن الاشر، ويظهر أن سبب تسمية هذه الوقعة «وقعة دجيل» يرجع الى احتمال وقوعها بالقرب من مدينة «دجيل».

ولا بد من أن نشير في هذا الصدد نقطة تاريخية مهمة تتصل بالارتباك الواقع في تعيين تاريخ انشاء نهر دجيل، وهو النهر الذي كان يبدأ من ضفة نهر دجلة اليمنى من شمالي العلي، فيسير الى الجنوب الشرقي في اتجاه مجرى نهر دجيل الحالي مخترقاً «طسوج مسكن» حتى ينتهي الى جوار مدينة بغداد. فقد اعتبر المؤرخون كافة أن نهر دجيل يرجع الى عهد المستنصر (القرن السابع الهجري) مستندين بذلك الى الكتابة المنقوشة على جبهتي الجسر الذي أنشأه المستنصر على نهر دجيل قرب مدينة «حربي» وهي الكتابة التي تشير الى أن الجسر المذكور انشأ في عهد المستنصر سنة ٨٦٣٠ (١٢٣١ م)، وقد أبدت دائرة الآثار العراقية هذه النظرية مستندة الى المرجع نفسه^(١). إلا ان

(١) راجع نشرة دائرة الآثار العراقية عن جسر حربي المطبوعة في مطبعة الحكومة سنة ١٩٣٥ (ص ٦).

قد ثبت عندنا من الدلائل التاريخية ومن آثار الأنهر القديمة نفسها ان مشروع نهر دجيل يرجع الى صدر الاسلام إن لم يكن الى ما قبل ذلك ، أما المستنصر فقد اقتصر عمله على تحويل صدر نهر دجيل الى الشمال وفتح فروع جديدة من جانبه الأيسر لأرواء المنطقة التي انقطعت عنها المياه بعد تحول مجرى دجلة الى جهة الشرق ، وهي المنطقة التي كانت تقع فيها مدن « بلد » و« الحظيرة » و« العلك » و« عكبرا » وغيرها ، وقد وسع المستنصر نهر دجيل بحيث اقتضى إنشاء جسر عبور عليه فأقام ذلك الجسر بالقرب من مدينة « حربي » وذلك نظراً لأهمية موقع هذه المدينة آنذاك .

ومما يؤيد أن نهر دجيل كان موجوداً قبل عهد المستنصر أنه علاوة على ثبوت وجوده في عهد عبد الملك بن مروان أن هناك دلائل مثبتة في كتابات المؤرخين العرب على أنه كان موجوداً في العهد العباسي أيضاً . فذكر الطبري أن المعتضد أمر بكريه « والاستقصاء عليه وقلع صخر في فوهته كان يمنع الماء فحبي لذلك من ارباب الضياع والاقطاعات اربعة آلاف دينار وكسر فيما ذكره وأتق عليه وولى ذلك كاتب زيرك وخدام من خدم المعتضد . » وكان ذلك في شهر رجب من سنة ٢٨٣هـ^(١) . وقد أيد الطبري أيضاً أن نهر دجيل كان يقع جنوبي سامراء ففسال في ذكر حوادث سنة ٢٥٢هـ . « ان سعيد بن صالح تسلم المستعين من ابن طولون في القاطول بعد ما صار به ابن طولون اليها ثم اختلف في امرها فقال بعضهم قتله سعيد بالقاطول... وقد قال بعضهم بل ادخله سعيد وابن طولون سامراء ثم صار به سعيد الى منزل له فمذبه حتى مات . وقيل بل ركب معه في زورق ومعه عدة حتى حاذى به ثم دجيل وشد في رجله حجراً وألقاه في الماء^(٢) . » وقد ورد ذكر نهر دجيل في اخبار سنة ١٣٢هـ . وهي السنة الاولى من حكم العباسيين ، ففسال الطبري ان قحطبة امر اصحابه

(١) الطبري (٣ : ٢١٥٣) .

(٢) الطبري (٣ : ١٦٧١) .

أن يعبروا دجلة فعبروا وساروا بين دجلة ودجيل ومن ثم ذهبوا الى الانبار (١).

أما مدينة « دجيل » فكانت على نهر دجيل والأرجح انها كانت في موضع قرية سمكة الحالية ، وهي القرية التي سميت مؤخرآ « الدجيل » ايضاً . وكان بالقرب من مدينة « دجيل » دير يسمى « دير الجائليق » ، وقد ورد ذكر هذا الدير في حوادث مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان ، فذكر ياقوت ان « دير الجائليق دير قديم البناء رحب الفناء من طسوج مسكن قرب بغداد في غربي دجلة في عرض حربي وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت ... وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير وكان الجيشان على شاطئ دجلة وإلى ذلك الموضع في العرض وعنده قتل مصعب بن الزبير ... » فقال عبدالله بن قيس الرقيات وهو يرثي مصعباً :

لقد أورث المصرين خزيآ وذلة فتيل بدير الجائليق مقيم
فما قاتلت في الله بكر بن وائل ولا صدقت عند اللقاء تميم

وأشد محمد ابن ابي امية في دير الجائليق قوله :
تذكرت دير الجائليق وفتيسة بهم ثم لي فيه السرور واسعفا
بهم طابت الدنيا وأدركي المنى وسألني صرف الزمان وانحفا
ألا رب يوم قد نعمت بظلمه ابادر من لذات عيشي ما صفا

أما موضع « دير الجائليق » فنميل الى الاعتقاد انه كان في موضع التل الاثري المسمى « تل الدير » ، وهو التل الواقع على بعد حوالي ستة كيلومترات من جنوب غربي قرية سمكة « الدجيل » الحالية (راجع اللوحة ٦) . وتتكون اطلال هذا الدير من بناء مربع من الآجر والجص تتوسطه ساحة تعلو سطح الارض المجاورة حوالي ثلاثة امتار ، ويعملو البناء الساحة على طول

(١) الطبري (٣ : ١٢) . راجع البحث التالي الخامس بنهر دجيل في الفصلين الثالث

الاضلاع الاربع من المتر الواحد الى المترين . أما مساحة البناء ومعها الساحة فتبلغ حوالي خمسة آلاف متر مربع^(١) . ومما أوردته البلاذري بصدد موضع « دير الجائلق » قوله : « وانشدني محمد بن الاعرابي الراوية في بيعة عبدالمملك رجل من بلقين :

بدير الجائلق على دجيل - عقدنا بيعة الملك الهمام
عقدنا بيعة لا إثم فيها - سيجوي نخرها اهل الشام^(٢) .

(١) يسمى الأهليون هذا الدير « دير زبارج » نسبة الى نهر زبارج الذي يتفرع من ضفة نهر دجيل اليمنى وينتهي الى قرب الدير المذكور ، وذلك لتمييزه عن دير آخر يقع على مسافة ١٩ كيلومتراً جنوباً ويسمى « تل الدير » أيضاً ، وقد أطلق الأهليون على الأخير اسم « دير الهور » لتمييزه عن الدير الشمالي . ومع أن أطلال هذا الدير تتكون من بناء مرصع تتوسطه ساحة منبسطة على منحدر بنىء دير « زبارج » إلا أنه أوسع وأعلى من « دير زبارج » إذ يبلغ طول ضلعه حوالي ١٥٠ متراً . ويرتفع البناء عن الأرض المجاورة زهاء ثمانية أمتار ، كما أن الساحة التي تتوسط البناء تعلو سطح الأرض المجاورة حوالي خمسة أمتار . وتوجد آثار بناء وسط الساحة يحتمل أنها أطلال مقبرة الدير . ونحيل الى الاعتقاد بأن « دير الهور » هذا مكان « دبر اشموني » الذي ذكره ياقوت فقال فيه ما نصه : « واشموني امرأة بني الدير على اسمها ودفنت فيه وهو بقطر بل وكان من منزهات بغداد وفيه بقول الترواني :

اشرب على قرع الثواقيس في دير اشموني بتفليس

وعيد اشموني ببغداد معروف وهو في اليوم الثالث من تشرين الأول .

واليك ما أوردته الشابستي بصدده في كتابه « الديارات » قال : « واشموني امرأة بني الدير على اسمها ودفنت فيه وهو بقطر بل غربي دجلة . وعيده اليوم الثالث من تشرين الأول وهو من الأيام العظيمة ببغداد ، يجتمع أهلها اليه كاجتماعهم الى بعض أعيادهم ، ولا يبقى أحد من التطرب واللعب الا يخرج اليه ... » . (راجع مقال الأستاذ كوركيس عواد « اشموني - كتبناؤها ودياراتها في بلاد الشرق » المنشور في مجلة المشرق عدد تشرين الثاني ١٩٤٦ من ٥١٦ - ٥٢٤) . ولما كانت منطقة قطر بل تقع بجوار « دير الهور » المذكور فيمكن أن يقال أن وصف ياقوت والشابستي ينطبق عليه .

(٢) « أنساب الأشراف » الجزء الخامس (طبعة القدس) من ٣٥٥ .

أما قرية «مسكن» فلا تزال اطلالها محافظة على اسمها القديم حتى اليوم وتبلغ مساحتها حوالي نصف مليون متر مربع فتسمى «خرائب مسكين» ، وهي كائنة على الضفة الغربية من نهر دجيل الحالي (راجع اللوحة رقم ٦) ، ويبعد موضعها حوالي ثلاثة كيلومترات من جنوبي قرية سميكة (الدجيل الحالية) . ولعل قبة «إمام منصور» الواقعة بالقرب من «تل مسكين» الى جهة الغرب تضم قبر مصعب بن الزبير الذي قيل أنه دفن هناك . ويقع قبر ابراهيم بن الاشر على مسافة حوالي ستة كيلومترات من جنوبي «تل مسكين» و «إمام منصور» ، ولا تزال تسمى قبته «قبة السيد ابراهيم» وقد نقش على حجر فوق باب القبة ما يلي :

« هذا قبر نلرحوم السيد ابراهيم ابن مالك الاجدر النخعي رسول علمدار الله صلى الله عليه وسلم ٩٠٨٩ » .

ويقول العارفون من أهل سميكة أن قبر مصعب في نفس قبة السيد ابراهيم المذكورة وليس هناك ما يثبت ذلك أو ينفيه .

وقد ذكر ياقوت أن مسكن « موضع قريب من اوانا على نهر دجيل عند دير الجائليق به كانت الوقعة بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ هـ فقتل مصعب وقبره هناك معروف . » أما ابن عبدالحق فقد قال ما نصه : « مسكن اسم للطسوج الذي منه اوانا من اعمال دجيل والموضع الذي به قبر مصعب على جانب دجيل به الآن قرية ودير الجائليق قريب منه » .

ويحسن بنا أن ننقل هنا ما أورده البلاذري بصدد الوقعة التي كانت بين مصعب وعبدالملك في كتاب «أنساب الاشراف» قال : « فلما صح عند مصعب بن الزبير وصول عبدالملك يريده بعث الى ابن الاشر الذي كان آنذاك في الموصل فأقدمه عليه فجعله على مقدمته وسار حتى أتى دما وهي من عمل الانبار ثم قطع منها حتى نزل بقرب اوانا وهناك دجيل ودير الجائليق وباهجرا فمسكره وموضع

اليمنى من نهر دجيل الحالي في نقطة تقع على مسافة حوالي الكيلومتر الواحد من شمالي ناحية سميكه الحالية فيمتد في الاتجاه الجنوبي الغربي نحو « تلول المناري »، ثم يواصل سيره تاركاً « تلول المناري » على يمينه فيمتد الى ناحية الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات .

أما قرية « جمد » فقد ذكرها ياقوت قائلاً انها « قرية كبيرة كثيرة البساتين والشجر والمياه من اعمال بغداد من ناحية دجيل قرب اوانا ينسب اليها ابو عبدالله محمد بن احمد بن عبدالله الجدي مات سنة ٥٨٤ . » كما ذكرها ابن عبدالحق في المراصد فقال انها « قرية كبيرة بدجيل من اعمال بغداد . » وموضع هذه القرية على النهر المسمى اليوم « نهر جمد » وهو النهر الذي يتفرع من الضفة الشرقية لنهر دجيل بجوار قرية سميكه الحالية فيسير شرقاً بين مجرى دجلة القديم ونهر دجيل .

وكانت قرية « جويث » من القرى المهمة في هذه المنطقة ، وهي لا تزال محافظة على اسمها القديم حتى اليوم فتسمى اراضيها الواقعة شرقي « تل مسكين » (قرية مسكن) ما بين الضفة الغربية لمجرى دجلة القديم ومجرى دجيل « اراضي جويث » . وقد ذكر ياقوت قرية جويث أيضاً فقال انها « موضع بين بغداد واوانا قرب البردان » ، إلا ان ابن عبد الحق نوه بخطأ هذا الوصف فتساءل كيف يمكن ان تكون الجويث قرب البردان في حين ان « البردان » تقع في الجانب الشرقي من دجلة و « اوانا » غربيها . وما انشده جحظة في الجويث قوله :-

ايام تحوى حيث كنت لـمـاشق كـفـاً منيرة
ما بين حافات الجويث الى المطيرة فالحظيرة

اما « الاجمه » فلم يذكرها أحد غير ابن سرايون وقد عدّها من المدن والقرى التي كانت على ضفتي نهر دجلة فعيّن موضعها بين « القادسية » و « العلت » إذ قال ان نهر دجلة يمر الى « القادسية » و « الاجمة » و « العلت » الخ ... ثم ذكرها في مكان آخر عند وصفه مجرى النهروان ومدنه فعيّن موضعها على ضفة

نهر القاطول الاعلى السكسروي ما بين قرية « المحمدية » و « الشاذروان » (١).
 اما موضع « الالجة » بالنسبة الى الآثار الحالية فيتمتد بتعيينه بصورة مضبوطة
 على ان هناك نهراً قديماً يسمى نهر « الالجة » يتفرع من الضفة الشرقية لنهر دجيل في
 نقطة تقع جنوبي بساتين صميكة الحالية مباشرة ، ولا بد ان قرية « الالجة » كانت
 في موضع ما على هذا النهر ، ويلاحظ ان مجرى دجلة القديم الذي يسير الى
 جانب النهر المذكور يسمى اليوم « شطيطة الالجة » نسبة الى « الالجة ».

ومن قرى دجيل التي جاء ذكرها في معجم ياقوت والتي يتعذر تعيين مواضعها
 قرية « روبا » التي ذكر ياقوت انها من قرى دجيل بغداد ونسب اليها ابا حامد
 طيب الروبائي الحربي ، وقرية « جبايين » التي قال انها « من قرى دجيل من
 اعمال بغداد وينسب اليها احمد بن أبي غالب الجبائي » ، و « دور بني اوقر »
 التي ذكر انها « من مدن دجيل تقع على بعد خمسة فراسخ من بغداد وكان
 الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بنى فيها جامعاً ومنازة » (٢).

وكان يحادد « طسوج مسكن » من الجنوب « طسوج قطربل » الذي يمتد
 جنوباً على محاذاة الضفة الغربية من دجلة حتى يتصل بمدينة بغداد الغربية . ومن
 أهم القرى التي كانت ضمن الطسوج المذكور « المزرفة » الواقعة على الجانب
 الغربي من مجرى دجلة ، وهي القرية التي مازالت محافظة على اسمها القديم حتى
 اليوم ، وتسمى المنطقة التي تقع فيها القرية « اراضي المزرفة » ، وهذه تقع على
 مسافة ٢٥ كيلومتراً من شمالي بغداد عن طريق النهر وعلى مسافة حوالي ستة
 كيلومترات من شمالي شرقي محطة التاجي الحالية . وقد ذكر ياقوت « قرية
 المزرفة » وقال عنها انها « قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة
 فراسخ (١٥ كيلومتراً) واليها ينسب الرمان المزرفي كان فيها قديماً فاما اليوم

(١) راجع ما تقدم في صفحة ١٥٦

(٢) راجع ما تقدم في صفحة ٥٩

فليس فيها بستان البتة ولا رمان ولا غيره وهي قريبة من قطربل ... ينسب إليها أبو الهيثم خالد بن أبي يزيد وقيل انه يزيد المزرفي . ويلاحظ ان لي سترانج عين موقع المزرفة في الجهة الشرقية من دجلة على حين أن موقعها الحالي من نهر دجلة لا يترك أي شك في أنها كانت على الجهة الغربية ولا سيما بعد أن أيد ياقوت وقوعها في «طسوج قطربل» ، وهو الطسوج الذي كان يقع في الجانب الغربي .

١٥ - مرصطات اصحابنا :

يتضح مما تقدم أن النهروان بلغ ذروة ازدهاره في العهد الساساني وفي أوائل العهد العباسي ، فكان يتألف صدره الرئيسي من مدخلين - المدخل الصيفي عند القائم (مجرى القائم) - والمدخل الشتوي عند الصنم أمام القادسية (مجرى الصنم) - وبعد أن يلتقي المجران يكونان نهراً واسعاً يمتد الى قرب الكوت قاطعاً مسافة ثلثائة كيلومتر تقريباً . وكان علاوة على مجرى النهروان الرئيسي مجرى القاطول الأعلى المكسروي الذي يبدأ عند الدور ويلتقي بمجرى النهروان بالقرب من مجرى العظيم فيروي أراضي « طسوج بزرجسابور » الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة الذي كان يسير آنذاك في مجراه الغربي . وكان السدان على نهري ديالى والعظيم في جبل حميرين يحولان مياه هذين النهرين من مجرييهما الاصليين فيفسحان للنهروان مجال السير في طريقه الى الكوت فيجري في هذه المسافة الطويلة دون حائل أو عائق ، كما كان سد نمروود يحول مياه دجلة الى المجرى الغربي المرتفع فيرفع مناسب مياه النهر امام القائم والدور ويضمن بذلك دخول المياه الى النهروان والقاطول الاعلى المكسروي بمناسبة عالية في موسم الصيفود . هذا ما يتعلق بالجانب الشرقي من دجلة ، أما ما يتعلق بالجهة الغربية فسكان نهر دجيل يتفرع من ضفة دجلة الغربية في نقطة تقع على مسافة قليلة من شمالي موضع سد نمروود فيمتد هو وفروعه في الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات الى أن يصل قرب مدينة بغداد فيروي أراضي طسوجي « مسكن » و « قطربل » .

وهكذا كان معظم أراضي الدلتا الزراعية الخصبية يروى سيحاً من النهرين ،
 النهروان ودجيل ، وقد استمرت هذه الحالة في العهد العباسي الزاهر حتى انهار
 سد ديالى حوالي أواخر القرن الثالث الهجري ، ثم عقبه سد العظيم فانهار حوالي
 القرن السادس الهجري ، وأخيراً وقعت الضربة القاضية بتحول مجرى دجلة
 حوالي أواخر القرن السادس الهجري من مجراه الغربي الذي يسير بين القادسية
 وبغداد الى المجرى الشرقي الحالي فكانت بها نهاية حياة النهروان الذي بقي
 مقبوراً حتى يومنا هذا .

القاطول الكسروي ومشروع القنوج

١ - القاطول الاعلى الكسروي

بجئنا فيما تقدم عن مشروع النهروان في مختلف أدواره فذكرنا ان المشروع كان في أول أمره يشتمل على المجرى الذي كان يستمد مياهه من دجلة جنوبي سامراء ، وهو المجرى الذي كان له هناك مدخلان ، أحدهما للمياه الصيفية يتفرع عند القائم وآخر للمياه الشتوية يتفرع عند الصنم . أما الدور الذي يلي ذلك فهو الدور الذي أضيفت فيه اعمال جديدة لا تقل أهمية عن اعمال المشروع الاصيلي على الرغم من أن هذه الاعمال تنحصر في منطقة محدودة ، ولعني بذلك المجرى الجديد الذي حفره كسرى أو شروان الملقب بالعدل (٥٣١ - ٥٧٩ م) ، وهو المجرى الذي يطلقون عليه اليوم اسم « الرصاصي » ، وقد سماه العرب « القاطول الأعلى الكسروي » لتمييزه عن القاطول الاسفل (مجرى القائم) الذي يتفرع من جنوبي سامراء . ويتفرع القاطول الاعلى هذا عند الدور (دور تكريت) الواقعة على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً من شمالي سامراء بطريق النهر فيسير في الاتجاه الجنوبي الشرقي مسافة ٦٥ كيلومتراً تقريباً حتى يلتقي بمجرى القائم . أما اتجاهه فهو يسير على محاذاة الضفة اليسرى لنهر دجلة مسافة ٢٢ كيلومتراً تقريباً ثم يأخذ في الابتعاد عن نهر دجلة حتى اذا ما سار مسافة ثمانية كيلومترات أخرى وصار عند الكيلومتر (٣٠) أصبح مقابل مدينة سامراء الحالية وعلى بعد حوالي ثمانية كيلومترات منها ، ويستمر المجرى في الابتعاد عن نهر دجلة حتى اذا ما سار خمسة كيلومترات أخرى وصار عند الكيلومتر (٣٥) أصبح أمام صدر

لمجرى القائم وعلى بعد حوالي ١٤ كيلومتراً منه ، ثم يسير بعد ذلك موازياً لمجرى القائم ثم يقترب منه تدريجياً حتى اذا ما ابتعد مسافة ٦٥ كيلومتراً عن الصدر التقى بمجرى القائم في نقطة تقع على بعد حوالي سبعة كيلومترات من غربي نهر العظيم (راجع اللوحة رقم ٢) .

ويقطع القاطول المذكور عند الكيلومتر (٥٢ / ٥٠٠) من مجراه الوادي المعروف بوادي السدة ، وهو الوادي الذي يبدأ من الحد الجنوبي من بحيرة الشارع فيسحب فضلة مياه هذه البحيرة لصبها في دجلة^(١) ، وقد سماه المؤرخون العرب « وادي الراجع » . وكان هذا الوادي قبل انشاء القاطول الاعلى يصب في ضفة القاطول الاسفل اليسرى (نهر القائم) ثم صار ينصب في القاطول الاعلى الكسروي بعد انشاءه .

وعلى مسافة سبعة كيلومترات ونصف من فم مجرى القاطول المذكور تشاهد آثار قنطرة عبور قديمة لعلها انشئت في نفس الوقت الذي حفر فيه المجرى ، أي في زمن كسرى أنو شروان ، وكانت هذه القنطرة مبنية بالاحجار البازالتية السوداء المعروفة بالاحجار النارية التي نقلت ولا شك من أماكن جبلية بعيدة ، وقد استعمل الرصاص في البناء الأمر الذي أدى الى تسميته باسم قنطرة الرصاصي وتسمية المجرى الذي تقع عليه القنطرة باسم مجرى الرصاصي . وهناك ثلاث مرتفعان على رقبتي القنطرة يعرفان باسم تلي قنطرة الرصاصي يرجح ان الغرض من انشاءها هناك كان للدلالة على وجود جسر العبور في هذا المكان فيستعين بهما عابرو الطريق ليقصدوا موضع الجسر من مسافات بعيدة ، وهناك تعليل آخر لانشاء هذين التلين على رقبتي الجسر وهو انها كانا يقومان مقام النصب التذكاري على رأس الجسر حسب العادة التي كانت متبعة عند انشاء مثل هذه المباني على الجداول .

(١) حول بحيرة الشارع راجع البحث الذي تقدم في صفحة ١٦٣ حاشية ١

ولا بد من الملاحظة ان القسم الظاهر من صدر هذا المجرى يقع قرب المتوكلية على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً من جنوبي الصدر الاصلي الذي يتفرع من الدور، اما الصدر الاصلي فقد جرفته المياه بنتيجة تقدم مجرى دجلة الى الداخل ولم يبق إلا قسم قليل منه يقع تحت الدور مباشرة وهذا القسم يمتد مسافة حوالي ١٦٠٠ كيلومتراً على محاذاة حافة نهر دجلة (راجع الاوحتين ١ و ٢) .

ويبدأ قعر مجرى صدر القاطول الاعلى المذكور بمنسوب ٧٨٧٠ متراً فوق معدل مستوى سطح البحر ، ولما كان معدل منسوب المياه في نهر دجلة أمامه في الدور يبلغ في الوقت الحاضر حوالي ٧٥٠٥٠ متراً في موسم الفيضان^(١) وزهاء ٧٠٥٠٠ متراً في موسم الصيف فان قعر صدر هذا القاطول يكون أعلى من معدل منسوب فيضان النهر الحالي في موقع هذا الصدر بأكثر من ثلاثة امتار ، وأعلى من منسوب المياه الحالي في موسم الصيف في ذلك المسكان من النهر بأكثر من ثمانية امتار ، الأمر الذي يدل على أن منسوب المياه في نهر دجلة كان في زمن إنشاء مجرى القاطول أعلى مما هو الآن بحوالي ثمانية امتار في موسم الصيف وهذا يتفق الى حد كبير مع مناسيب نهر دجلة بالنسبة الى صدر القاطول الاسفل في القائم .

أما أبعاد مجرى هذا القاطول فان عرضه قعره يتراوح في مسافة الخمسة والعشرين كيلومتراً الاولى منه ، وهي المسافة التي يخترق فيها المرتفعات الحجرية الصلبة الواقعة في القسم الأعلى من المجرى ، بين العشرين والخمسة وعشرين متراً على حين أن عمقه هناك يبلغ ١٠ الى ١٢ متراً على وجه التقريب . أما بعد ذلك فيدخل المجرى الاراضي السهلة وهنا يتوسع عرضه حتى يصل الى مئة متر على

(١) ان المنسوب المذكور هو المعدل في الفيضانات الاعتيادية أما في الحالات التي تحدث فيها فيضانات خارقة وغير اعتيادية فقد يصل المنسوب في هذا المسكان الى حد ٧٨ متراً فوق معدل مستوى سطح البحر .

حين أن عمقه يقل فيهبط الى حد المترين أو الثلاثة أمتار . ويزداد المجرى توسعاً بعد أن يتكون المجرى الموحد من القاطولين الاعلى والاسفل فيصل العرض الى حد ١٢٠ أو ١٣٠ متراً كحد أعظم .

٢ - أهراف القاطول الاعلى الكسروي :

أما النهاية التي أنشئ هذا القاطول لتحقيقها فهي إسقاء الاراضي السهلة الواقعة على ضفتيه ، وأهمها تلك القائمة على ضفته اليمنى والتي تقع بين القاطول الاعلى والقاطول الاسفل (نهر القائم) ، وهي الاراضي التي تقع ضمن المثلث المتكون من ملتقى القاطولين ، ثم إسقاء الاراضي الواسعة بين القاطول الاسفل (نهر القائم) ومجرى دجلة الغربي القديم ، وهي أراضي « طسوج بزرجسابور » التي تمتد على طول الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم بين بلد وبغداد ومن ضمنها بساين بلد الحالية ومجرى دجلة الحالي الذي كان أرضاً زراعية آنذاك^(١) .

وكانت الجداول التي تروي هذه الاراضي تعبر من فوق مجرى النهر وان الذي يتفرع من جنوبي سامراء على عبارات ضخمة (Aqueducts) ببناء الآجر ، ومن جملة هذه العبارات تلك التي كانت تعبر عليها مياه القاطول الاعلى الكسروي فوق مجرى النهر وان الصيفي (مجرى القائم) الى ثكنة القادسية ، وهي العبارة الواقعة أمام القادسية في المسكان المعروف بـ « فكة القادسية » الذي يبعد حوالي اربعة كيلومترات شرقي صدر القائم ، ثم العبارة التي في دائر الحوي الواقعة على مسافة حوالي ثمانية كيلومترات شرقي فكة القادسية . ولما كان مجرى النهر وان الشتوي الذي يتفرع عند الصنم يمتد موازياً لمجرى القائم بحيث يعترض الجدول الذي يعبر فوق مجرى القائم في دائر الحوي فقد انشئت عبارة اخرى على مجرى الصنم ليتسنى مرور الجدول المذكور الى السهل الواقع شرقي

(١) حول مجرى دجلة الغربي القديم راجع ما تقدم في صفحة ١٧٧ ، أما حول « طسوج

بزرجسابور » فراجع ما تقدم في صفحة ١٨٢ .

مجرى دجلة القديم . وهذه العبارة هي التي وصفها فيليكس جونس في بحثه عن النهروان وذلك عندما قام ب مسح هذه المنطقة في سنة ١٨٤٦ ، وقد رسم فيليكس جونس هذه العبارة كما شاهدها وهي مكونة من خمس دعائم ضخمة وست فتحات واسعة . وضخامة هذه العبارة تعطينا فكرة عن سعة المجرى الشتوي للنهروان ، ومدى قابلية استيعابه للمياه في موسم الفيضان . وما ذكره فيليكس جونس أن العبارة المذكورة تقع غربي خان المزرقي ، الذي يسمى الآن خان صعاوية الذي يقع على مسافة حوالي كيلومترين شرقي دائر الحوي ، وأن مجرى دجلة كان قد جرف قسماً كبيراً من بنائها . أما الآن فلم يبق من آثار هذه العبارة شيء يذكر ، فقد تقدم مجرى دجلة الى الداخل بحيث جرف كل البناء . وبذلك محى معالم مجرى النهر الذي كانت عليه العبارة في هذا المكان . ولا تزال آثار الجداول التي كانت تتفرع من القاطول الأعلى الكسروي وتنتهي الى الضفة اليسرى لمجرى دجلة الغربي القديم تعرف باسم « النهروانات » وقد أصبحت الآن على الضفة اليمنى لمجرى دجلة الحالي .

وما يؤسف له أن الاهلين قلعوا المادة التي بنيت بها هذه المنشآت واستعملوا آجرها في بناياتهم ، الأمر الذي يجعل دراسة التصاميم الاصلية لهذه المنشآت من الصعوبة بمكان .

٣ - طسوج بزرجسابور والسر الفاطس في نواب القاطول الكسروي

وكانت المنطقة الواقعة شرقي مجرى دجلة القديم ، وهي التي انشئ القاطول الكسروي لتأمين إروائها ، تعرف باسم « طسوج بزرجسابور ^(١) » ، وما يؤيد أنها كانت كثيفة بسكانها ومزارعها ما نشاهده اليوم من بقايا المدن والقرى المنتشرة في أرجائها وآثار الجداول القديمة المنبثة في كل بقعة من

(١) حول « طسوج بزرجسابور » راجع ما تقدم في صفحة ١٨٢ .

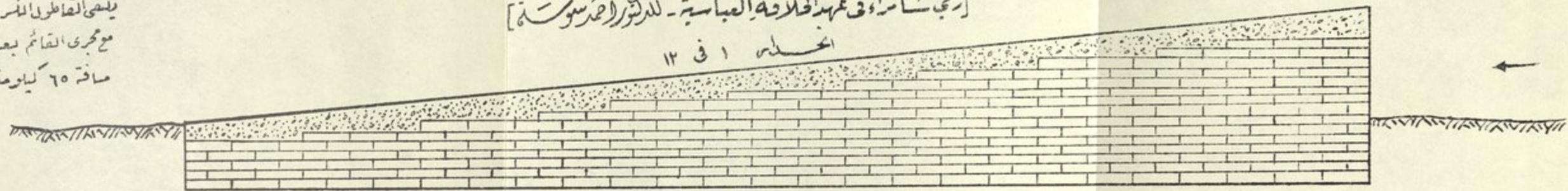
رسم رقم ٦

السد الفاطسي على مجرى القاطول الكسروي الاعلى عند ملتقاه مع مجرى القائم
[رعي ساراه في عهد الخلافة العباسية - للكتور احمد سوسة]

المقطع ١ في ١٣

ملاحظة:

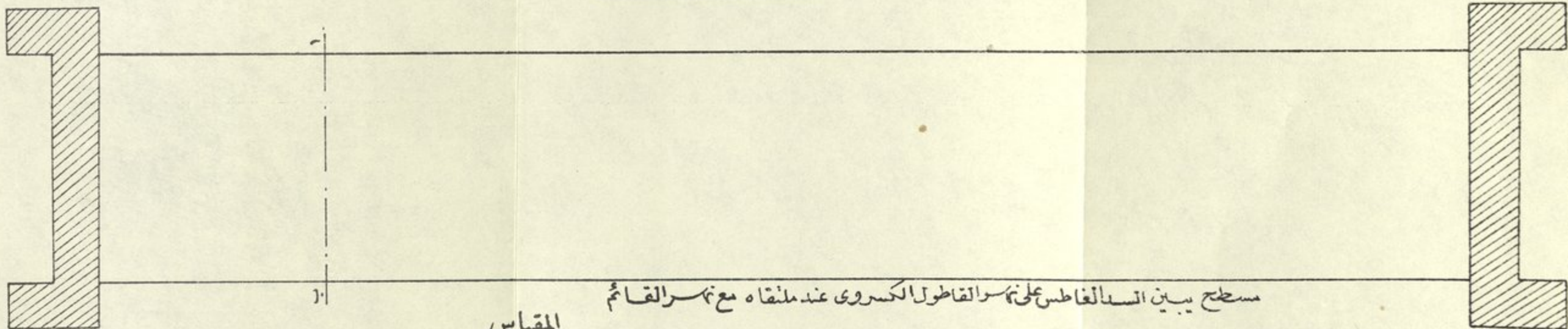
يتفق القاطول الكسروي الاعلى
مع مجرى القائم بعد ان يقطع
مسافة ٦٥ كيلومتر من صدر



المقطع العرضي عند الخط ١ - ب

المقياس

١ ٢ ٣ ٤ متر



مسطح يبين السد الفاطسي على القاطول الكسروي عند ملتقاه مع مجرى القائم

المقياس

١ ٢ ٣ ٤ ٥ متر

اراضيها ، فهناك تلول أثرية لا تحصى ، هي اطلال المدن والقرى التي ازدهرت هناك في هذا العهد ، كما أن هناك آثار جداول قديمة تمتد في كل ناحية يستدل منها على أن المنطقة كانت عامرة بالبساتين الكثيفة والحقول والمزارع الكثيرة . وتدل المنشئات التي على مجرى القاطول الأعلى الكسروي أن المياه التي كان يسحبها هذا القاطول من نهر دجلة في موسم الصيف كانت تحول برمتها الى الجداول التي تروي منطقة بزرجسابور المذكورة بحيث لم يبق منها ما يسيل الى مجرى النهران في الجنوب ، أي المجرى الذي يتكون من اتحاد مجرى القاطول الأعلى مع القاطول الاسفل (مجرى القائم) . ولتأمين تحويل كل المياه الى الجداول المذكورة أنشئ على مجرى القاطول الأعلى ، عند منتهاه قرب الملتقى بمجرى القاطول الاسفل ، سد غاطس ضخيم (Weir) على نمط تصميم سد ديبالي الثابت الذي أنشئ مؤخراً على نهر ديبالي في مضيق جبل حميرن لحجز مياه ديبالي الصيفية أمامه وتحويلها الى الجداول الزراعية . وهذا السد ، الذي لا يزال الجناح الغربي منه مائلاً للعيان حتى الآن ، كان يحجز المياه هناك في موسم الصيف فيحوّلها برمتها الى الجداول المتفرعة من أمام السد فتعبر من فوق مجرى القاطول الاسفل (نهر القائم) وتمتد الى منطقة بزرجسابور في الجانب الشرقي من مجرى دجلة الغربي القديم . هذا في موسم الصيف ، أما في موسم الفيضان فكانت المياه الزائدة تنصب من فوق السد فتجري في مجرى النهران الرئيسي الذي يتكون من اتحاد القاطول الأعلى بالقاطول الاسفل (مجرى القائم) فتتحد مياه القاطولين الى الجنوب .

ويقوم هذا السد على قاعدة مبنيّة بالنورة والآجر الضخم الذي تبلغ أبعاده (٤٠ × ٣٥ × ١٢) سنتمترًا ، ويرتفع عن مذسوب قعر النهر عند القمة مترين ونصف متر تقريباً ثم يمتد على أرضية مسرحة من الخرسانة تنحدر بقسريج ١ الى ١٢ . و يبلغ طول هذه القاعده التي تمتد باتجاه ضفة النهر ٢٥ مترًا تقريباً ، أما طول

السد على عرض مجرى القاطول فيبلغ حوالي ١٣٠ متراً . وقد رسمنا تصميم السد مستنديين الى المعلومات التي حصلنا عليها من بقايا البناء (راجع رسم رقم ٦ - تصميم السد الفاطس على مجرى القاطول الكسروي) .

والفرع الرئيسي الذي كان يستمد المياه من أمام هذا السد هو النهر الذي كان يتفرع من أمام السد مباشرة فيعبر هذا الفرع فوق مجرى النهر وان الرئيسي (القاطول الاسفل) على عبارة ضخمة ذات فتحة كبيرة واحدة (Aqueduct) ثم يتفرع الى فرعين ، الفرع الشرقي والفرع الغربي (راجع رسم رقم ٧ - مخطط يبين التقسيمات التي في ملتي القاطول الأعلى الكسروي بمجرى القائم) ، فيجري الفرع الاول في الاتجاه الجنوبي الشرقي نحو عكبرا الواقعة على الجانب الشرقي من مجرى دجلة القديم فيروي الاراضي الواقعة بين مجرى دجلة القديم ومجرى دجلة الحالي . ويمكن تتبع آثار هذا الفرع في الجانب الغربي من مجرى دجلة الحالي حيث يسميه الاهلون هناك « نهر عكاب » ، ومن جملة فروعه الرئيسية الانهر القديمة التي يسميها الناس « خيوط الجملة » و « عرقوب المعرض » و « خيوط الاجدع » . أما الفرع الثاني ، أي الفرع الغربي ، فيسير في الاتجاه الجنوبي الغربي نحو التل المعروف بـ « تل الذهب » . ويمكن تتبع آثار هذا الفرع أيضاً في الجانب الغربي من مجرى دجلة الحالي فيسميه الاهلون هناك « عركوب عكيل » . ولهذا الفرع عدة تشعبات تنشعب من الجانبين أيضاً فتروي المنطقة التي يخترقها . وتشاهد آثار بناء في صدر الجدول الرئيسي الذي يتفرع من امام السد وذلك بعد ان يعبر القاطول الاسفل ، يستدل منها على انه كان ناظم رئيسي في هذا المكان تنظم به كمية المياه التي تدخل الى الجدول .

وقد لاحظ فيليكس جونس هذه المنشآت أثناء مسحه منطقة النهران فلم يستطع التوصل الى معرفة الغاية التي انشئت من اجلها ، وكل ما خطر له من رأي هو انها

الشمال

رسم رقم ٧
مخطط بين التقييمات التي في منسقى القاطون الكسروي الاعلى مجرى القاع
[ري سامراء في عهد الخلافة العباسية - للكثير احمد بن موسى]

نهر البت

مجرى النهر وان بعد

اتحاد القاطونين القاطون الكسروي و قاطون القاع
القطرة التي رسمها فيلسوفيون في سنة ١٨٤٩
والتي لم ين منها اي اثر في الوقت الحاضر

آثار بابية
قديمة

الفرع الشرقي

الفرع الغربي

السد القاطس في ذنايب القاطون الاعلى
راجع رسم رقم ٦

مجرى القاطون الكسروي الاعلى

العباسية فوق القاطون الاسفل
آثار بابية
قديمة

مجرى القاطون الاسفل
(مجرى القاع)

المجرى الذي يستعمل المياه من القاطون الاعلى
من امام السد القاطس

أقيمت على القاطولين في موقع اتحادهما للحد من قوة تيار المياه أمام قنطرة العبور المنشأة على مجرى النهروان بعد اتحاد القاطولين ، وهي القنطرة التي تقع أمام مصب « نهر البت » (١) في النهروان والتي كانت تؤمن العبور على مجرى النهروان في ذلك المكان ، حيث تقع آثار أبنية كثيرة تدل على أن هذه المنطقة التي يتحد فيها القاطولان كانت كثيفة بسكانها مزدهمة بقراها وبنياتها على جانبي النهر . أما الآن فلا يوجد أي أثر لهذه القنطرة لأن الاهين اقتلعوا آجرها الى اعماق تقطة من اسسها ثم زرعوا مكانها بحيث لم يبق أي أثر للبناء . إلا ان الذين نصبوا مضخه على مصب نهر البت لارواء الاراضي التي تقع القنطرة فيها يؤيدون بأنه كان أثر لبناء جسر في هذا المكان .

٤ - القاطول الاعلى الكسروي والقاطول الاسفل (مجرى القائم)

يتضح مما تقدم ان مشروع النهروان كان يقسم في أول أمره الى قسمين : قسم القاطول الاسفل (مجرى القائم) وهو نهر مستقل يتفرع من جنوبي سامراء فيحمل المياه الى مجرى النهروان في الجنوب ، وقسم القاطول الاعلى الكسروي، وهو نهر مستقل أيضاً يتفرع عند الدور فيروي منطقة برزجسا بور الواقعة على الجانب الشرقي من مجرى دجلة الغربي القديم بما فيها الاراضي الكائنة بين القاطولين الاعلى والاسفل ، وذلك بفضل السد العاطس المنشأ في نهاية القاطول الاعلى عند ملتقاه بالقاطول الاسفل ، وهو السد الذي كان يحجز المياه الصيفية التي تجري في القاطول الاعلى كلها فيحوها الى الجداول التي تمتد الى تلك المنطقة . هذا في موسم الصيف ، أما في موسم الفيضان فتتجمع مياه القاطول الاسفل مع مياه القاطول الاعلى التي تنصب من فوق السد العاطس الذي في ذنابه فتسيل مياه القاطولين في مجرى النهروان الموحد الذي يمتد الى قرب الكوت .

(١) ان نهر « البت » المذكور هو الذي يتفرع من امام سد العظيم في الجانب الغربي

٥ - مشروع نهر القورج

وقد حدث بعد انشاء القاطول الاعلى الكسروي حادث لم يكن في الحسبان ذلك ان مجرى القاطول الاعلى صار يسحب اكثر مياه دجلة في موسم الصيهور مما أدى الى هبوط منسوب مياه دجلة الصيفي امام صدر القاطول الاسفل (نهر القائم) بحيث أصبح تموين هذا الصدر بالمياه الكافية في موسم الصيهور متعذراً . واذا ما لاحظنا ان القاطول الاسفل كان يتفرع من نهر دجلة من دون سد حاجز على مجرى دجلة لرفع مناسيب المياه هناك وتحويلها الى صدره اتضح لنا ان رفع مستوى المياه في نهر دجلة لتحويلها الى صدر نهر القائم أصبح متوقفاً على تزييد مياه دجلة نفسها . ويروى لنا ياقوت في معجمه ان أهل الجنوب القاطنين بجوار بغداد الشرقية وفي جنوبيها راحوا يتظلمون لدى كسرى من جراء انقطاع المياه عنهم بعد انشاء القاطول الاعلى الذي صار يسحب معظم مياه نهر دجلة عند شحتها فيه ، فخلوه على ترك مجرى القائم وفتح جدول جديد من جنوبي صدر نهر القائم لأيصال المياه الى تلك النواحي الجنوبية ، وصار يعرف هذا الجدول في زمن العرب باسم « القورج » ، وإليك ما كتبه ياقوت في هذا الصدد ، قال : « ... إن كسرى لما حفر القاطول (القاطول الاعلى) أضر ذلك بأهل الاسافل وانقطع عنهم الماء حتى افتقروا وذهبت أموالهم فخرج أهل تلك النواحي الى كسرى يتظلمون إليه مما حلّ بهم فوافوه وقد خرج متزهاً فقالوا أيها الملك إنا جئنا نتظلم فقال ممن قالوا منك فثنى رجله ونزل عن دابته وجلس على الارض فأتاه بعض من معه بشيء يجلس عليه فأبى وقال لا أجلس إلا على الارض إذ أتاني قوم يتظلمون مني ثم قال ما مظامتكم قالوا حفرت قاطولك فغرب بلادنا واتقطع عنا الماء ففسدت مزارعنا وذهب معاشنا فقال إني أمر بسده ليعود إليكم ماؤكم قالوا لا نجشك أيها الملك هذا فيفسد عليك اختيارك ولكن أمر أن يعمل لنا مجرى من دون القاطول فعمل لهم مجرى بناحية القورج

يجري فيه الماء فعمرت بلادهم وحسنت أحوالهم وأما اليوم (٥٦٢٦ .) فهو بلاء على أهل بغداد فانهم يجتهدون في سده وإحكامه بغاية جهدهم وإذا زاد الماء فأفرط بثقه وتعدى الى دورهم وبلدهم فخر به . « وقد جاء فيما ذكره ابن عبدالحق في مراصد الاطلاع (٥٧٣٩ .) ما يؤيد ذلك فقال « إن القورج نهر بين القاطول وبغداد منه يسكون غرق بغداد كل وقت تفرق يجتهدون في سده وإحكامه بغاية جهدهم وإذا زادت دجلة بثقة فأغرق ما حول بغداد كله » .

٦ - آثار مجرى القورج

وقد تتساءل الآن أين قد يكون مجرى القورج الذي أنشأه كسرى ، وهو النهر الذي كان يستمد المياه من دجلة في تقطة تقع بين القاطول وبغداد ؟ ثم أصبح مصدر خطر على مدينة بغداد من الغرق ؟ ... لقد حاولنا كثيراً تتبع آثار هذا النهر للوقوف على مجرى صدره بالضبط إلا أن التخريبات التي خلفها نهر دجلة بعد تحوله من مجراه الغربي القديم الى المجرى الشرقي الحالي لم يبق لنا أي مجال للوقوف على آثار مجرى هذا الصدر ، ولا سيما إذا ما لاحظنا بأن مجرى القورج كان العامل الاساسي في تحول نهر دجلة من المجرى الغربي القديم الى المجرى الشرقي الحالي ، وأن نهر دجلة تحول من نفس المكان الذي يتفرع منه صدر القورج واحتل القسم الأعلى من مجراه . يضاف الى ذلك أن المضخات التي نصبت على ضفتي مجرى دجلة الحالي والجداول الكثيرة التي أنشئت هناك لنقل المياه الى المزارع والأنهر الكثيرة التي أنشئت في ذئاب جدول الخالص ، وكذلك الانهر التي أنشئت في منطقة نهر دجيل بعد تحول مجرى دجلة الى الشرق ، كل هذه جعلت من الصعب تعيين الموقع الذي كان يتفرع منه نهر القورج بالضبط . ومع ذلك ، فإن هناك بعض الآثار التي تدل على أن صدر نهر القورج كان يقع في مكان غير بعيد من مدينة « العلب » وهو نفس الموقع الذي تحول منه نهر دجلة عندما غير مجراه واتجه نحو الشرق باتجاه مجراه الحالي ، وسيأتي

البحث عن ذلك فيما يلي ، لذلك لا يمكننا أن نتبع غير آثار بعض أقسام هذا النهر البعيدة عن الصدر . إذ يستدل من هذه الآثار المتبقية على أن مجرى القورج كان يسير موازياً لمجرى النهر وان تماماً على بعد حوالي كيلومتر ونصف أو كيلومترين منه جنوباً ، فتوجد ابتداء من الشمال قطعة يبلغ طولها حوالي الكيلومترين لا تزال آثار المجرى فيها واضحة ، وهذه تبعد عن مجرى العظيم الحالي حوالي اثني عشر كيلومتراً شرقاً ، وهي تقع على الضفة اليسرى لمجرى دجلة الحالي على بعد زهاء خمسة كيلومترات من جنوب غربي قلعة الناي^(١) ثم يختفي المجرى لمسافة حوالي ثمانية كيلومترات حيث يتقدم نهر دجلة الحالي الى الداخل فيمحي معالمه . وقد ساعدت السيول ، ولا سيما سيل «وادي جلب علي» الواقع في هذه المنطقة ، على محو آثار المجرى في هذا القسم ، إلا أن المجرى يعود فيظهر في شمال غربي دلتاوة (الخالص الحالية) في نقطة تقع في الحد الجنوبي لهور الدغارة^(٢) فيسير في جنوبي النهر وان الأصلي وعلى موازاته مسافة حوالي خمسة كيلومترات حتى تعترضه بساتين «علييات» في ضواحي الخالص فيختفي مرة أخرى وسط هذه البساتين مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات^(٣) ثم يعود فيظهر بعد أن يجتاز مزارع الخالص . ويبلغ عرض مجرى القورج في القسم الظاهر الواقع جنوبي «هور الدغارة» ٦٠ الى ٧٠ متراً ويتفرع من ضفته اليمنى من

(١) قلعة الناي قلعة قديمة في وسط أراضي العرقة شرقي العظيم وهي مسورة بسور مربع طول كل ضلع من أضلاعه زهاء ٥٥ متراً وقد بني السور ببلن حجه (٤٥ X ٤٥ X ١٥ سنتيمتراً) . وهناك اجماع على أن القلعة تعود الى العهد الفارسي (راجع اللوحة رقم ٣) .

(٢) يؤلف هور الدغارة هذا منخفضاً واسعاً تغمره مياه دجلة الحالي في مواسم الفيضات وقد تكون نتيجة تقدم مجرى دجلة الى الشرق وبذلك يحى معالم كلا المجرىين النهر وان والقورج في هذا القسم (راجع اللوحة رقم ٣) .

(٣) ويختفي هنا النهر وان الأصلي الذي يسير موازياً لمجرى القورج من الشمال حيث تخترق جداول الخالص وبساتين دلتاوة مجراه أيضاً .

شمالى بساتين جيزاني الجول مباشرة نهر واسع يسمى «خيوط النهروان» فيسير هذا النهر على محاذة حدود بساتين «جيزاني الجول» الشمالية مسافة عدة كيلومترات ولا شك في أن النهر المذكور كان أحد الفروع التي تنشعب من نهر القورج لأرواء أراضي «طسوج بزر جسابور» التي كانت تقع شرقي مجرى دجلة الغربي القديم. ويظهر أنه كان سد من البناء على مجرى القورج في المسكان الذي يتفرع منه هذا النهر لحجز المياه وتحويلها الى النهر المذكور، إذ تؤيد الروايات المتواترة وجود آثار بنىء قديم في هذا المسكان من المجرى. ويخترق مجرى القورج في هذا القسم الظاهر منه طريق بغداد - كركوك العام، ويوجد بعض الخرائب على ضفته اليمنى في المسكان الذي يخرقه الطريق المذكور يقال لها «خان النهروان»، وهي خرائب أحد الخانات القديمة التي كانت تنزلها القوافل في طريقها بين كركوك وبغداد (راجع اللوحة رقم ٣).

ويلاحظ أن نهر دجلة بعد أن احتل القسم الأعلى من مجرى القورج وسار في عميق القورج مسافة حوالي خمسين كيلومتراً عرج من قرب «هور الدغارة» الى الجهة الجنوبية الغربية تاركاً نهر القورج في شرقيه. وكانت نتيجة ذلك أن نهر القورج صار بعدئذ يستمد المياه من نهر دجلة بالقرب من «هور الدغارة»، أي أن صدره تحول الى مسافة حوالي خمسين كيلومتراً جنوباً (راجع اللوحة رقم ٣).

وإذا ما واصلنا تتبع آثار مجرى القورج نجد أنه بعد أن يجتاز بساتين «علييات» و«دلناوة» يندمج بنهر الخالص (نهر التحويلة الحالي) الى مسافة حوالي ستة كيلومترات ثم يفترق عن نهر التحويلة المذكور فيتركه الى غربيه ويستمر في سيره في الاتجاه الجنوبي الشرقي موازياً مجرى النهروان الأصلي الذي يسير الى شماليه على مسافة حوالي كيلومتر ونصف كيلومتر منه (وهي المسافة التي بقى مجرى القورج محافظاً عليها على طول مجراه بينه وبين النهروان) حتى يلتقي به شرقي مجرى ديبالى الحالي في جنوبي قرية «بهرز» بحوالي ثلاثة كيلومترات. ويبلغ

طول مجرى القورج في القسم الذي يمتد من النقطة التي يترك فيها نهر الخالص (التحويلة) الى أن يتصل بمجرى النهران حوالي ١٦ كيلومتراً . ويلاحظ أن آثاره في هذا القسم أكثر وضوحاً منه في أي قسم آخر من مجراه ، ويطلق الاهلون على هذا القسم اسم « نهر السكاطون » (نهر القاطون) ، ولا شك أن اسمه الأصلي كان « القاطول » ثم حُرِّفَت اللام راءً فصارت « القاطون » . وهناك بعض الغزل من الشعر العامي عن هذا (القاطون) تناقلته الألسنة بالتواتر فن جملة ما قيل في هذا الصدد البيتان التاليان :-

على « السكاطون » (القاطون) ورَدَّ نَزَّوجَ حَيْلٍ

امضَمَّ والبَطونَ حَيْلٍ

ليش يا ابو شويبه دتت حَيْلٍ

دضم الشيب واردم بالشباب

والقاطول الذي كان يؤلف مجرى القورج نهر قديم ذو ضفاف عالية يفوق مجرى النهران في سعته مما يدل على انه توسع كثيراً في عهده الأخير بحيث أصبح مصدر خطر شديد على مدينة بغداد الشرقية من الفرق منه، الأمر الذي حمل الرشيد على تركه والرجوع الى نهر القائم ، وسيأتي البحث عن ذلك . ويكفي للمرء ان يقتبس الآثار الحالية للفروع التي كانت تنشعب من ضفة نهر القورج (نهر القاطون) اليميني في قسمه الظاهر الاخير قبل ان يتصل بمجرى النهران الاصلي ليقف على جسامه المشروع ، فان كلاً من هذه الفروع يضاهي مجرى النهران نفسه في سعته ، ومن جملة هذه الفروع التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان ، على الرغم من ان الجداول الحديثة المتفرعة من نهر الخالص اخترقتها أو سارت في وسطها ، النهر القديم المسمى « نهر دحيلة » ، وهو النهر الذي يسير في وسطه مجرى المرادية الحديث ، والنهر القديم المسمى « نهر أبي دحيل » وهو النهر الذي يسير في وسطه نهر الخضرية الحالي ، والنهر القديم



لوحة رقم ٣
 خارطة مجرى نهري الموصل والفرات بين العظمى وديالى
 (الذي يسمونه) المسكن
 [في سامراء في عهد الخليفة الفاطمي - للعثمانيين في سنة ١٢٠٠ م]
 كيلومتر ١٠
 (قريّة مسكن الفتيان)



المسمى « خيطة رميل » ، وتتجه هذه القروغ كلها نحو المنطقة الواقعة على الضفة
نهر دجلة اليسرى شمالي مدينة بغداد الشرقية .

أما طول مجرى القورج من صدره حتى ملتقاه بمجرى النهروان الاصيلي في
جنوبي بهرز فيبلغ حوالي ثمانين كيلومتراً يسير في هذه المسافة كلها موازياً
النهران الاصيلي من ناحية الجنوب . ولا بد لنا من أن نذكر القارىء في هذا
الصدد بما تقدم ذكره عن أن مجرى النهرين ، العظيم وديالى ، كانا مسدودين عند
جبل حميرين في هذا الدور ، الأمر الذي ساعد على امتداد مجرى القورج بموازية
مجرى النهروان الاصيلي من الجنوب من دون أن يعترضه أي عارض في طريقه .
وهكذا فقد صارت مهمة مجرى القورج ارواء الأراضي الواقعة على ضفتي
النهران ما بين العظيم والـكوت في الموسم الصيفي بعد ان كان مجرى القائم
يقوم بهذه المهمة .

٧- موقع صدر نهر القورج - سر العلت

أما الموضع الذي كان يبدأ منه مجرى القورج بالنسبة الى مجرى دجلة الغربي
القديم (الشطيطة الحالي) فالذي استخلصناه من تحقيقاتنا انه كان يتفرع من امام
مدينة العلت في نقطة تقع على بعد حوالي سبعة كيلومترات من جنوب شرقي
القادسية أو زهاء عشرة كيلومترات من شمال غربي بلد (راجع اللوحة رقم ٢) ،
ثم يسير في اتجاه مجرى دجلة الحالي ، وهو المجرى الذي كان يسير فيه نهر دجلة
الاصيلي قبل انشاء سد نمرود ثم تحول بعدئذ الى أرض زراعية سهلة على أثر
تحول مجرى دجلة الى جهة الغرب^(١) ، حتى يتصل بالقسم الظاهر من مجراه
في جنوبي « قلعة الناي » (راجع اللوحة رقم ٣) . وليتسنى حجز مياه
دجلة الصيفية ورفع مناسيبها في موسم الصيف لتحويلها الى صدر القورج

(١) حول موضوع سد نمرود وتحول مجرى دجلة راجع ما تقدم في صفحة ١٦٧ .

النشيد. سد حجري على نهر دجلة عند «العت» . وقد أشار مؤرخوا القرن الرابع الهجري الى بقايا سد العت هذا، وكان قد توقف استعماله آنذاك بنتيجة رجوع الرشيد الى استعمال مجرى القائم بدلاً من مجرى القورج الذي أصبح مصدر خطر على مدينة بغداد نفسها كما سنرى في البحث الذي يلي (١) . واليك ما كتبه علي بن محمد الشاشي (٣٨٨ هـ) في هذا الصدد، قال «والعت قرية على شاطئ دجلة ، في الجانب الشرقي منها ، وبين يديها من دجلة موضع صعب ، ضيق الجاز ، كبير الحجارة ، شديد الجربة ، تجتاز فيه السفن بمشقة . وهذه المواضع تسمى الأبواب . واذا وافت السفن الى العت أرست بها فلا يتبها لها الجواز إلا بهاد من أهلها يكترونه ، فيمسك السكان ويتخلل بهم تلك المواضع ، فلا يخطها حتى يتخلص منها» (٢) .

اما موقع سد العت فمن المرجح انه كان قرب مدينة العت و لعل مدينة العت نفسها نشأت بعد فتح نهر القورج والنشاء السد على نهر دجلة في ذلك المكان . ولم نعتز على آثار السد في مجرى دجلة القديم (الشطيطة) لتراكم الاتربة والترسبات فيه وحفر نهر بلد في وسطه ، وهو النهر الذي حفره المستنصر لارواء بساتين بلد والحظيرة ، فكان هذا الفرع يستمد مياهه من ضفة نهر دجيل اليسرى في نقطة تقع بالقرب من « إمام الخضر » الحالي فيسير قسم غير قليل من مجراه وسط عقيق دجلة القديم (الشطيطة) قبل ان يصل الى بساتين بلد (٣) .

٨ - خطر نهر القورج على مريضة بغداد الشرقية من الفرق

ولا شك ان مجرى القورج - بحكم وقوعه في أراضي منخفضة وبوجود سد

(١) راجع البحث الذي يلي في الفصل الرابع مادة -٢- مشروع الرشيد .

(٢) حول قرية العت راجع ما تقدم في صفحة ١٨٣

(٣) راجع البحث التالي الخاص بنهر دجيل القديم في هذا الفصل .

العلت تحت صدره - كان يسحب معظم ما يتبقى من مياه دجلة في موسم الصيف فينقلها الى مجرى النهروان لأرواء الأراضي الواسعة التي تمتد بين العظيم والسكرت . أما في موسم الفيضان فكانت كل المداخل التي تتفرع من دجلة وهي مداخل القاطول الأعلى الكسروي والقاطول الأسفل (مجرى القائم) والقورج نفسه نصب مياهها الزائدة في مجرى النهروان مما جعل المنطقة التي تقع فيها مدينة بغداد الشرقية مهددة بالفرق من فروع القورج ومن فروع النهروان التي تمتد الى تلك المنطقة . وكان مجرى القورج أكثر خطراً لوقوعه في منطقة واطئة تتسلط عليها مياه الفيضان من ارتفاع كبير . وهذا هو السبب الذي أدى أخيراً الى تحول نهر دجلة في القسم الأعلى من مجرى القورج ، إلا ان ذلك لم يزل الخطر عن مدينة بغداد لأن مجرى القورج صار بعد ذلك يسحب المياه من نهر دجلة من جنوبي الصدر القديم كما سبق بيانه^(١).

٩ - فروع نهر القورج

أما الفروع التي كانت تخرج من مجرى القورج فإن أول فرع من الشمال هو الفرع الذي كان يتشعب من ضفته اليمنى من نقطة تقع على مسافة تسعة كيلومترات تقريباً من جنوبي مجرى العظيم ويمتد هذا الفرع في الاتجاه الجنوبي الشرقي نحو «عكبرا» الواقعة على الجانب الشرقي من مجرى دجلة القديم . ويمكن تتبع آثار هذا الفرع في الجانب الغربي من مجرى دجلة الحالي فهو يبدأ بالنهر القديم المسمى « خيط المنز القديم » (الخيط الكبير والخيط الصغير) ثم يتصل بالنهرين القديمين المعروفين باسمي « خيط أبي جراد » و « خيوط المجبورة » ، وهناك فرع آخر يتفرع من القورج على مسافة بضعة كيلومترات جنوباً يمكن تتبع آثاره في الجانب الغربي من مجرى دجلة الحالي أيضاً وهو يعرف باسم « خيط أهد المنصور » حيث تقع هناك تلويح الدمر . وكان يمتد هذا الفرع جنوباً باتجاه « السمديّة » الواقعة شرقي مجرى دجلة الحالي فيتصل بالنهر القديم المسمى

(١) راجع ما تقدم في صفحة ٢١٥

« خيط جلوب » وهو النهر الذي يخترق بساتين السعدية ويمتد جنوباً باتجاه المنصوريه (راجع اللوحة رقم ٣). اما منطقة الخالص الحالية، بما فيها «السندية» و« الجديدة » و« الجيزاني » و« قصيرين » و« ههب » و« اللقمانية » والبساتين الواقعة في هذه المنطقة ، فكانت تروى من الفروع التي تنشعب من مجرى القورج ، وهذه كانت تمتد حتى الضفة اليسرى لنهر دجلة القديم قرب « بصرى » و« عكبرى » . ويمكن تتبع آثار هذه الفروع على جانبي مجرى دجلة الحالي حيث تولى هناك شبكة واسعة من المجاري القديمة . وكانت آثار هذه الانهر القديمة اكثر وضوحاً عندما رسم فيليكس جونس خرائط المسح لهذه المنطقة قبل مئة سنة تقريباً . اما الآن فقد ازال المصنحات التي نصبت على جانبي مجرى دجلة الحالي خلال ربع القرن الأخير معالم معظم هذه الآثار ولا سيما بعد ان استعمل الزراع الجداول القديمة نفسها بعد اعادة حفرها لنقل مياه مصنحاتهم بها الى مزارعهم . هذا وهناك فروع رئيسية كانت تتفرع من جنوب الخالص لا تزال آثارها جلية واضحة كـ « نهر الجاث » و« نهر أبي رميل » وغيرها من الفروع التي صارت تستعمل الآن لأرواء المزارع في تلك المنطقة . وكانت هذه الفروع تخترق أراضي « المرادية » و« الخضرية » الحالية وتمتد نحو « هور الراشدية » الواقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة (١) .

وكان أعظم فروع « مجرى القورج » الفرع الخارج من الموضع الذي يعبر فيه نهر القورج دياالى الحالي ، فيسير هذا الفرع موازياً لمجرى دياالى الحالي حتى قرب محطة القطار في كاسلرست ، وقد اكتسح مجرى دياالى المذكور معظم آثار هذا الفرع وكانت تنشعب من هذا الفرع عدة تشعبات أهمها الانهر المعروفة اليوم بأنهر « خشم كودري » و« الأبر » و« الفتحة » التي تنتهي عند « تلول صريم » . ومما لا شك فيه هو أن معظم هذه الفروع كانت قبل إنشاء مجرى

القورج تتفرع من مجرى النهر وان الاصلي الذي يمتد موازياً مجرى القورج من الشمال ثم بعد أن أنشئ نهر القورج صارت تتشعب منه .

وفي ضوء ما تقدم لا عجب إذا أصبح مجرى القورج في الأدوار الاخيرة مصدر خطر على مدينة بغداد الشرقية من الفرق ، ويكفي أن نلاحظ سعة « نهر خشم كودري » وضافه الشاخمة ، وهو النهر الذي لم يكن إلا شعبة من فروع مجرى القورج ، لتكوين فكرة عن مدى عظمة هذا المشروع وكذا الفروع الاخرى التي لا تقل عن « نهر خشم كودري » حجماً وسعة .

١٠ - نهر دجيل القديم

كان يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة مقابل صدر القورج عدة أنهر رئيسية تبدأ من أمام « سد العث » وتسير هي وتشعباتها غرباً لأرواء الاراضي الواقعة غربي مجرى دجلة (الشطيطة الحالية) . ولا تزال آثار معظم هذه الانهر وضافها المرتفعة ماثلة للعيان بالقرب من « حربي » فتؤلف هناك سلسلة تلول عالية (راجع اللوحة رقم ٢) . وكان نهر دجيل أكبر هذه الانهر وأولها من الشمال فيتفرع في نقطة تقع جنوبي « تل مسعود » مباشرة فيتبع أثر النهر القديم المسمى « عرقوب النهران » مسافة حوالي خمسة كيلومترات حتى يصل الى موضع « إمام الخضر » الحالي فينقسم عند موضع الامام المذكور الى فرعين ، يسير أحدهما في الاتجاه الجنوبي الشرقي نحو قرية « سميكه » الحالية ، وهو الفرع المعروف اليوم باسم « نهر الدجيل » ، ويسير الآخر في الاتجاه الجنوبي الغربي متبعاً أثر النهر القديم المسمى اليوم « عرقوب الفرحاتية » ، وهو الفرع الذي كان يمتد وسط الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات فيمتد جنوباً حتى يصل الى جوار نهر الكصاوي الذي يتفرع من نهر الصقلاوية الحالي . وكان الفرع الاول يمتد جنوباً على موازاة ضفة دجلة الغربية حتى يصل الى قرب مدينة بغداد الغربية ، في حين أن الفرع الثاني كان يسير غربي الفرع الاول

وينتهي عند نهر الكصاوي مقابل ذنائب الفرع الاول . ويطلق الاهلون اليوم على القسم الأعلى من الفرع الثاني اسم « عرقوب الفرحاتية » وعلى القسم الباقي اسم « الاسحاقى » ، كما أن البعض يسمي هذا الفرع « جالي صرير » ، أما تسميته « الاسحاقى » فترجع الى عهد المعتصم ، لأن المعتصم لما أنشأ نهر الاسحاقى جعله ينتهي في هذا الفرع فيصب مياهه فيه (١) .

والأرجح أن نهر دجيل أنشئ بعد إقامة « سد العث » على نهر دجلة وإنشاء نهر القورج امامه على عهد كسرى انوشروان ففتح صدره من الضفة اليمنى لنهر دجلة مقابل صدر القورج ، وبذلك صار يستفيد من وجود سد العث الذي كان يرفع مناسب مياه دجلة هناك أسوة بصدر القورج الواقع في الجهة الشرقية من دجلة والذي كان يستفيد من السد أيضاً . وبعد أن تم إنشاء نهر دجيل فتحت فروع من جهته لأرواء الاراضي الواقعة على الضفة الغربية من دجلة ما بين « إمام الخضر » وبغداد ، وهي الاراضي التي كانت تروى قبل ذلك من الانهر التي كانت تنفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة جنوبي صدر دجيل (٢) .

وكان « نهر دجيل » من أهم الأنهر الرئيسية في صدر الاسلام ، وقد ازدهرت على ضفافه مدن عديدة وقرى مهمة كـ « دجيل » و « مسكن » و « حربى » وغيرها ، إلا أن بعد تحول مجرى دجلة الى الجهة الشرقية ، ذلك التحول الذي أدى الى انخفاض مناسب المياه في دجلة ، قام المستنصر بتحويل صدره شمالاً ، وهو الصدر القديم الذي يقع قرب الصدر الحالي بجوار « الاصطبلات » فوسع مجراه وفتح من ضفته اليسرى عدة فروع لأرواء الاراضي والقرى التي تركها نهر دجلة بدون ماء مثل « بلد » و « الحظيرة » و « العث » و « عكبرا » وغيرها من المدن التي كانت على الضفة الشرقية من

(١) راجع ما تقدم في صفحة ٩٧ .

(٢) راجع ما تقدم في من ١٩٤ — ١٩٦ .

عجري دجلة وأصبحت في الضفة الغربية منه بعد تحول نهر دجلة الى الشرق (١).

وقد وقع ابن سراييون، الذي كتب مقالته في أواخر القرن الثالث الهجري (٥٢٩٠ - ٩٠٣ م)، في وهم واضح بقوله إن نهر دجيل كان يستمد مياهه من نهر الفرات فيسقي ضياع (مسكن) و (قطربل) ثم يصب في دجلة بين عكبرا وبغداد، فقد قال ما نصه: «ويحمل من الفرات أيضاً نهر يقال له دجيل أوله فوق قرية الرب بفرسخ أو أكثر ثم يمر في العراض ويتفرع منه أنهار كثيرة تسقي ضياع مسكن وقطربل وما يليها من الرساتيق ويصب في دجلة بين عكبرا وبغداد.» أما الدلائل المتوفرة لدينا كلها تثبت أن نهر دجيل لم يكن قد استقى المياه من الفرات في أي دور من أدواره، والأدلة هذه هي: -

١ - إن وضع مستويات الأراضي لا يساعد على فتح نهر من الفرات من الموضع الذي ذكره ابن سراييون وتوجيهه نحو قرى مسكن، والأرجح أن النهر الذي ظن ابن سراييون أنه «نهر دجيل» هو «نهر عيسى» الذي كان يتفرع من نهر الفرات ويروي المنطقة الواقعة غربي مدينة بغداد، ولما كان «نهر دجيل» الذي يتفرع من نهر دجلة ينتهي هو وفروعه في غربي مدينة بغداد أيضاً فلم يستطع التمييز بين فروع «نهر دجيل» وفروع نهر عيسى، فأعتبر هذه الفروع كلها من نهر الفرات.

٢ - إن المدونات التاريخية كلها تؤيد أن نهر دجيل كان منذ صدر الاسلام، حتى آخر عهده في زمن المستنصر، يتفرع من نهر دجلة. وهذا الاصطخري الذي دون تاريخه بعد ابن سراييون بقليل (٥٣٤٠ - ٩٥١ م) يؤيد ما ذكره المؤرخون من قبله من أن نهر دجيل يتفرع من نهر دجلة، فقد جاء في كتابه «مسالك الممالك» ص ٧٧ - ٧٨ ما نصه: «وأسفل من تكريت فوهة نهر دجيل الذي يأخذ من دجلة فيتمعر عليه قطعة كبيرة من سواد بغداد حتى يقاربها.»

(١) راجع البحث التالي الخاص بدجيل المستنصر في الفصل الحادي عشر.

٣ - إن ابن سراييون المؤرخ الوحيد الذي يذكر أن نهر دجيل يأخذ من الفرات ولم يؤيده بذلك أحد من المؤرخين المعاصرين له . والغريب أن بعض الاوربيين سلموا بقول ابن سراييون دون أن يتثبتوا من صحته أو عدمها .

١١ - ملاحظات اجمالية

يتضح مما تقدم أن مشروع النهروان قد شهد في هذا الدور مقاماً لا بأس به من التوسع والازدهار ، فالقاطول الأعلى الذي يتفرع من قرب الدور كان يروي الاراضي العليا الواقعة بينه وبين مجرى دجلة القديم ، كما أن نهر القورج الذي يتفرع عند العلت كان يروي الاراضي الوسطى والسفلى الواقعة على النهروان التي تمتد بين العظيم والكوت ، وهذا ما يدل على أن هذين المجريين كانا يسحبان أكثر المياه الصيفية التي في نهر دجلة فيرويان تلك الاراضي الواسعة . أما في موسم الفيضان فكانت المجاري الثلاثة أي « القاطول الاعلى » و « القاطول الاسفل » (مجرى القائم) و « القورج » تسحب مياهها من نهر دجلة فتخفف عن وطأة فيضان النهر الى حد كبير، إلا أنها كانت من الجهة الاخرى تهدد المزارع السفلى الواطئة بالفرق . هذا ما يتعلق بالضفة الشرقية من نهر دجلة، أما ما يتعلق بالضفة الغربية فسكان نهر دجيل يسحب المياه من أمام صدر القورج فيروي هو وفروعه أراضي الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات التي تمتد بين « العلت » و « بغداد » . وبفضل السد الذي كان على مجرى دجلة في العلت كان يرتفع منسوب المياه أمام صدر القورج ودجيل فيضمن دخول المياه الصيفية إليها بمناسيب عالية .

وقد بقيت هذه الحال على هذا المنوال في صدر الاسلام فقام العرب بصيانة المشاريع التي أنشئت من قبل وأضافوا إليها تحسينات عدة فأنشأوا القرى والمزارع العربية وشقوا فروعاً جديدة حتى بلغ العمران الزراعي ذروته في العهد العباسي الزاهر .

الفصل الرابع

النهر واث في العهد الاسلامي

[قاصول الرشيد]

١ - تمهيد

ننتقل الآن الى الدور الاسلامي العربي ، وهو الدور الذي يهمننا بصورة خاصة ، لما له من صلة بمدينة سامراء العباسية ، وبمشاريعها العمرانية .

يمتاز هذا الدور بتوفر بعض المعلومات التاريخية التي دونها المؤرخون وجغرافيو العرب عنه، ويمكن الاستعانة بهذه المعلومات لاستكمال تحقيقاتنا عن الوضع الذي كان عليه « النهر واث » في هذا الدور . لقد وجد العرب بعد استيلائهم على العراق تنظيمات الري التي كان أسسها الساسانيون من قبلهم قد أصابها بعض الشلل والانحطاط نتيجة العوامل الطبيعية كالفيضان العظيم الذي حدث في سنة ٦٢٩ الميلادية ، ثم العوامل السياسية وهي تضعف دولاب الحكم الساساني وتغلغل الفوضى والفساد في قلب مملكة ساسان في عهدها الاخير ، وأخيراً العوامل العسكرية ، وهي ظروف الحرب بين الرومان والفرس أولاً ثم ظروف الحرب بين العرب والفرس قبيل الفتح الاسلامي ، الظروف التي عرقلت استمرار الجهود الزراعي في البلاد نتيجة إهمال أعمال السدود والتطهيرات وغيرها من الاعمال الضرورية لصيانة مشاريع الري من الاضمحلال والتدهور . ولكن ما كاد يستتب الأمن ويستقر الحكم للعرب حتى أخذوا يهتمون بأعمال الري حفاظوا على الاعمال التي كان أنشأها الفرس من قبلهم ، ثم زادوا فيها فشقوا جداول جديدة وأقاموا على ضفافها المدن والقرى وبدلوا جهوداً جبارة في سبيل توسيع المشاريع القديمة وإحيائها .

٢ - مشروع الرشيد - «نهر أبي الجندر»

ومن أهم المشاريع العمرانية التي أثارها العرب عنايتهم «مشروع النهران»
 فهناك ما يؤيد أنهم بذلوا قصارى جهدهم لصيانة السدود الرئيسية التي كان أقامها
 أسلافهم على «مجرى العظيم» وعلى «نهر ديبالي» وعلى «دجلة»^(١)، كما أن
 هناك ما يدل على أن المشكلة التي نشأت من جراء فتح «نهر القورج»، وهو
 النهر الذي أنشأه كسرى ليحل محل «القاطول الاسفل» (مجرى القائم) والذي
 صار يهدد الأراضي الواطئة التي على النهران الاسفل بالغرق في موسم الفيضان،
 قد عولجت نهائياً على عهد الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ = ٧٨٦-٨٠٦ م)، حيث
 كانت مدينة بغداد الشرقية من ضمن حدود تلك الأراضي المهتدة بالغرق من
 نهر القورج. ويظهر أن الخبراء قد اشاروا على الرشيد أن حل مشكلة القورج
 لا يتم إلا بترك «نهر القورج» نفسه والرجوع الى مجرى القسائم (القاطول
 الاسفل) الذي يقع صدره في مكان مرتفع وأرض حجرية تجعل رقبتى الصدر
 محصنتين بالصخور الطبيعية مما يسهل ضبط مياها الفيضان في فوهة النهر، على
 عكس ما هي الحال في صدر «نهر القورج» الذي يقع في منطقة ترابية واطئة
 تجعل عملية ضبط مياها الفيضان فيه من أصعب الامور. وقد أخذ الرشيد بهذا
 الرأي فترك مجرى القورج نهائياً وسد صدره بعد أن أعاد حفر القاطول
 الاسفل (مجرى القائم) الذي سماه في هذه المرة «نهر ابي الجندر» لكثرة ما كان
 يسقي من الارضين لأرزاق جنده، وقد أعاد في الوقت نفسه فتح المجرى الاسفل
 الذي يأخذ من عند الصنم لاستعماله في موسم الفيضان، كما كانت عليه الحال من
 قبل، وكان نتيجة ذلك أن عاد مجرى القائم الذي سمي الآن بأسم ابي الجندر الى
 عمرانه القديم فازدهرت فيه القرى والضياع من جديد بعد أن هجر الاهلون
 معظمها على أثر حفر مجرى القورج في زمن كسرى واتخاذ مجرى رئيسياً

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذه السدود في الفصل الثاني، ص ١٥٩ و ١٦٢ و ١٦٧.

للنهر وان بدلا من مجرى القائم . ومن جملة المدن التي ازدهرت على « مجرى أبي الجند » الجديد في هذا العهد المدينة المعروفة بأسم « طفر » ، ومما ذكره ابن سرايون عن « نهر أبي الجند » وعن مدينة « طفر » قوله : « أبو الجند يمر بين ضياع وقرى ويتفرع منه انهار تسقي الضياع التي على شاطئه . دجلة الشري ويصب أكثرها الى دجلة ثم يمر الى طفر^(١) وعليه هناك جسر ثم يمر في القاطول الكسروي فوق صولى بأربعة فراسخ » .

٣ - مجرى القورج وغرق مريضة بفراد الشرفية

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد هو أن « مجرى القورج » بقي مصدر خطر على بغداد من الفرق على الرغم من سد صدره على عهد الرشيد وإعادة إحياء مجرى القائم الاصلى مكانه ، فقد تقل لنا المؤرخون عدة حوادث تتعلق بفرق بغداد الشرقية بسبب انبثاق السد الذي في صدر القورج . قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٤٦٦ هـ . (١٠٧٣ م .) : « في هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي في بغداد وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزوية^(٢) وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح

(١) لقد جاء ذكر مدينة طفر في معجم ياقوت وفي المراد وقد كانت مهجورة في زمنهما ، فذكر ياقوت وابن عبدالحق أن طفر « قاع موحش بين بعقوبا ودقوقاه (مدينة دقوقاه هي طاووق الحالية الواقعة على طاووق جاي) من اعمال راذان ليس به ماء ولا سرعى ولا أثر طارق » . أما موقع مدينة طفر هذه وجسرها على مجرى أبي الجند فن المحتمل أن الأطلال المعروفة اليوم باسم « تلؤل الحربية » الواقعة داخل الزاوية التي يشكها ملتقى مجرى القائم بمجرى الصنم هي أطلال مدينة طفر ، وهذه تحاذي ضفة مجرى الصنم اليسرى من جهة وضفة مجرى القائم اليمنى من الجهة الأخرى ، وتقع شمالى الخان القديم المعروف اليوم باسم « خان صماوية » . وهذا هو الخان الذي سماه بيليكس جونز في سنة ١٨٤٠ « خان المزرقي » . أما نهر الصنم ومجرى القائم فقد اندرست ماملهما في هذا القسم .

(٢) سميت هذه المسناة بالمعزوية نسبة الى منشئها من الدولة البويهية (٣٢٠ - ٥٣٥٦) .

شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البلايين والآبار بالجانب الشرقي وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التساج خوف الفرق وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وييده القضيب . « وهناك حادثة ثانية ذكرها ابن الجوزي في كتاب « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » فقال ما نصه : « وفي ثامن عشر ربيع الاول من سنة ٥٥٤هـ . (١١٥٩ م .) كثر المد بدجلة وخرق القورج وأقبل الى البلد فامتلات الصحاري وخذق السور وأفسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر ربيع فوقع بعض السور عليها فسد بها ثم فتح الماء فتحة اخرى فأهملوها ظناً أنها تنفس عن السور لثلا يقع فغلب الماء وتعذر سده ففرق قراح ظفر والاجة والمختارة والمقتدية ودرّب القيار وخرابة ابن جردة والرياب وقراح القاضي وبعض القطيعة وبعض باب الأزج وبعض المامونية وقراح أبي الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفيرة ودرّب الماء تحت الارض الى أماكن فوقعت . قال المصنف وخرجت من داري بدرّب القيار يوم الاحد وقت الضحى فدخل اليها الماء وقت الظهر فلما كانت العصر وقعت الدور كلها وأخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص الماء يوم الاثنين وسدت الثلمة وتهدم السور وبقي الماء الذي في داخل البلد يدب في المحال الى أن وصل بعض درب الشاكرية ودرّب المطبخ وجئت بعد يومين الى درب القيار فارت حائطاً قائماً ولم يعرف أحد موضع داره إلا بالتخمين وإنما السكل تلال فاستدللنا على دربنا بمنارة المسجد فأنها لم تقع وغرقت مقبرة الامام احمد وغيرها من الاماكن والمقابر

== وقد أقيمت حوالي القصور البويهية في الجهة الشمالية الشرقية للشمالية على محاذاة سهل الشماسية الواطي . لمنع تأثير فيضان نهر القورج . وكانت تعرف هذه المسناة باسم « مسناة سهل الشماسية » ثم سميت « المعزية » ، والظاهر أن آثار المسناة بقيت الى عهد ياقوت حيث ذكر في مادة « الشماسية » أن أثرها باق على حين أن باقي الهلة (الشماسية) كله صحراء موحشة يتخطف فيها المصوص نياح الناس .

والخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على رأس المساء واسكر المشهد والحربية وكانت آية عجيبة ثم إن الماء عاد فزاد عشرين يوماً فنقض سد القورج فعمل فيه أياماً . « وقريب من هذا ما ذكره ابن العربي عن الفيضان المذكور فقال: « وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في دجلة وخرج القورج فوق بغداد فامتلت الصحاري وخذق البلاد ووقع بعض السور ففرق بعض القطيعة وباب الازج والمأمونية ودب الماء تحت الارض الى أماكن فوقعت وأخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة عدة دنائير ولم يكن يقدر عليها . ثم نقص الماء فكثرت الخراب وبقيت المحال لا تعرف وإنما هي تلول فأخذ الناس حدود دورهم بالتخمين . »

ويعتقد لي سترانج أن « نهر القورج » كان يسير في اتجاه النهر المعروف سابقاً بـ « نهر الفضل » وهو النهر الوارد وصفه في ابن سريون (١) ، والأصح أن يقال أن « نهر الفضل » كان قبل فتح « نهر القورج » فرعاً من النهر وان ينتهي الى مدينة بغداد الشرقية ، ثم صار فرعاً من « نهر القورج » بعد أن فتح نهر القورج من دجلة في جنوبي صدر نهر القائم ، وعاد فرجع فرعاً من النهر وان كما كان بالأصل على أثر سد نهر القورج وإعادة فتح نهر القائم القديم على عهد الرشيد .

٤ - مجرى القورج ونحو مجرى دجلة

يظهر من مجرى التطورات التي اعتورت حوض دجلة ان مجرى القورج كان السبب المباشر في تحول نهر دجلة الرئيسي في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي من مجراه الغربي العالمي الى العقيق الشرقي الواطي ، لان مجرى القورج

(١) حول « نهر الفضل » راجع البحث الذي يلي عن « نهر مدينة بغداد الشرقية » في الفصل التاسع (مادة ٩) .

علاوة على وقوعه في أراضي منخفضة فإنه كان يتفرع من مجرى دجلة الغربي القديم بمناييب عالية ، ثم ان السد الذي انشيء في « العث » لتحويل المياه الصيفية الى « نهر القورج » سبب زيادة ارتفاع مناسيب مياه الفيضان أمام السد الامر الذي ادى بالنتيجة الى تحول مياه دجلة كلها الى جهة مجرى القورج واحتلالها ذلك المجرى .

ويلاحظ انه على الرغم من الهبوط الذي حصل في « مجرى نهر دجلة » بعد تحوله الى جهة الشرق فقد بقي « مجرى القورج » يهدد مدينة بغداد الشرقية بالفرق ، ذلك لان مجرى دجلة لم يحتل من « مجرى القورج » غير القسم الواقع في الصدر ، إذ تجده بعد ان يسير في « مجرى القورج » مسافة حوالي خمسين كيلومتراً ينحرف عن « نهر القورج » في المكان المسمى « هور الدغارة » - وهو الهور الذي صارت تتجمع فيه مياه دجلة - فيتركه في شرقيه وينحدر الى الجنوب نحو « السندية » و « السعدية » و « المنصورية » . وهكذا صارت المياه بعد تحول مجرى دجلة الى الشرق تتسرب الى القورج من « هور الدغارة » اواقع في شمالي الخالص ، وهو المكان الذي يترك فيه مجرى دجلة نهر القورج (راجع اللوحة رقم ٣) . ومن الحوادث المتعلقة بفرق مدينة بغداد الشرقية بسبب تسرب المياه الى مجرى القورج من قرب « هور الدغارة » المذكور حوادث سني ٦١٤ و ٦٤٦ و ٦٥٤ هـ .

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٤ (٩٢١٧ م) : « وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد في قديم الزمان مثلها واشرفت بغداد على الفرق فركب الوزير وكافة الامراء والاعيان وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعابنوا الهلاك واعدوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل وكان مما قال لهم لو كان يهدى ما أرى بال أو غيره لعلنا ولو دفع بحرب لعلنا لسكن أمر الله لا يرد ونبع

الماء من البلايع والآبار من الجانب الشرقي وغرق كثير منه وغرق مشهد أبي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقربة الملكية والسكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان .

أما حادثة غرق سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م) فقد وصفها ابن الفوطي في كتابه « الحوادث الجامعة » بقوله : « وفي شوال من سنة ٦٤٦ هـ تواترت الغيوث فأدت الى غرق المدن والقرى وزادت الزابات بشكل مخيف إلا ان مع ذلك لم تبلغ الزيادة في دجلة تلك التي كانت سنة ٦١٤ » . وبعد ان وصف الاضرار والتخريبات التي أحدثتها هذه الزيادة في بغداد القريبة انتقل الى البحث عن غرق جانب المدينة الشرقي فقال : « وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السور من مساكن كانت استجدت منذ أيام الخليفة المستنصر بالله ، وبولغ في عمارتها ، وكان بها اسواق مادة ، وهمامات وبساتين مثمرة ، حتى كادت تشبه حاضر حلب أو سوق التريكان بالموصل ، كان ذلك مما يلي سوق العجم ، واجتمع بها خلق كثير من الزعماء والاجناد ، فهدم الماء معظم ذلك وتلف من الامتعة والغلات شيء كثير ، ونبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن دار سنقر جازعيم خوزستان المجاورة للمستنصرية ، ومن مسجد الحظائر المعروف بأمر الناصر المجاور لهذه الدار ، وامتلاأت الطريق وامتنع الناس من الجواز الى هناك من باب سوق المدرسة الى باب مشرعة الابريين ، وكان من حيث تزايد الماء في دجلة تقدم بأحكام القورج ، وخرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي الى هناك ونزل عن فرسه وهمل باقة حطب فوافقه كافة الناس ، واشتد العمل ، فاتفق ان دجلة نقصت ثم زادت في ذي الحجة ، زيادة مفرطة أعظم من الاولى ، فانفتحت في القورج فتحة ، وصاحب الديوان فجر الدين بن الدامغاني هناك فنجا بنفسه مسرعاً ودخل البلد ، وانفتحت اخرى الى جانب دار المسناة واحاط الماء ببغداد ، وكلت الهواء شديداً فهدم من السور الآخر عدة ابراج وخرج من سراي النشاب ، فاحكت هذه المواضع ، وهدم السور الطيني وأخذ ترابه ، لأجل ذلك ،

فأخذ الماء في النقيصة بعد ذلك بأيام بعد ان خرج من باب الغربية ، فرمى ما بين يديه من الحيطان والخانات ، وغشى رباط شيخ الشيوخ وما يجاوره ، ودخل درب السلسلة فلم يبق به داراً إلا هدمها ، ولم يتمكن أحد من أهل هذه المواضع من نقل شيء مما لهم بها ، بل نجوا بأنفسهم ووقعت الدور على ما فيها ، ووصل الى البدرية ودار الخليفة والريحانيين ودار الوزير وباب العامة ، وتعذر سلوك هذه الاماكن وانهدمت الدور الشطانيات بأسرها وسوق المدرسة ودرب المسعود ، وأقام الماء في المدرسة النظامية ستة أذرع وغرقت محلة الرصافة ، ووقع اكثر دورها وسورها وغشى قبور الخلفاء رضوان الله عليهم ، وهدم مشهد عبيد الله ورباط الاصحاب المجاور له (١) .

وقد وصف ابن الفوطي حادثة غرق سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) ايضاً فقال :
 في هذه السنة ، زادت دجلة زيادة عظيمة ، وانفتح في القورج فتحة كبيرة عجز من يتولاه عن استدرائها ، فركب الوزير وكافة الولاة معه ، وأخذ الوزير في يده باقة شوك ، ففعل سائر العالم مثل ذلك ، ولم يقع التمكن من سدها فتركت ، وانهمز الناس كلهم والماء في أثرهم فأحاط ببغداد ، وغرق الجانبين منها ، وهدم دوراً كثيرة بالحريم والمشهد وتلك المحال ، وامتلات اسواق الجانب الشرقي ، وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ والآبار والبلايع وامتلات دار الخليفة كلها ما عدا (الدار الشاطئية) فانتقل من بها الى الغرف والسطوح ، وتعذر الوصول الى دار الخليفة إلا في سفينة أو سباحة ، ونقل من كان من انساب الخليفة محبوساً في دار الشجرة ودار الصخر الى ديوان الزمام ، وانتقل الوزير من داره الى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار ، ثم دخل الماء الى ديوان الزمام وليس له درج ، فصار من بها واقفاً وبلغ الماء الى صدره ، وكل من له ولد صغير حمله على كتفه ، وهم يستغيثون ويضعجون ، فحولوا الى الحلبة وقد ذهب كل

(١) «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة» لأبن الفوطي من ٢٢٩ - ٢٣٤

ما كان عندهم، وضربت لهم الخيم بها وكانت السفن والاكلاك تسير في الريحانيين حتى تصل الى باب العامة، ونحو كل من كان ساكناً في محال دار الخليفة، وتلف من الناس شيء كثير، وكان علو الماء في المدرسة النظامية زيادة على اربعة اذرع... وخلت محال دار الخليفة ومعظم محال بغداد من ساكن، ووقعت دور كثيرة في سائر المحال، وخلت الديار وتعتت الديار وصار في النظر اليها اعتبار، ووقع ربط الزوزني والحائط الشطاني من جامع نهر الدولة بن المطلب، وتداعى اكثره، وصلى الناس عدة جمع في المدرسة المستنصرية، وكان الناس يحضرون بالسفن فامتلائت المدرسة وغلقت بابها واتصلت الصفوف في السفن من باب المستنصرية الى سوق المدرسة والى آخره، وصلى أهل باب الازج في مصلى العبيد بعقد الحلبة، وسقطت نصف مسناة مسجد قرية، فعمل له سكر من خشب وطرفاء، فما زاد على ذلك الى ان عمره الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني سنة سبع وستين وستمائة، وزاد الفرات أيضاً ففرقت عانة والحديثة، وهيت، والحلة وغيرها، وانفتح قبين فغرق دجيل ونهر عيسى ونهر الملك، واتلف زروعا كثيرة^(١).

٥ - مشروع إعادة نهر القائم (نهر ابى الجندر)

نعود الآن الى قاطول الرشيد (نهر ابى الجندر)، وهو مجرى القائم الأصلي الذي قرر الرشيد إعادة استعماله كمجرى صيفي للنهر وان بدلاً من القورج، فنقول: إن المجرى المذكور كان مليئاً بالأتربة والاطيان عند ما باشر الرشيد بإعادة حفره، بالنظر لتراكم كميات هائلة من ترسبات الطمي في قعره، ولا سيما وقد أهمل خلال الفترة الطويلة التي حل فيها مجرى القورج محله، لأن المياه التي كانت تدخل اليه خلال هذه الفترة كانت مقتصرة على ميساه الفيضان العالية المشحونة بالطين والدهلة الأمر الذي أدى الى إندراسه من جراء تراكم الترسبات الكثيرة

(١) الحوادث الجامعة لأبن النوطي ص ٣١٧ - ٣١٩

فيه . ولم تكن عملية تطهير النهر من هذه الاطيان من الامور الهينة إذا لاحظنا أن ارتفاع الضفاف هناك يربو على عشرة امتار في معظم اقسامه ، إلا أن الرشيد تغاب على هذه الصعوبات بعزمه ومواظبته على انجاز هذا المشروع الذي يحقق له صيانة عاصمته (بغداد) من العرق . ويلاحظ أن الاتربة التي رفعت من قعر « نهر القائم » وضعت كلها على حافة النهر الغربية ، ويكفي أن نشاهد التلويح العالية التي تكوّنت من هذه الأتربة وهي تمتد على طول الضفة اليمنى لجرى القائم لتصور مقدار كميات الأتربة الهائلة التي رفعت من قعر النهر في هذا الدور .

٦ - قصر الرشيد والمعتم على القاطول

وصف لنا المؤرخون العرب مشروع الرشيد ، وهو يشتمل على إعادة حفر مجرى القائم وانشاء قصر عليه ، ثم ذكروا أيضاً أن المعتم لما اعتمز نقل عاصمته الى خارج بغداد اتجهت نيته في اول الأمر الى انشاء عاصمته الجديدة في منطقة « قاطول الرشيد » ، فبنى بناء فيه ثم عاد فعدل عنه منتقلاً الى الموضع الذي تقع فيه سامراء فأسس عاصمته فيه . فقد ذكر ياقوت في مادة « القاطول » من معجمه أن القاطول « نهر كأنه مقطوع من دجلة وهو نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمّر وكان الرشيد اول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرأ سماه ابا الجند لسكثرة ما كان يسقي من الارضين وجعله لأرزاق جنده ، وقيل بسامراء (ان المعتم)^(١) بنى عليه بناء دفعه الى اشناس التركي مولاه ثم انتقل الى سامراء ونقل اليها الناس كما ذكرنا في سامراء ... وفوق هذا القاطول القاطول الكسروي حفره كسرى انوشروان العادل يأخذ من جانب دجلة في الجانب الشرقي أيضاً وعليه شاذروان فوقه^(٢) يسقي رستاقتاً بين النهرين

(١) جاء النص خالياً من كلمة (معتم) ولعل ذلك من خطأ الناسخ .

(٢) ان الشاذروان الذي يتصدده هو الناظم القاطمي الواقع عند الكيلومتر (٣٠) من

جرى القاطول الكسروي والذي يميل الى الاعتقاد أنه انتهى على عهد المتوكل =

(ويهضد بذلك القاطولين القاطول الأعلى الكسروي وقاطول الرشيد الأسفل -
 ابا الجند) من طسوج بزرجسابور^(١) وحفر بعده الرشيد هذا القاطول الذي
 قدمنا ذكره تحته مما يلي سامراء^(٢) وهو أيضاً يصب في النهر وان تحت
 الشاذروان ... »

ويستدل من وصف ياقوت هذا أن الرشيد اول من حفر القاطول (نهر ابي
 الجند) ، غير أن ابن عبدالحق صحح كلام ياقوت في كتابه « المرصد » فقال :
 « إن القاطول نهر كان في موضع سامراء قبل ان يعمّر حفره الرشيد الخ ... »
 وأثبت دليل على صحة ما صححه ابن عبدالحق في هذا الصدد ما نشاهده اليوم
 من آثار الحفر الجديد الذي قام به الرشيد ، فتدلنا هذه الآثار على أن الأتربة
 الناتجة من هذا الحفر وضعت كلها على الجانب الايمن من النهر وعلى بعد بضعة
 امتار من الحافة الأصلية وهي تشكل الآن سلسلة تلال عالية تمتد بموازاة الضفة
 الاصلية على طول النهر .

وقد كرّر ياقوت في مادة سامراء ما ذكره في مادة القاطول عن حفر الرشيد
 لهذا النهر قال : « وكان الرشيد حفر نهرأ عند سامراء سماه القاطول وآتى الجند

== لايصال المياه الى الاراضي الكائنة بين القاطولين (القاطول الأعلى والقاطول الأسفل) ،
 وهي الأراضي التي كان يقع فيها حير المتوكل للحيوانات وسيأتي البحث عنه فيما بعد
 (راجع البحث النسالي الخاص بحير المتوكل للوحوش وبركة البحري في الفصائل
 السادس والصابم كذلك ما تقدم في ص ١٤١ و ١٥٤) .

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذه المنطقة في صفحة ١٨٢ والبحث الذي يلي في الفصل
 التاسع (مادة ٢)

(٢) جاءت في النص « بفداد » وهذا ما جعل ابن عبدالحق يبدي استغرابه لقول ياقوت (أي
 قوله « مما يلي بفداد ») بعد أن ذكر في مقدمة كلامه أن النهر الذي حفره الرشيد يقع
 في موضع سامراء ، ويضيف ابن عبدالحق الى ذلك شارحاً بأن النهر الذي في جوار
 بفداد يأخذ من النهر وان تحت نهر الخالص ويصل ماؤه الى باب بفداد وهو نهر
 كاواذي (راجع مادة القاطول في المرصد) .

وبني عنده قصر أنتم بني المعتصم أيضاً هناك قصرأ ووهبه لمولاه اشناس فلما ضاقت بغداد عن عساكره وأراد استحداث مدينة كان هذا الموضوع على خاطره فجاءه وبني عنده سر من رأى . وتطرق البلاذري الى قصر الرشيد على القاطول والبناء الذي أقامه المعتصم هناك قبل أن يستقر رأيه على موقع سامراء قال : - « ونزل مدينة السلام أمير المؤمنين المعتصم بالله ثم شخص عنها الى القاطول فنزل قصر الرشيد كان ابتناه حين حفر قاطوله الذي دعاه ابا الجنيد لقيام ما يستقي من الارضين بأرزاق جنده ، ثم بنى بالقاطول بناء نزله ودفع ذلك القصر الى اشناس التركي مولاه وهم بتمصير ما هناك وابتدأ ببناء مدينة تركها ثم رأى تمصير سر من رأى فصرها ونقل الناس اليها وأقام بها . » ويحسن بنا أن ندون هنا ما كتبه المؤرخون الآخرون في هذا الموضوع ، فقد جاء في البلدان للياقوت « إن المعتصم عزم ان يترك بغداد فبنى بالشماسية خارج بغداد فضاقت عليه ارض ذلك الموضوع وكره ايضاً قربها من بغداد^(١) فضى الى

(١) الشماسية محلة من محلات مدينة بغداد الشرقية تقع في أقصى الشمال من الجهة الشرقية من محلة الرصافة ، وكانت تفصلها عن محلة الرصافة الطريق الشمالية الكبير التي تنحرف عند رأس الجسر الكبير متجهة نحو الموصل . وكانت هذه الطريق تخرج من بغداد الشرقية من الباب التي كانت تدعى باب الشماسية والواقعة في الطرف الشمالي الغربي لسور المدينة الذي يحيط بمحلة الشماسية ، وكانت تعرف هذه الطريق في القسم الأسفل بطريق الجسر ويسمى القسم الأعلى قرب باب الشماسية درب نهر المهدي ، نسبة الى النهر الذي كان يجري مجازاته ، (حول نهر المهدي راجع البحث عن أنهر مدينة بغداد الشرقية في الفصل الثامن من الكتاب) . ويخترق الطريق التي بين القسم الأعلى والقسم الأسفل الموضوع المسمى « الدور » ويصفه ياقوت بأنه لا يبعد كثيراً عن مشهد أبي حنيفة . وفي عهد هرون الرشيد بنى جعفر البرمكي قبيل أن يمضي بالعمارة الفخيمة قصرأ في الدور ولسكن لم يتمكن الظروف قضاء حياته فيه . وقد اتخذت الشماسية مركزاً للتصور البويهية على عهد البويهيين (راجع كتاب لي سترايخ « بغداد في عهد الخلافة العباسية » .) وقد كتب ياقوت في صفة الشماسية قال : - « هي مجاورة لدار الروم التي في أعلا مدينة بغداد واليهما ينسب باب الشماسية وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه وفرغ منها في =

البردان^(١) في سنة ٢٢١ وأقام بالبردان أياماً واحضر المهندسين ثم لم يرض الموضوع فصار الى موضع يقال له باحشا^(٢) من الجانب الشرقي من دجلة فقدر هناك مدينة على دجلة وطلب موضعاً يحفر فيه نهراً فلم يجده فنفذ الى القرية المعروفة بالحظيرة^(٣) فأقام بها مدة ثم مد الى القاطول فقال هذا اصالح المواضع فصير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول فأبتدأ البناء واقطع القواد والكتاب والناس فبنوا حتى ارتفع البناء واختمت الاسواق على القاطول وعلى دجلة وسكن هو في بعض ما بني له وسكن بعض الناس ايضاً ثم قال ارض القاطول غير طائفة وإنما هي حصاً وافهار والبناء بها صعب جداً وليس لأرضها سعة ثم ركب متصيداً فر في مسيره حتى صار الى موضع سر من رأى . « وقد جاء في السكامل لابن الأثير ايضاً : « إن مسرور الكبير قال سألتني المعتصم ابن كان الرشيد يتنزه إذا ضجر ببغداد قلت بالقاطول وكان قد بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم وكان قد خاف من الجند ما خاف المعتصم ، فلما وثب أهل الشام وعصوا خرج الى الرقة فأقام بها وبقيت مدينة القاطول لم تستم . » ويظهر مما دونه ياقوت في مادة سامراء ان الرشيد لما اعاد

== سنة ٣٠٥ وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر الف الف درهم ومسناته باق أنرها وبقي الحلة كله صحراء موحشة يتخطف فيها اللصوص نياح الناس وهي أعلا من الرصافة حلة أبي حنيفة . »

(١) حول قرية « البردان » راجع ما تقدم في صفحة ١٨٨ .

(٢) حول قرية « باحشا » راجع ما تقدم في صفحة ١٨٦ .

(٣) جاءت في النص « الحظيرة » ولا شك أن ذلك من خطأ الناسخ لأننا نعلم أن الحظيرة تقع بين القادسية وسامراء وقد أجمع كل المؤرخين العرب على ذلك ، ثم أن القرية التي تلي « باحشا » من الشمال هي « الحظيرة » وهذه تقع على الضفة الشرقية من بحرى دجلة القديم أيضاً ، وان موضعها الأصلي لا يزال يعرف باسم « الحظيرة » ويقع جنوبي بساتين بلد الحماية عند النزل المعروف باسم « تل ابي كزيب » . (راجع البحث الذي تقدم عن الحظيرة في ص ٥٩ - ٦١ والبحث عن الحظيرة في صفحة ١٨٥ .

حفر « نهر القائم » (نهر ابي الجند) كان ينوي بناء سامراء إلا انه اكتفى ببناء قصر هناك فقط ، فقال نقلاً عن ابراهيم الجنيدي « ان الرشيد اراد بناء سامراء فبنى بجذائها قصرأ وهو بازاء اثر عظيم كان للاكسرة تم بناها المعتمص ونزلها في سنة ٢٢١ هـ . »

ولندون أخيراً ما كتبه المسعودي في كتابه « مروج الذهب » حول هذا الموضوع وهذا نص كلامه : « فعزم المعتمص على النقلة من الاتراك وان ينزل في فضاء من الارض فنزل (البردان) (١) على اربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواها ولا اتسع له هواؤها فلم يزل ينتقل ويتقرى المواضع والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى بالقاطول ، فاستطاب الموضع ، وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذاً من دجلة فبنى هناك قصرأ وبني الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخت من السكان: إلا اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين في ذلك معيراً للمعتمص بانتقاله عنهم : « أيا ساكن القاطول بين الجرامقة (٢) تركت ببغداد الكباش البطارقة . »

وقد أضاف المسعودي الى ذلك قائلاً : « ونالت من المعتمص شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة ارضه وتأذوا ليالي في ذلك يقول بعض من كان في الجيش : « قالوا لنا إن بالقاطول مشتاتا فنحن نأمل صنع الله مولانا »

« الناس يأتمرون الرأي بينهم والله في كل يوم يحدث شأننا »

« ولما تأذى المعتمص بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فأنهى الى موضع سامراء . »

(١) جاءت في النص (الراذان) ولا شك أن ذلك من خطأ الناسخ لأن الوصف ينطبق على (البردان) .

(٢) توجد حتى الآن جماعة من الاعراب في منطقة سامراء تسمى الجرامقة وهؤلاء يقطنون في الوقت الحاضر في قلعة سامراء على الجانب الغربي من بحري دجلة الحالي وقد اندمجوا بمشيرة ابو عباس ، وقول ابن العربي في الجرامقة انهم قوم بالوصل أصلهم من الفرس .

نستخلص مما تقدم انه لما قام الرشيد بحفر القاطول ، الذي سماه « أبا الجند » ، انشأ قصرأ عليه كما انه شرع في انشاء مدينة هناك لأسكان جنوده فيها إلا انه لم يتم انشاؤها، وكذلك نستخلص ان المعتصم قبل ان ينتقل الى سامراء نزل قصر الرشيد الذي على القاطول ، وفي الوقت نفسه بنى هناك قصرأ ووهب ذلك القصر الى مولاه أشناس ، كما انه بنى عند القرية التي كان يسكنها خلق من الجرامنة والنبط مدينة على دجلة وعلى ضفتي القاطول (قاطول الرشيد أو مجرى القائم) واقطع القواد والكتاب والناس هناك ثم اختط الاسواق على القاطول وعلى دجلة وسكن والناس في بعض ما بنى ، غير انه وجد ان الارض متكونة من حصي وانهار فضلاً عن انها غير قابلة لتوسع المدينة فيها فعدل عنها واختار موضع سامراء محلها . فأين يجب ان يكون قصر الرشيد واين موضع المدينة التي شرع الرشيد في انشاها لأسكان جنده فيها ولكن لم يتم بناؤها ؟ ... ثم اين قد يكون القصر الذي أقامه المعتصم هناك وهو القصر الذي وهبه الى اشناس ؟ واين المدينة التي شرع المعتصم في انشاها على جانبي القاطول وعلى الضفة نهر دجلة فاختط فيها الاسواق وقطاع القواد والكتاب وغيرهم ولكنه عدل عنها حتى صار الى موضع سر من رأى ؟... هذه هي من جملة المنشئات في منطقة سامراء التي لم تعين اما كنها بعد والتي لم يشعبها المحققون بحثاً بل لم يتطرق اليها الباحثون إلا عرضاً .

٧ - موقع قصر الرشيد - « اطوار المسرحات »

اما القصر الذي انشأه الرشيد على قاطوله والمدينة التي شرع في انشاها هناك ولم تتم فالتنا نميل الى الاعتقاد بأنهما يقعان في المسكان المعروف بأسم « المسرحات » ، وهذا يقع في شمال شرقي سور القادسية^(١) على الضفة اليسرى

(١) حول سور القادسية المذكور راجع ما تقدم في ص ١٤٩ - ١٥١ والبحث التالي الخاص بسور القادسية في هذا الفصل .

لمجرى القائم (نهر أبي الجند) وعلى بعد ستة كيلومترات تقريباً من صدر المجرى المذكور. ويمكن الوصول الى موقع «المشحات» هذا من سامراء بأتباع طريق الضلوعية الذي يسير في الاتجاه الجنوبي الشرقي ثم بعد الوصول الى «بئر المعجم» الواقعة على مسافة ثلاثة عشر كيلومتراً من سامراء الانحراف عن الطريق العام والنزول الى الجنوب حيث تقع «خرائب المشحات» على بعد اربعة كيلومترات من «بئر المعجم». وترتفع «تلول المشحات» هذه الى اكثر من اربعة امتار عن سطح الارض ويمكن مشاهدتها من «بئر المعجم» والاتجاه نحوها بدون أية صعوبة.

اما دليلنا على ان القصر الذي انشأه الرشيد على القاطول والمدينة التي شرع في انشائها هناك يقعان في موضع «المشحات» المتقدم ذكره هو انه لا يوجد موضع آخر في هذه المنطقة ينطبق عليه الوصف الذي دونه المؤرخون عن القصر والمدينة، فقد عين المؤرخون موضع القصر والمدينة على القاطول أو نهر أبي الجند المسمى حالياً نهر القائم بالقرب من صدره، ولا توجد اطلال على مجرى القائم في الموضع المشار اليه يصح ان تمثل بقايا قصر مهم كالقصر المذكور غير «اطلال المشحات». ويلاحظ ان المؤرخين لما وصفوا موضع قصر الرشيد لم يتطرقوا الى ذكر نهر دجلة على حين انهم ذكروا ان القصر الذي بناه المعتصم والمدينة التي انشأها على القاطول كانا بطلان على دجلة، الامر الذي يدل على أن قصر الرشيد ومدينته كانا بعيدين عن دجلة، وهذا ما ينطبق تماماً على موقع «المشحات» المار الذكر. ويلاحظ أيضاً ان الرشيد لما أعاد حفر نهر أبي الجند (نهر القائم) أمر بوضع كل الاتربة المستخرجة من قعر النهر على الضفة اليمنى، مما يدل على انه كان يرغب في أن يجعل مدينته وقصره بشرطان على النهر المذكور، لان وضع الاتربة على الضفة التي انشأ فيها قصره ومدينته يكون تلوفاً عالية تسد منظر النهر عن المدينة والقصر. وفضلاً عن ذلك فان موضع «المشحات» هو المسكان الوحيد في منطقة القاطول الذي تجتمع فيه الوسائل اللازمة لجمعه

لائقاً لأن يكون منزهاً للخليفة ، فهو يقع بين النهرين « القاطول الاعلى الكسروي » و « قاطول الرشيد الاسفل » وفي أرض سهلة ذات تربة صالحة لانشاء البساتين والزراعة ، كما انه يمكن ابصال المياه اليه من «القاطول الأعلى الكسروي» بالطريقة السيجية بكل سهولة . وهناك ما يدل على ان الرشيد لما انشأ قصره في هذا الموضع (اي موضع المشرحات) اعاد فتح النهر القديم ،الذي يتفرع من الضفة اليمنى لنهر القاطول الاعلى الكسروي وينتهي الى « حصن القادسية» (١) ، وهو النهر الذي كان قد هجر بعد ان انشأ كسرى انوشروان نهر القورج بدلاً من مجرى القائم (مجرى النهر وان الاصلي) وذلك باستخدام القسم الاعلى من هذا النهر لايصال المياه الى قصر المشرحات وحدائقه (٢).

ومما يدل على ان قصر الرشيد المذكور كان عامراً في زمن المعتصم ، ان المعتصم نزل فيه عندما جاء الى هذه المنطقة وشرع في بناء مدينته فيها . والذي نراه ان قصر الرشيد هذا بقي على حاله في عهد المعتصم حتى جاء المتوكل فبنى قصرأ جديداً مكانه وانشأ امام القصر الجديد البركة الجعفرية المشهورة التي وصفها البحري ، كما انه انشأ حير الحيوانات هناك أيضاً ، ولايصال المياه بصورة دائمة الى القصر والحير اعاد تنظيم النهر الذي كان قد أوصله الرشيد الى قصره في هذا الموضع بانشاء ناظم قاطعي على مجرى القاطول الاعلى الكسروي وقد سمي النهر في هذا الدور « نهر نيزك » ، وسنأتي على ذكر هذه المنشآت فيما بعد (٣).

٨ - موقع قصر المعتصم « منطفة القادسية »

اما القصر الذي بناه المعتصم والمدينة التي انشأها على دجلة وعلى القاطول

(١) راجع البحث الذي تقدم حول نهر القادسية في صفحة ١٥٢

(٢) راجع البحث الذي تقدم حول نهر القورج في صفحة ٢١٢

(٣) راجع البحث التالي الخامس بحير المتوكل والبركة الجعفرية في الفصاين السادس

فيقعان في المنطقة المعروفة بالقادسية ، وهذه تشمل على المنطقة التي تبدأ عند « قصر بركوارا » من الغرب ، فتمتد على ضفة نهر دجلة الى الجنوب الشرقي حتى صدر مجرى القائم ، ثم تسير ضمن الاراضي الواقعة على الضفة اليمنى لمجرى القائم (أي الاراضي الواقعة بين مجرى القائم ودجلة) حتى تنتهي الى نقطة تقع على بعد حوالي ثمانية كيلومترات من جنوبي صدر القائم ، وبذا يبلغ طول القادسية حوالي اثني عشر كيلومتراً ، اما عرضها فيتراوح من الكيلومتر الواحد الى الثلاثة كيلومترات .

٩ - منزهات القادسية والقاطول

والظاهر ان منطقة القادسية هذه بما فيها القاطول الاسفل (مجرى القائم) كانت منذ عهد الفرس من أجل المنزهات في القطر العراقي ، فكانت في سابق العهد منزها للمناذرة ومجلساً للانس يتردد اليه كبار رجال الدولة المجاورة ، وفي زمن العرب كانت يجمع انفسهم وطربهم ، وقد وصف الشعراء والكتاب حدائق هذه المنطقة واديرتها بكثير من الاطراء ، وهذا عمرُ نصر الذي يقول فيه الشاعر الحسين بن الضحّاك :-

يا عمرُ نصر لقد هيجت ساكنة	هاجت بلا بل صبّ بعد اقصار
لله هاتفة هبت مرجمة	زبور داود طوراً بعد أطوار
شمّار حانتها ان زرت حانته	أذكي مجامرهما بالعود والفسار
تلهبك ريقته عن طيب شمّره	سقياً لذاك جنى من ريق شمّار
أغرى القلوب به الحاظ ساجية	مرهأه تطرف عن اجفان سحرّار

وهاك « دير السوسي » وفيه يقول ابن المعتز :

يالليالي بالمطيرة والكرخ	ودير السوسي ، بالله عودي
كنت عندي انموذجات من الجنة	ولسكنها بغير خلود

وقد أشار أبو الحسن علي بن محمد المشهور بـ « الشابستي » في كتابه « الديارات » الى هذا الدير أيضاً فقال انه « لطيف ، على شاطئ دجلة ،

بقادسية سرّاً من رأى . وبين القادسية وسراً من رأى أربعة فراسخ ، والمطيرة
بينها . وهذه النواحي كلها منزهات وكروم وبساتين . والناس يقصدون هذا
الدير ويشربون في بساتينه . وهو من مواطن السرور ومواضع القصف
واللب .

اما موضع هذا الدير فالتا تميل الى الاعتقاد بأنه يقع في التل المعروف بأسم
« تل الصوان » ، وهو التل الواقع على شاطئ دجلة جنوبي « قصر بركوارا »
بينه وبين « منارة القائم » . ويشمل تل الصوان هذا على خرائب واسعة تبلغ
مساحتها حوالي ستة آلاف متر مربع وقد استخراج الاهلون معظم آجر البناء
ان لم يكن كله . وما عثرنا عليه بين خرائب هذا التل فخار يعود الى زمن ما قبل التاريخ
يدل وجوده هناك على ان الدير (ان صح مكانه هذا) انشئ على انقاض بناء
قديم يرجع الى عهود سحيقة في التاريخ (١) .

وقد كتب الشافعي أيضاً في صفة القادسية قولة : « والقادسية من أحسن
المواضع وانزهها ، وهي من معادن الشراب ومناخات المتطرين ، جامعة لما يطلب
أهل البطالة والخسارة والقادسية بنى المتوكل قصره المعروف بركوارا ولما فرغ
من بنائه وهبه لابنه المعز » .

وكانت منطقة القاطول والقادسية من أحب المنزهات وساحات الصيد لدى
خلفاء بني العباس فسكانوا يقصدونها لقضاء أوقات طربهم وانسهم فيها كما كانوا
يقصدونها للقمص والصيد حيث كانت اطيوار البر والماء موفورة في المنطقة نفسها .
وقد جاء في الأغاني ما يشير الى ان المعتصم كان يقضي بعض أوقاته في منطقة القاطول ،
وهذا نص ما ذكره صاحب السكتاب في هذا الصدد قال : « أخبرني عمي قال
حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني ابراهيم بن أبي دلف المعجلي قال كنا
مع المعتصم بالقاطول وكان ابراهيم بن المهدي في حرافته بالجانب الغربي وأبي

واسحاق الموصلي في حرقتيها في الجانب الشرقي فدعاها يوم جمعة فعبرا اليه في زلال وأنا معها وأنا صغير وعلى أقيبة ومنطقة فلما دنونا من حراقة ابراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبية له يقال لها غضة واذا في يديه كأسان وفي يديها كأس فلما صعدنا اليه اندفع ففنى :

« حياكما الله خليليا ان ميتا كنت وان حيا
« ان قلتما خيراً فأهل له أو فلتما غيباً فلا غيبا

» ثم ناول لكل واحد منهم كأساً وأخذ هو الكاس الذي كانت في يد الجارية وقال اشربا على ريقكما ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ثم أخذوا العيدان ففناها ساعة وغنياء وضرب وضربا معه وغنت الجارية بعدهم فقال لها أبي أحسنت مراراً فقال له ان كانت أحسنت فخذها اليك فما اخرجتها إلا اليك^(١) .

واليك ما ذكره ابراهيم بن الحسن بن سهل عن الواثق، وهو بتصيد على القاطول، قال: « كنا مع الواثق بالقاطول وهو بتصيد فصاد صيداً حسناً وهو في الزو^(٢) من الاوز والدراج وطير الماء وغير ذلك . ثم رجع فتغدى ، ودعا بالجلساء والمغنيين وطرب وقال من ينشدنا ؟ فقام الحسين بن الضحاك فأنشده :

« سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا وخص بسقياه مناكب قصركا
حتى انتهى الى قوله :

« تحين للدراج في جنباته وللغز آجال قدرن بكفسكا »^(٣)

(١) الاغانى الجزء التاسع من ٥٤ و ٨٣ .

(٢) الزو نوع من السفن كان منتقراً في العصر العباسي . وقد جاء ذكره في مناسبات عدة ، بقاء ذكره في الطبري لمناسبة وصفه استمر اض المتعم للزط بعد ان سمي بهم الى بغداد بطريق النهر ، يقال ان المتعم كان بالشماسية في سقينة يقال لها الزو فر به الزط وم في زواريتهم ، وقد ورد ذكر الزو ايضاً في مصادر كثيرة اخرى .

(٣) الاغانى الجزء السابع صفحة ١٥٨ .

والظاهر أن القصر المشار اليه في البيت الاول هو قصر الرشيد، الذي على القاطول، وهو نفس قصر المشرحات الذي بناه الرشيد، وقد كان موجوداً على حالته الاصلية في عهدي المعتصم والواثق حتى إذا جاء المتوكل أعاد بناءه من جديد وأضاف اليه بركة البحري المشهورة.

ولما ولي الواثق الخلافة جلس للناس ودخل اليه المهنتون والشعراء ومن جملة ما نظمهم احدهم في وصف السفينة التي كان يركبها الخليفة في دجلة والقاطول الايات التالية : —

الى خازن الله في خلقه	سراج النهار وبدر الطلم
رحلنا غرايب زفافة	بدجلة في موجها الملتطم
إذا ما قصدنا لقاطولها	ودم قراقيرها تصطدم
سكننا الى خير مسكونة	يتمها راغب من أمم (١)

وقد وصف البحري إحدى زهات المتوكل بالزو على القاطول قال : —

أبي يومنا بالزو إلا تحسناً	لنا بسباع طيب ومدام
غنينا على قصر يسير بفتية	قعود على أرجائه وقيام
تظل البزاة البيض تحطف حولنا	جأجء طير في السماء سوام
تحذر بالدراج من كل شاهق	مخضبة أظفارهن دوام
فلم أر كالقاطول يحمل ماؤه	تدقق بحره بالسماحة طام
ولا جبلا كالزو يوقف تارة	وينقاد أما قدته بزمام

ثم وصف البحري الزو في قصيدة اخرى قال : —

تعجبت من فرعون إذ ظن أنه إله لأن النيل من تحته يجري
ولو شاهد الدنيا وجامع ملكها لقل لديه ما يكثر من مصر

(١) غريب : السفينة ، والزفافة : السريعة ، والقراقير : السفن الطويلة ، ومن أمم : من

قريب : الماء والاطلسية : حديد

ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى حقير الذي نالت يدها من الأمر
 إذا رأى قصرأ على ظهر لجة يروح ويفدو فوق أمواجه تجري
 تصاد الوحوش في حفاف طريقه وتستزل الطير العوالي على قسر

وقد بلغت منطقة القاطول والقادسية ذروتها في الجمال والتنسيق على عهد
 المتوكل ، فقد أشغل المتوكل الساحة الواسعة الواقعة بين القاطول الأعلى
 الكسروي و قاطول الرشيد الاسفل (نهر القائم) ، وأنشأ فيها حديقة فسيحة
 للحيوانات ، ثم أقام على الطرف الجنوبي من هذه الحديقة قصرأ واسعاً ، في
 مكان قصر الرشيد القديم في المدرجات ، وساحة كبيرة خلف القصر تتصل بصفة
 القاطول الاسفل اليسرى ، وقد أنشأ أمام هذا القصر من جهة الشمال البركة
 الجعفرية المشهورة التي وصفها البحري ، وفوق كل هذا استغل مياه القاطول
 الأعلى فأنشأ ناظماً قاطعياً على مجراه وفتح نهراً من أمام هذا الناظم لأبصال المياه
 الى حديقة حيواناته وبركة قصره وسيأتي البحث عن كل هذه الاعمال فيما يلي :
 وقد وصف جحظة البرمكي منطقة القاطول والقادسية فأنشدها فيما أيساته
 التالية :-

الأهل الى الغدران والشمس طالمة	سبيل ونور الخير مجتمع الشمع
ومستشرق للعين تمدو ضياؤه	صوائد ألباب الرجال بلا نبل
الى شاطيء القاطول بالجانب الذي	به القصر بين القادسية والنخل
الى مجمع للطير فيه رطانة	يطيف به القناص بالغيل والرجل
خفانة من عيد اليهودي انها	مشهرة بالراح مشوقة الأهل
وكم راكب ظهر الظلام مفلس	الى قهوة صفراء معدومة المشل
إذا قعد الحمار دنا بمنزل	تبيئت وجه السكر في ذلك المنزل
وكم من صريم لا يدير لسانه	ومن ناطق بالجهل ليس بذئ جهل
ترى شرس الاخلاق من بعد شربها	جدير ببذل المال والخلق السهل

جمعت بهسا شمل الخلاعة برهة و فرقت مالا غير مصغ الى العذل
 لقد غنيت دهرأ بقربي نفيسة فكيف تراها حين فارقتها مثلي
 وما يسترعي الانتباه أن وصف جحظة للقصر من أنه يقع بين القادسية
 والنخل ينطبق على موقع المشرحات الذي كان فيه قصر الرشيد ثم صار فيه قصر
 المتوكل بعد أن أضاف اليه حير الحيوانات ، لأن المشرحات تقع بين القادسية من
 جهة « وأراضي الاجوى » التي فيها مزرعة حسين زغير الحالية من الجهة
 الثانية . والدليل على أن النخل الذي يشير اليه جحظة كان في اراضي الاجوى
 المذكورة (جمع جوة) أن هذه الاراضي تؤلف سهلاً خصباً يستدل من
 تخطيطه وتسميته بالأجوى على انه كان مقسماً الى بساتين . ومما لا شك فيه أن
 هذه البساتين كانت تروى من القساطول الاعلى الكسروي بالطريقة السحبية .
 وتدل الروايات المحلية المتواترة على أنه عثر على بعض جذور نخيل قديمة في جوف
 الاراضي المذكورة أثناء حرقها أو حفر الآبار فيها مما يؤيد أنها كانت بساتين نخيل .

تاريخ القادسية ونوع عمرائها

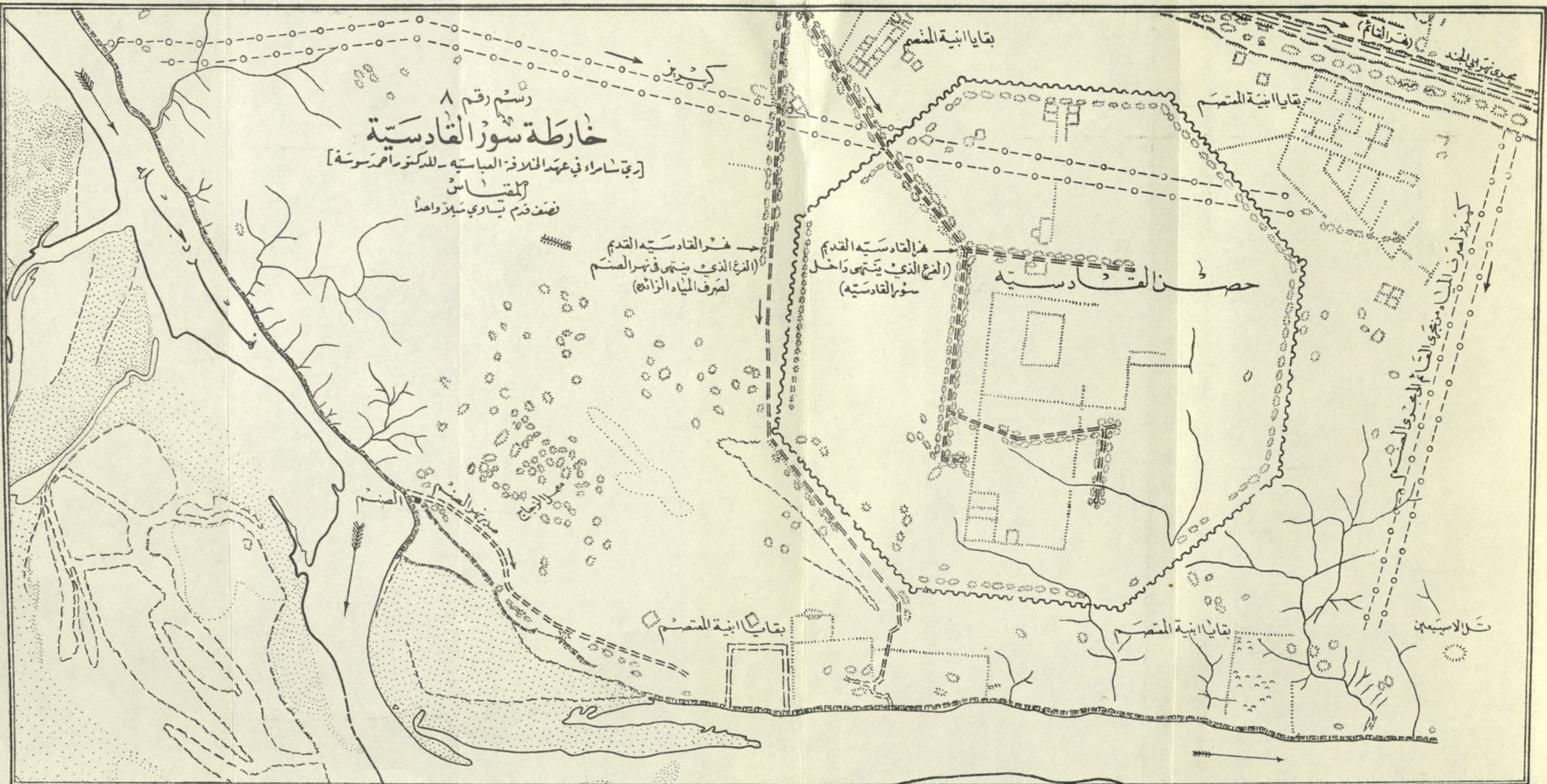
ويظن أن تسمية القادسية قديمة فبعضهم يرى انها مدينة « كراهيه »
 (Carrhae) القديمة أو مدينة « اباميا » التي ذكرها بليفيوس (٧١م) وقد ذكر
 كيبون (gibbon) أنها المدينة الآشورية « قادسيا » (Cadesia) ، وعلى
 كل فان من المرجح لدينا أن تاريخ انشاء القادسية يرجع الى عهد قديمة ، ثم
 أصبحت ذات شأن بعد أن انشئ النهران هناك بمدخله الصيفي والشتوي
 (مجري القائم والصنم) ، وقد توسعت بعد ان أنشأ الرشيد قصره فيها وشرع
 في انشاء مدينته هناك ثم نزول المعتصم فيها وانشائه بعض الابنية هناك قبل أن
 ينتهي الى مكان سر من رأى . ويغلب على الظن ان معمل الزجاج الذي نشاهد
 آثاره وبقايا زجاجه الآن في القادسية انشئ على عهد المعتصم أثناء تمصير مدينة
 « سر من رأى » ، حيث كان يزود منشآت المدينة الحديثة بالزجاج على اختلاف

انواعه . وقد ذكر ياقوت أن القادسية اشتهرت بمعامل الزجاج ونسب إليها قوم من الرواة ، كما ذكر ابن عبد الحق أن القادسية قرية كبيرة من قرى سامراء ، تقع على الجانب الشرقي من دجلة .

١١ - سور القادسية

وأهم ما نشأه من الآثار في القادسية اليوم السور القديم المعروف بـ « سور القادسية » ، وهو الحصن الذي كان يقع بين مجرى القائم (المجري الصيفي للنهر وان) ومجرى الصنم (المجري الشتوي للنهر وان) ، أما اليوم فيقع بين مجرى القائم ودجلة ، لأن نهر دجلة محي معالم مجرى نهر الصنم نتيجة تحول عميق دجلة نحو الشرق . والسور مبني باللبن ويحيط بساحة واسعة تشغل كل المساحة التي بين مجرى القائم الشمالي ومجرى الصنم الجنوبي تقريباً (١) ، ويتأخر معدل قطر الساحة التي داخله ١٦٥٠ متراً ، وهو ممتن الاضلاع يبلغ معدل طول الضلع الواحدة من الخارج ٦٢٠ متراً وتدعمه من الخارج ١٧ دعامة (Buttress) نصف دائرية قطرها نحو ٧ر٤ أمتار ، وبين دعامة كل وأخرى ٢٩ر٥ متراً ، وفي كل ركن من أركان السور الثمانية برج مدور يبلغ قطره زهاء ثمانية أمتار ، وسمك السور نحو أربعة أمتار ، أما ارتفاعه فيبلغ حوالي خمسة أمتار ، وتبلغ مساحة الأرض التي يشغلها نحو ٨٠٠ دونم (مشاركة) .

(١) تبعد ضلع السور المحاذية لنهر القائم في ركنه الشمالي الغربي حوالي ٥٠٠ متر عن حافة نهر القائم وركنه الشمالي الشرقي زهاء ٢٧٠ متراً عن نهر القائم ، وتبعد ضلعه الجنوبية عن مجرى دجلة الحالي ٣٠٠ متراً تقريباً . وورد ذكر هذه المسافات في مقال « مدينة المعتصم » المنشور في مجلة سوسر ، عدد تموز ١٩٤٧ (ص ١٦٧) ، بصورة أخرى ، فقد اعتبر بعد المسافة الأولى التي بين الركن الشمالي الغربي لضلع السور المحاذية لنهر القائم وبين نهر القائم ١٩٢٠ متراً وبعد المسافة الثانية التي بين الركن الشمالي الشرقي للضلع نفسه ونهر القائم ١٣٢٠ متراً . أما بعد المسافة الثالثة التي بين الضلع الجنوبية للسور ونهر دجلة فقد اعتبرت ١٨٠٠ متر .



خارطة سور القادسية

رسم رقم ٨
[رجم ساره في عهد الخلافة العباسية - للدكتور احمد سوسة]
المقياس
نصف قدم تساوي ميلاً واحداً

بقايا ابنية المتصم القديم
(الفرع الذي ينتهي في نهر الصنم
لصرف المياه الزائدة)

بقايا ابنية المتصم القديم
(الفرع الذي ينتهي داخل
سور القادسية)

حصن القادسية

بقايا ابنية المتصم

بقايا ابنية المتصم

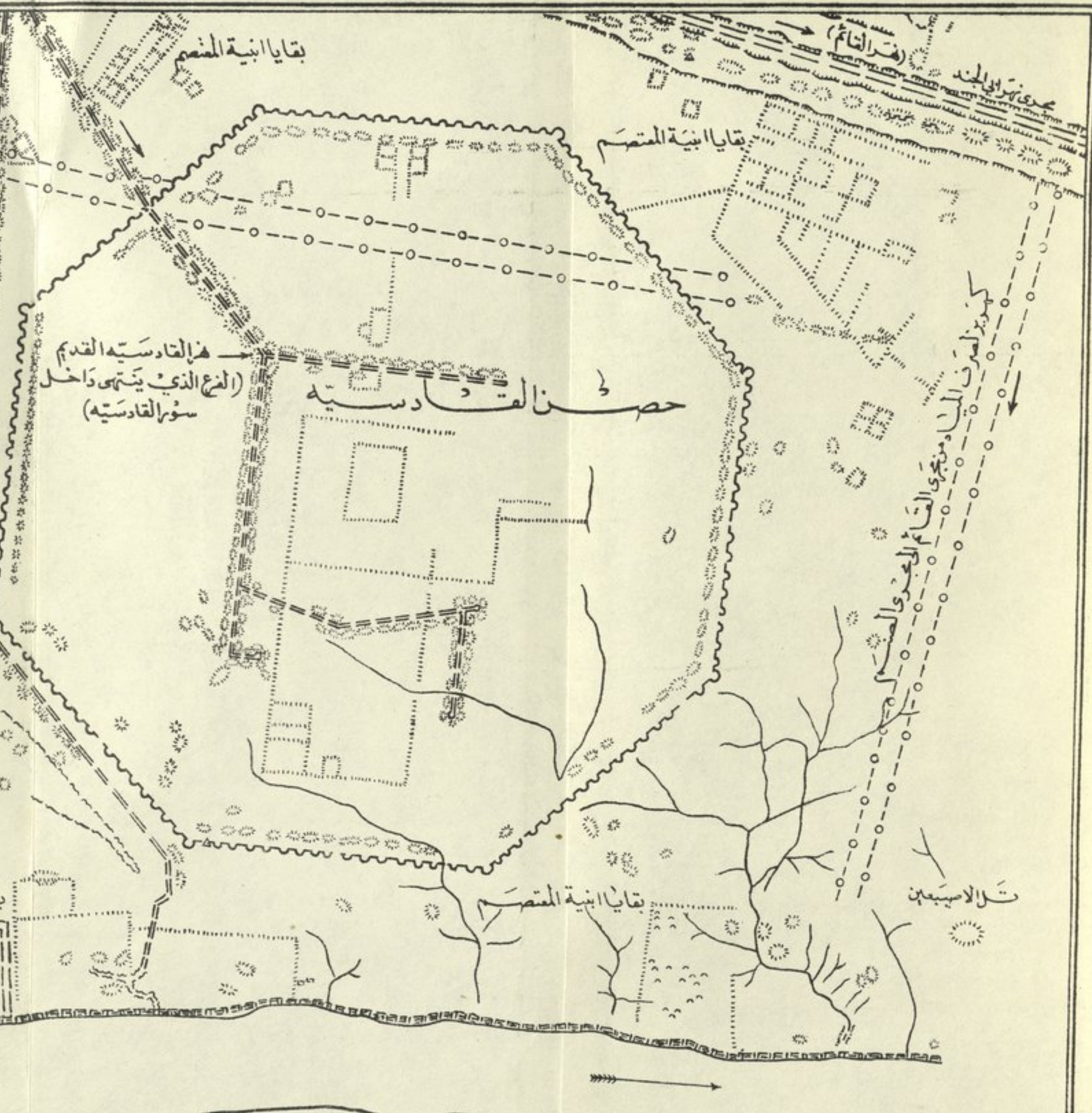
شلال الاصمعيه

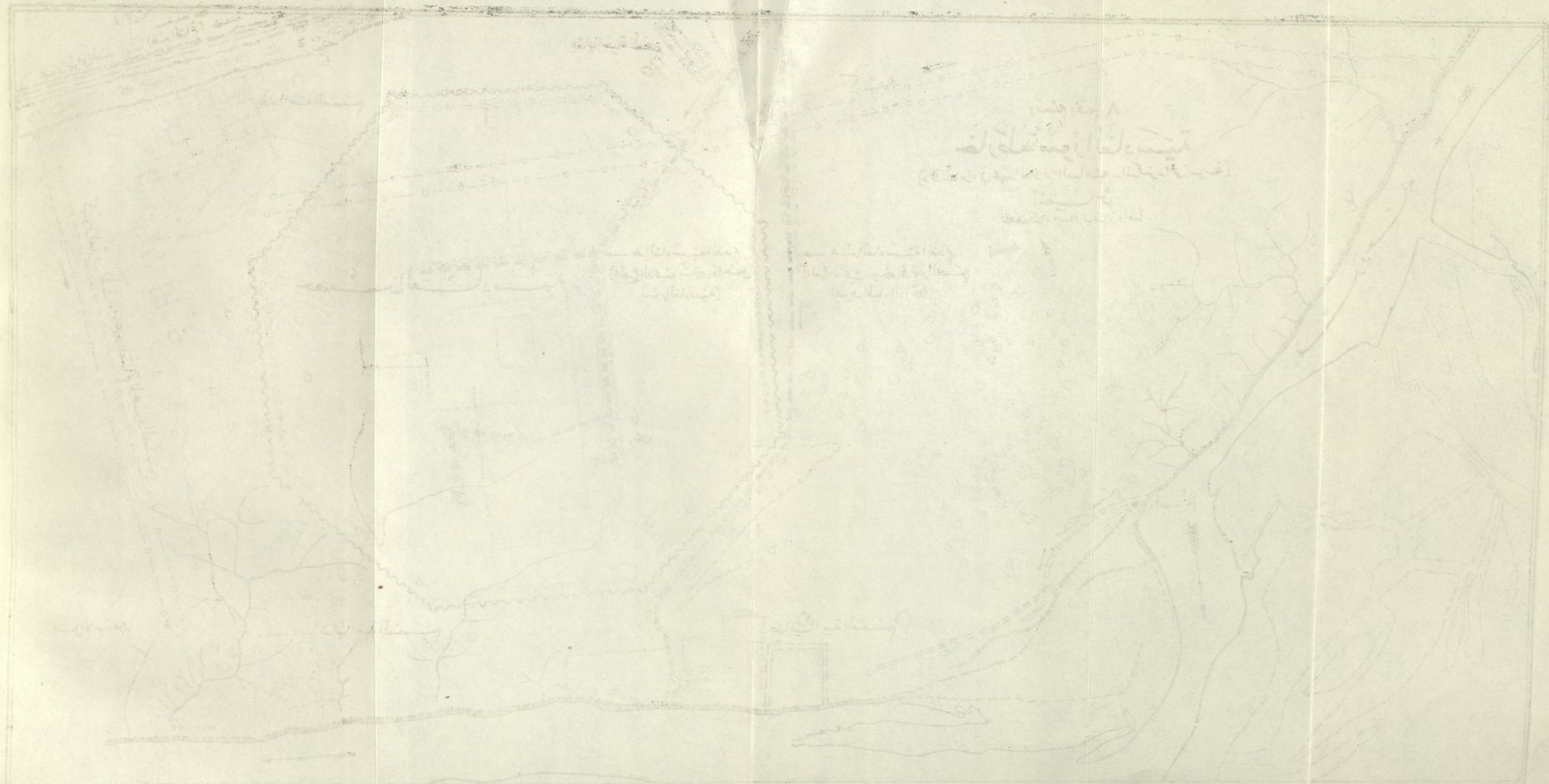
كبريت المنجى
نهر القادسية
نهر الصنم
نهر الخزندار

مجرى نهر الخزندار
(فهر التمام)

كبريت

بقايا ابنية المتصم





القاهرة

المنيا

القاهرة

المنيا

الفيوم

القاهرة

المنيا

الفيوم

القاهرة

المنيا

ويشاهد من الداخل ان اضلاع السور تتألف من أروقة تملأ الفراغ الحاصل بين كل دعامة واخرى إلا في ضلعين متقابلتين منها توجد في وسطها زيادة في الثخن بمقدار خمسة أمتار ونصف متر وبمسافة ٩٥ متراً من طول الضلع. وتحتوي هذه الزيادة على ثماني غرف ابعاد كل منها ٣٥ × ٣٧ مترات وقد عقدت بعقادة رأسية (Pointed arch) ارتفاعها ٢٧ متراً وورصف ابنها رصفاً رأسياً على جانبي الغرفة وعرض مدخلها ٨٥ سنتيمتراً وسمك جدار جهتها ١٩ متراً (راجع الرسم رقم ٨).

ويلاحظ في بناء السور ان اللبن المستعمل فيه يمتاز بكبر حجمه من دون كل ابنية سامراء العربية حيث يبلغ حوالي ٤٧ سنتيمتراً في الطول و٢٩ سنتيمتراً في العرض وزهاه ٩٥ سنتيمتراً في السمك . وتشاهد في وسط الساحة معالم بعض المنشآت الصغيرة وهذه مبنية من اللبن والطين ومحاطة بأسوار داخلية واطئة . ويستدل من شكل هذه المنشآت ومن السور الخارجي الضخم ان البناية كانت حصناً ومعسكراً لجيش كبير هيئت له فيها وسائل الدفاع والحصار في آن واحد . وفي المنطقة التي حول سور القادسية بقايا مبان كثيرة تمتد على أطراف السور المذكور من الغرب والشرق والجنوب بين مجرى القائم ومجرى الصنم بعضها بالأجر والبعض الآخر باللبن . ومن أهم بقايا الأبنية التي بالأجر المفخور بقايا معمل الزجاج الواقع غربي السور وشرقي موقع الصنم تماماً^(١) ، ثم بقايا القصر الذي يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من السور على الضفة الشرقية لنهر الصنم وهي الاطلال المسماة « الاصبعين » ، ولعل اطلال هذا القصر من بقايا القصر الذي بناه المعتصم في هذه المنطقة قبل ان ينتهي الى سامراء .

وتشاهد في الطرف الشمالي من سور القادسية آثار نهر واسع بخرق السور في الضلع الشمالية الغربية ويدخل الى الساحة التي في داخله ثم يتشعب الى

(١) راجع البحث الذي تقدم عن الصنم المذكور في صفحة ١٤٩

عدة شعب هناك . وفي داخل السور أيضاً يدور بمحاذاة الاضلاع خندق يأخذ مائه من النهر نفسه لا يزال ظاهراً . واذا تتبعنا آثار هذا النهر نجد انه يبدأ من القاطول الاعلى الكسروي فيتفرع من ضفته اليمنى في نقطة تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من صدره ، ثم ينحدر الى الجنوب قاطعاً المنطقة التي بين القاطول الاعلى الكسروي والقاطول الاسفل (مجرى القائم) ، فيعبر من فوق مجرى القائم على عبارة في الموضع المسمى بـ « فكة القادسية » وينقسم بعد ذلك الى فرعين فرع يتجه شرقاً نحو السور حيث يخترقه ويدخل الى الساحة التي في داخل السور كما نوهنا اعلاه والفرع الثاني ينتهي الى نهر الصنم فيصب فيه . ولا شك ان الفرع الثاني هذا كان يصرف المياه الزائدة فيصبها في نهر الصنم ، ولا بد انه كان هناك بناء لتنظيم المياه .

ويلاحظ ان دائرة الآثار قد تصورت بأن نهر القادسية هذا يشق من نهر القائم وينتهي في دجلة ، وقد ذكرت ذلك في نشرتها عن سامراء المطبوعة في سنة ١٩٤٠ (ص ٧٢) فقالت ان القادسية تقع بين نهر القائم ونهر دجلة وفي طرفيها نهران مشتقان من القائم يصلان بينه وبين دجلة ، وهذا بعيد عن الواقع لان نهر القادسية المذكور كان يأخذ مائه من القاطول الاعلى الكسروي وبعد أن يقطع المنطقة التي بين القاطول المذكور والقاطول الاسفل (نهر القائم) يعبر من فوق نهر القائم ثم ينقسم الى فرعين فرع ينتهي الى داخل سور القادسية وفرع آخر يصب في نهر الصنم كما اسلفنا . ولا شك في ان تغير الوضع بنتيجة تحويل نهر دجلة الى الشرق وتقدم مجراه شرقاً ثم اقتلاع العبارة التي كان يعبر عليها النهر من فوق مجرى القائم كانا السبب الذي حدا بدائرة الآثار ان تتصور ذلك .

١٢ - تاريخ سور القادسية

وقد اختلفت الآراء حول بناء سور القادسية فاعتبره بعضهم من اعمال

العرب وعدّه البعض الآخر من أبنية الفرس ، فالدكتور روس الذي زار هذه المنطقة سنة ١٨٣٤ والتقط من جوارها القسم الاسفل من الصم الاسود الذي كان على صدر المجرى الشتوي للنهروان^(١) يعتقد انه يرجع الى عهد الساسانيين ، اما مس بيل فقد خالفته في هذا الرأي ، أي انها اعتبرته من اعمال العرب . وقد ذكر كريبز ويل في كتابه « الفن المعماري الاسلامي القديم » انه من المحتمل ان يكون حصن القادسية من جملة أبنية المعتصم في القاطول قبل ان ينتهي الى سامراء^(٢) . ومما يلفت النظر ان السير ويليم ويلكوكس قد ذهب الى ابعده في تعيين منشأ هذا السور فكان يعتقد انه يرجع الى العهد الذي انشيء فيه سد عمرو وهو عهد واغل في القدم يرجع الى ما قبل ٣٥٠٠ سنة^(٣) . ويعتقد فيليكس جونس ان لهذا السور ارتباط وثيق بمجرى النهروان ، وعلى هذا الاساس يجزم جزماً قاطعاً بأنه بني في العهد الذي انشيء فيه النهروان ثم هجر بعد هجران النهروان واضمحلاله .

اما دائرة الآثار العراقية فقد اعتبرت سور القادسية من اعمال العرب ومن جملة الابنية التي انشأها المعتصم على القاطول قبل ان يقيم مدينة سر من رأى^(٤) وقد شئت دائرة الآثار العراقية ان تتمسك بهذا الرأي على لسان مديرها العام معالي الدكتور السيد ناجي الأصيل الذي ذكر في عدد مجلة سومر الاخير^(٥) ان سور القادسية من جملة ابنية المدينة التي ابتناها المعتصم على

(١) راجع البحث الذي تقدم عن ذلك في صفحة ١٥٠

(٢) راجع كتاب :

«Early Muslim Architecture», By K. A. C. Creswell, Part II, P.386 .

(٣) راجع ما تقدم في صفحة ١٧٧

(٤) راجع نشرة الآثار العراقية عن سامراء، ص ٧٣

(٥) راجع مقال « مدينة المعتصم على القاطول » في مجلة سومر، الجزء الثاني ، المجلد الثالث،

تموز (١٩٤٧) ص ١٦٠ - ١٧٠

القاطول قبل ان ينتهي الى سامراء . ومما يلفت النظر في هذا المقال ان شمك دائرة الآثار العراقية بالرأي المذكور لم يستند الى دلائل مقنعة يمكن الركون اليها في قبول ما ذهبت اليه في هذا الخصوص ، ولا سيما إذا لاحظنا ما جاء في معجم ياقوت من اشارة صريحة الى ان حصن القادسية اثر للاكسرة . فقد ذكر ياقوت في مادة (سامراء) « ان الرشيد أراد بناء سامراء فبنى بجذائفها قصرأ وهو بازاء اثر عظيم كان للاكسرة » . والقصر الذي يشير اليه ياقوت هو نفس القصر الذي اقامه الرشيد على نهر أبي الجند في المشرحات (١) بجوار حصن القادسية الذي يسميه ياقوت « اثرأ عظيماً للاكسرة » . ولا يختلف اثنان على انه لو كان المعتصم أقام حصن القادسية وسوره لما اغفل المؤرخون العرب ذكره لا سيما وقد ذكروا من الابنية ما هو دون سور القادسية بكثير من حيث الضخامة والسمعة . هذا كما انه لا يمكن ان يكون السور قد اختفى عن انتباه الزائر أو التفات المستطرق نظراً لارتفاعه الذي يستوقف النظر من مسافة بعيدة .

١٣ رأيتنا في منسأ سور القادسية وتاريخه

اما رأيتنا في الموضوع فهو أن سور القادسية كان قد انشيء في زمن انشاء النهروان (اي في زمن انشاء مجربي القائم والصنم) ، ودليلنا على هذا الرأي ان البناء مع دعاماته والغرف التي فيه والاروقة التي في اضلاعه من الاعمال الهائلة التي تتطلب وقتاً طويلاً وجهوداً جبارة ، ولا سيما اذا لاحظنا أن بناء السور يستوجب احضار مالا يقل عن خمسين مليون لبنة من النوع الضخم الذي بني به السور . ولا يخفى ان تخطيط مثل هذا الحصن بشكاه المثمن على الارض من الامور الهندسية الصعبة التي تحتاج الى مهارة هندسية ودقة فنية كما انه يحتاج الى وقت كاف ، ليس بالنسبة الى ذلك الوقت فقط بل بالنسبة الى وقتنا الحاضر أيضاً رغم

(١) راجع ما تقدم في ص ٢٢٦ و ٢٣٣

توفر الآلات الهندسية الدقيقة التي تساعد على رصد الزوايا بصورة متقنة . ولا
يسع المرء ان يتصور قيام المعتمص بمثل هذا العمل الجبار خلال المدة القصيرة
التي قضاها في هذا المسكان قبل ان ينتهي الى انشاء سامراء .

ان المدة التي قضاها المعتمص في القاطول ، بالنظر الى نتائج تدقيقاتنا
للعلموات التاريخية المتوفرة ، لم تتجاوز الشهرين أو الثلاثة اشهر على الاكثر ،
وتبينت لذلك لنتبمع خطوات المعتمص منذ ان غادر بغداد حتى انتهى الى
سامراء : فقد اجمع المؤرخون على ان المعتمص غادر بغداد في سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) ،
ويستدل بما رواه الطبري وابن الأثير ان خروجه من بغداد كان في أواخر تلك
السنة ، إذ ذكر الطبري انه خرج في شهر ذي القعدة منها^(١) ، اما ابن الاثير فيبعد
ان أيد خروجه في سنة ٢٢٠هـ ذكر بأنه «صلى بالناس العيد (أي عيد الاضحى)
ومعنى ذلك شهر ذي الحجة من سنة ٢٢٠هـ (أي في شهر تشرين الثاني من سنة ٨٣٥م)
ولم يدخل بغداد بل سار الى ناحية القاطول ولم يعد الى بغداد . » وروي لنا
اليقوي في كتاب «البلدان» أن المعتمص اقام في بغداد حوالي اربع سنوات بعد
ارتقائه عرش الخلافة في ١٩ رجب من سنة ٢١٨هـ . (٤ آب ٨٣٣م) ثم خرج
الى القاطول في سنة ٢٢١هـ . ومع ذلك فإنه يعين في تاريخه المفصل موعد
خروج المعتمص الى القاطول في منتصف ذي القعدة سنة ٢٢٠هـ . وهذا نص
قوله : « وخرج المعتمص الى القاطول في النصف من ذي القعدة سنة ٢٢٠هـ .
فاختط موضع المدينة التي بناها واقتطع الناس المقاطع وجد في البناء حتى بنى
الناس القصور والدور وقامت الاسواق ثم ارجل من القاطول الى
سر من رأى »^(٢) . كل هذا مما يدل على ان المعتمص خرج الى
القاطول في حوالي اواخر سنة ٢٢٠هـ . او أوائل سنة ٢٢١هـ على اكثر
تقدير . ولدينا من الأدلة التاريخية على انه مكث بعض الوقت في

(١) الطبري (٣ : ١١٧٩) .

(٢) تاريخ اليقوي ، الجزء الثالث (طبعة النجف) ص ١٩٨ .

اماكن عديدة في طريقه بين بغداد والقاطول فتوجه اولاً الى الشماسية فمزم ان يبني بها مدينة خارج بغداد « فضاقت عليه ارض ذلك الموضع وكره ايضاً قربها من بغداد فمضى الى البردان ... وذلك في سنة احدى وعشرين ومائتين وأقام بالبردان اياماً ثم لم يرض الموضع فصار الى موضع يقال له باحشا من الجانب الشرقي من دجلة فمقدّر هناك مدينة على دجلة وطلب موضعاً يحفر فيه نهراً فلم يجده فنفذ الى القرية المعروفة بالحظيرة فأقام بها مدة ثم مد الى القاطول ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول ... ثم قال ارض القاطول غير طائفة وإنما هي حصا وافهار والبناء بها صعب جداً وليس لأرضها سعة» (١). وقد ذكر ابن الأثير أن ابتداء العمارة بسامراء كان في سنة احدى وعشرين ومائتين (٢)، فأيد المسعودي ذلك فقال بعد ان وصف الاعمال التي قام بها المعتصم لتأسيس عاصمته الجديدة في سامراء :- « وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين . » أما ياقوت فقد ذكر في مادة سامراء أن المعتصم بنى سامراء ونزلها في سنة ٥٢٢١هـ .

يتضح مما تقدم أن الوقت الذي استغرقه سفر المتوكل بين بغداد وسامراء ، ثم المدة التي قضاهما ما كثراً في « الشماسية » و « البردان » و « باحشا » لتصميم البناء الذي اعتزم القيام به هناك ، مضافاً الى المدة التي استغرقها البناء في القاطول وابتداء العمارة في سامراء ، كل ذلك كان في سنة ٥٢٢١هـ . مما يدل على أن المعتصم لم يسهه المكوث في القاطول أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر كأقصى حذر ، فهل كان في امكانه أن ينشئ سور القادسية الجسيم ثم يحفر النهر الواسع الذي يتفرع من القاطول الأعلى وينتهي الى داخل سور القادسية في بحر تلك المدة القصيرة ؟ ...

(١) كتاب « البسلدان » لليعقوبي .

(٢) ابن الأثير الجزء السادس ، ص ٣١٩ .

ومن المبرم أن نذكر في هذا الصدد أن خروج المعتصم كان في اوائل الشتاء وقد اتفق وصوله الى القاطول في قلب الشتاء، أي في موسم الامطار، وهو الموسم الذي يجعل قطع اللبن وتهيئته للبناء من الصعوبة بمكان إذ تحول الامطار دون عمله وجفافه ، ونظرة واحدة الى سور القادسية تحملنا على الاقتناع - بدون أي تردد - على أن تهيئة اللبن المطلوب لمثل هذا البناء الجسم يحتاج الى موسمين صيفيين على الاقل ، على حين أن المعتصم لم يتسن له أن يقضي موسماً صيفياً واحداً في القاطول . وقد أيد المسعودي وصول المعتصم الى القاطول في اوائل فصل الشتاء ومكوته هناك خلال فصل الشتاء فقال : « ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة ارضه وتأذوا ليالي في ذلك يقول بعض من كان في الجيش :

« قالوا لنسا بالقاطول مشتانا فنحن نأمل صنع الله مولانا
« الناس يأترون الرأي بينهم والله في كل يوم يحدث شانا

« ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرب المواضع فانتهى الى موضع سامراء . »

وقد اختلف المؤرخون في منشأ فكرة اتخاذ سامراء مقراً للعاصمة ، فهل كان المعتصم مسبقاً بها قبل أن يغادر بغداد أو أنه عمل فكرته هذه بعد أن شيد بناءه في القاطول ثم انتهى الى سامراء عن طريق الصدفة ، فكانت الفكرة بنت ساعتها ؟... فقد جاء في الطبري أن المعتصم قبل ان يخرج الى القاطول أو قد في سنة ٥٢١٩ . أبا الوزير احمد بن خالد « لشراء موضع في ناحية سامراء فاشتري بسامراء الدير من النصارى بخمسمائة درهم واشتري موضع البستان الخاقاني بخمسة آلاف درهم واشتري عدة مواضع فعزم على الخروج اليها في سنة ٥٢٢٠ . فخرج حتى إذا قارب القاطول ضربت له فيه القباب والمضارب وضرب الناس الاخبية ثم لم يزل يتقدم وتضرب له القباب حتى وضع البناء في

سنة ٥٢٢١ هـ. (١) أما اليعقوبي فيرى رأياً آخر إذ يقول أن المعتصم بعد أن بنى ما بناه في القاطول ركب متصيداً فرأى في سيره حتى صار إلى موضع سر من رأى حيث وجد ديراً للنصارى « فعزم على أن ينزل بذلك الموضع فأحضر محمد بن الملك الزيات وابن أبي دؤاد وعمر بن فرج وأحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير وقال لهم اشترؤا من أصحاب هذا الدير هذه الأرض وادفعوا اليهم ثمنها أربعة آلاف دينار ففعلوا ذلك (٢) ». وهناك ما يؤيد أن نية المعتصم كانت متجهة نحو إنشاء عاصمته في سامراء منذ سنة ٥٢١٩ هـ، فقال الطبري أن المعتصم خرج في سنة ٥٢١٩ هـ. « يريد القاطول ويريد البناء بسامراء فصرفه كثرة زيادة دجلة فلم يقدر على الحركة فانصرف إلى بغداد إلى الشامية (٣) ». فإذا اعتبرنا رواية الطبري صحيحة، وهي أن المعتصم كان مسبوفاً بفكرة إنشاء عاصمته في سامراء قبل ذهابه إليها، فقد يصح لنا أن نقول بأن البناء الذي أقامه في القاطول لم يكن إلا عملاً عرضياً لا يخرج عن كونه بناء أقيم على مدخل العاصمة الجديدة

(١) كتب الطبري في هذا الصدد قال : — « ذكر عن أبي الوزير أحمد بن خالد أنه قال بعثي المعتصم في سنة ٢١٩ وقال لي يا أحمد اشتر لي بناحية سامراء موضعاً أبنى فيه مدينة فاني أخوف أن يصبح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلون شلماني حتى أكون فوقهم فان رأيتي منهم ريب أتيتهم في البر والبحر حتى آتني عليهم وقال لي خذ مائة ألف دينار . قال فلك أخذ خمسة آلاف دينار فكلنا احتجت إلى زيادة بعثت اليك فاستزدت قال نعم فأتيت الموضع فاشترت سامراء بخمسمائة درهم من النصارى أصحاب الدير واشترت موضع البستان الخاقاني بخمسة آلاف درهم واشترت عدة مواضع حتى أحسكت ما أردت ثم أحدثت فأتيت بالصكك فمزم على الخروج إليها في سنة ٥٢٢٠ هـ فخرج حتى إذا قارب القاطول ضربت له فيه القباب والمضارب وضرب الناس الأختية ثم لم يزل يتقدم وتقرب له القباب حتى وضع البناء بسامراء في سنة ٢٢١ هـ .

(٢) كتاب « البلدات » لليعقوبي .

(٣) قال الطبري : « فلما كانت سنة ٢١٩ وقيل سنة ٢٢٠ وذلك عندي خطأ خرج المعتصم يريد القاطول ويريد البناء بسامراء فصرفه كثرة زيادة دجلة فلم يقدر على الحركة فانصرف إلى بغداد إلى الشامية ثم خرج بعد ذلك فلما صار بالقاطول غضب على الفضل ... الخ » .

(سامراء) بصورة مؤقتة ، وعلى هذا لا يمكن ان يشتمل على بناء ضخّم مثل بناء «حصن القادسية» الجسيم وسوره العظيم. ولا بد من التنويه في هذا الصدد الى ان فكرة البناء في سامراء لم تكن من بنات افسكار المعتمّم وإنما قد سبقه الرشيد اليها ، وفيما ذكره ياقوت من ان « الرشيد اراد بناء سامراء ثم بناها المعتمّم ونزلها في سنة ٢٢١ » أوضح دليل على ذلك .

وفضلاً عن ما تقدم فإن هناك ادلة تاريخية على ان موقع القادسية كان موجوداً في عهد الفرس حيث كانت هناك منزهات تعد من اجمل المنزهات العراقية في ذلك العهد . ولدينا في تسمية القادسية نفسها ما يجعلنا ان نتحول بتفكيرنا الى قادسية الكوفة التي تعود الى عهد الفرس ، وهذا يؤيد ترجيح رجوع تسمية قادسية سامراء الى ذلك العهد ايضاً لوجود الشبه بين التسميتين .

وأخيراً نرى فيما ذكره ياقوت من « ان الرشيد بنى قصرآ بازاء اثر عظيم كان للاكسرة » دليل تاريخي موثوق على ان حصن القادسية من عمل الأكسرة ، ولا شك في ان المقصود بـ (الاثر العظيم) حصن القادسية نفسه ، وهو الحصن الذي لا يزال يعد اعظم اثر في منطقة القادسية حتى الآن .

ولنفترض سؤالاً آخر : فاذا قلنا ان سور القادسية من عمل المعتمّم فما هي الاسباب التي دفعت به لأنشاء هذا الحصن الضخم المنيع ؟... هل كان ينوي ان يحاصر مع جنوده فيه ، وهل كان هناك غزو يقوم به الرومان او غارات يقوم بها الفرس مما يضطره لأنشاء مثل هذا الحصن الهائل ؟... ولا بد من الملاحظة في هذا الصدد بأن تصميم بناء هذا الحصن يمتاز بفنه الهندسي الدقيق ، الأمر الذي يدل على انه وضع بعد دراسة فنية دقيقة وتجربات تمهيدية عميقة استغرقت بعض الوقت على عكس ما زراه في الأبنية المجاورة التي تدل بقساياها على انها بنيت بدافع الحاجة الآنية ووضعت تصاميمها بصورة ارجالية ، وإذا ما قارنا تصميم بناء « حصن القادسية » مع شكل بناء « معسكر الاصطبلات » في الجهة

الغربية من نهر دجلة ، وهو المعسكر الذي انشأه المعتصم على ما نعتقد ، انضح لنا الفرق العظيم بينهما . هذا من جهة ، أما من حيث الدلائل الفنية التي لا تقبل الشك ، فهناك ما يدل على ان النهر الذي كان يأخذ مائه من القاطول الكسروي وينتهي الى داخل حصن القادسية هو نهر قديم للغاية وانه واسع بحيث لا يمكن ان تتصور عمله من قبل المعتصم ، إذ لم يكن لدى المعتصم الوقت السكافي لقيامه بمثل هذا المشروع الضخم .. هذا الى ان هناك دلائل تؤيد لنا بأن الحصن انشئ في نفس الوقت الذي انشئ فيه «النهران» وذلك بين صدرية (مجرى القائم ومجرى الصنم) ، كما ان هناك دلائل ثابتة تؤيد ان النهر الذي ينتهي الى الحصن انشئ بعد ان اقام كسرى مشروع القاطول الأعلى الكسروي ثم هجر النهر ومعه الحصن بعد ان هجر مجرى القائم الذي يقع عليه الحصن في اواخر عهد كسرى عند ما حفر مجرى القورج مكانه . ولا يخفى ان مجري القائم والصنم كانا مندربين ومهجورين وكذلك حصن القادسية ، حين قرر الرشيد ترك مجرى القورج والرجوع الى صدرية القائم والصنم باعادة حفر الاول . وقد أعاد الرشيد احياء مجرى القائم و- لكنه لم يفكر في اعادة احياء نهر القادسية القديم الذي كان يتفرع من القاطول الأعلى الكسروي وينتهي الى الحصن حيث لم يعد بحاجة اليه بعد ان هجر حصن القادسية ، على أن من المحتمل انه استغل القسم الشمالي من هذا النهر فأعاد حفر هذا القسم لايصال المياه الى حدائق قصره في «المشراحات» شمالي شرقي حصن القادسية على الضفة اليسرى لنهر القائم ، وكذلك لايصال المياه الى الاراضي المجاورة للقصر من الشرق والجنوب ما بين القاطول الأعلى ومجرى دجلة القديم^(١) . والدليل على هذا الاحتمال اننا نجد عدداً من المجاري المندرسة في صدر هذا النهر يرجح أن بعضها حفر في زمن الرشيد لغرض المذكور . وعلى كل فان وجود كثرة هذه المجاري في الصدر يدل على انه كان يصعب ادخال المياه الصيفية في النهر نظراً لعدم وجود ناظم أو سد على

(١) راجع البحث الذي تقدم حول «قصر المشراحات» في ص ٢٣٩-٢٤١

يجرى القاطول الأعلى الذي يمكن حجز المياه أمامه ورفع مناسيبها لتأمين دخولها الى النهر في كل المواسم حسب مقتضى الحاجة ، وسنرى كيف تلافى المتوكل ذلك عندما اعتزم انشاء حدائقه في « المشرحات » ، ولعل السبب في عدول الرشيد عن انجاز المدينة التي كان ينوي انشاءها في هذه المنطقة صعوبة إيصال المياه اليها في كل مواسم السنة بصورة منتظمة .

كل هذه الدلائل مجتمعة تثبت لنا ان سور القادسية انشيء في نفس الوقت الذي انشيء فيه النهروان (أي في عهد الفرس) وانه انشيء جريباً على العادة المألوفة في ذلك الوقت ، وهي اقامة حصون منيعة على صدور الجداول المهمة للمحافظة عليها والحيلولة دون وقوعها بيد العدو ، إذ يؤدي استلاؤه عليها الى قطع الماء عنها . ولا شك في أن هذا الحصن انشيء في الوقت الذي كانت البلاد مهددة بغارات الرومان وغزوم دوماً . وإذا سلمنا بالنظرية القائلة بأن مشروع النهروان نفسه كان في الأصل مشروعاً عسكرياً دفاعياً أكثر منه زراعياً يسهل علينا ادراك ضرورة وجود مثل هذا الحصن على صدر النهر^(١) .

وأخيراً فان هناك نقطة لا بد من الاشارة اليها وهي ان اللبن الذي انشيء به حصن القادسية أقرب إلى أحجام اللبن أو الآجر الذي استعمله الفرس في بناياتهم منه إلى أحجام اللبن أو الآجر الذي استعمله العرب ، وقد لاحظنا ان حجم اللبن الذي بني به حصن القادسية (وهو $٤٧ \times ٣٠ \times ١٥$ سنتيمتراً) قريب جداً من حجم الآجر المستعمل في بناء السد الفاطمي المبني في ذناب القاطول الأعلى الكسروي ، وهو السد الذي لا مجال للشك في انه من آثار الفرس . وهناك أبنية أخرى مبنية بلبن من هذا الحجم وهي من الأبنية التي ثبت رجوعها الى عهد الفرس أو الى ما قبله . وعني بها « قلعة الناي » التي بنى سورها

(١) راجع البحث الذي تقدم في صفحة ١٥٧ .

بلبن حجمه (٤٥ × ٤٠ × ١٥ سنتيمتراً)^(١) و « جدار المطبق »^(٢) و « وقلمة أم الرؤس »^(٣) المبنيين با كبر أنواع اللبن القديم .

ولا بد من الاضافة في هذا الصدد الى اننا لم نعرث أثناء تجوالنا الكثيرة في خرائب سامراء العربية على بناء مبني بلبن يضاهي حجمه حجم اللبن الذي انشئ به حصن القادسية .

١٤ - رأى هرزفيلد في سور القادسية ونهر أبي الجندر

يعد الدكتور هرزفيلد حجة في أمور سامراء القديمة فهو العالم الغربي الوحيد الذي انصرف الى دراسة هذه المنطقة دراسة علمية دقيقة وقد ألف فيها عدة كتب ، وقد اتصلت مديرية الآثار العراقية العامة بهذا المستشرق مستمزجة آراءه حول القادسية وموضع المشرحات وغيرها من الامور المتعلقة بتاريخ المواقع الأثرية في سامراء ، وكان ذلك على أثر ما نشرته في بعض الصحف عن نتائج دراساتي في منطقة سامراء ولا سيما ما يختص بموقع « المشرحات » الذي لم يكن لدائرة الآثار علم به قبل ذلك . وقد أجاب الدكتور هرزفيلد على طلب الدائرة المذكورة بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٤٧ مبيناً آراءه حول ذلك ، واليك ما ذكره عن سور القادسية في جوابه ، قال : « لقد اصدم في تعيين موقع منشآت المعتمد الأولى المهجورة في مكان اطلال القاطول في جنوب سامراء ، وقد

(١) حول القلمة المذكورة راجع البحث الذي تقدم في صفحة ٢١٤ (حاشية ١)

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن « جدار المطبق » في صفحة ١٧٥

(٣) « قلمة أم الرؤس » بناء يقع على الضفة نهر الفرات الشرقية على بعد حوالي اربعين كيلومتراً من شمالي الفلوجة وهو مبني بأكبر انواع اللبن القديم ايضاً ، وتشبه هذه القلمة في شكل بنائها « قلمة الناي » فتشتمل على ساحة مربعة مسورة بجدار عال يبلغ طول ضلعه حوالي ١٥٠ متراً . ويقول الاهلون انهم عرفوا في هذه القلمة على مقبرة وضعت جنب الموتى فيها داخل أواني من الفخار مما يدل على ان البناء يرجع الى العهد القرني .

كنت اعتقد بأن البناء المثلث الكبير (ويقصد سور القادسية) هو المدينة التي أقامها الرشيد على القاطول إلا اني وجدت أخيراً بأن هذه البناية غير السكاملة من منشآت المعتصم المهجورة أيضاً « (١) . رقد بعث الدكتور هرزفالد بجوابه هذا الى دائرة الآثار قبل أن يقف على ملاحظاتي المذكورة حول الموضوع ، ولما ارسلت اليه خلاصة المحاضرة التي القيتها في نادي القلم العراقي حول الموضوع والتي نشرت في بعض الصحف في حينه (٢) ، وبعد ان شرحت له خلاصة ما توصلت اليه من نتائج بعد اجراء تحقيقاتي في منطقة سامراء (وهي نفس النتائج التي شرحتها في مؤلني هذا) أجبني في كتابه المؤرخ ٢٩٩ آب ١٩٤٧ ، أي بعد ارساله كتابه الى مديرية الآثار العامة بحوالي الشهر ، قال مانصه : « بناء على مذكراتي المدونة قبل عشر سنوات اني أويد كل ما ذهبتم اليه بمقاسم تقريباً عدا ما جاء حول سور القادسية المثلث الذي لا يزال مشكوكاً في امره . فيظهر ان البناية هذه غير كاملة وعلى المرء ان يلاحظ أيضاً احتمال كون البناية من عمل هرون الرشيد . وهناك المسألة الكبرى ، هي مسألة قاطول ابى الجند ، كما ان هناك بالطبع القاطول السكسروي الذي يتصل بمشروع النهروان والذي يرجع الى العهد الساساني . اما بناية سور القادسية فاني أتردد في اعتبارها ساسانية (٣) .

(١) وهذا نص قوله باللغة الانكليزية : -

« You are right in identifying the ruins on the Qatul south of Samarra with the first , abandoned foundation of al Mu ' tasim . After first having thought that the big octagon was the villa of Harun Al-Rashid on his Qatul, I later found out that this unfinished building belongs also to the abandoned foundation of Al-Mu' tasim. »

(٢) راجع جريدة البلاد ، الاعداد الصادرة في ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٢٣ آذار سنة ١٩٤٧

(٣) وهذا نص قوله باللغة الانكليزية : -

« I agree (the text was written 10 years ago) with almost every point you say only the great =

وقد ذكر لنا الدكتور هرزفيلد في جوابه أيضاً أنه قائم بطبع الجزء السادس من مؤلفه عن سامراء وفيه على ما يقول بحث وخرطة عن هذه الأماكن، إلا أن الجزء المذكور لم يصلنا ومؤلفنا هذا مائل للطبع.

يستفاد من ملاحظات هرزفيلد المذكورة أنه لا يزال متردداً في أمر سور القادسية وأنه لم يستطع أن يتوصل إلى رأي ثابت حول ذلك، فبعد أن أيد إلى دائرة الآثار أنه انتهى إلى الرأي القائل بأن سور القادسية من عمل المعتصم بعد أن كان يعتقد أنه من عمل الرشيد، يرجع فيرجح في كتابه الينا أن بناء السور قد يرجع إلى عهد الرشيد، ويضيف إلى ذلك قوله أن ما يتعلق بتاريخ انشاء هذا السور لا يزال مشكوكاً فيه. ويتضح للقارىء من ملاحظات هرزفيلد أيضاً أنه يعتبر قضية «نهر أبي الجند» عويصة لم يستطع التوصل إلى حقيقة أمرها. ولذلك نراه قد أحجم عن ابداء أي رأي حوله في كتابه الينا، مع أنه بين بعض الملاحظات عنه إلى دائرة الآثار في كتابه الموجه إليها قال فيه مانصه :
 « ان المجريين الذين لا يزالان موجودين والذين يسيران من الغرب إلى الشرق (ويعني بذلك مجريي القائم والصنم) هما قاطولا اليهودي والمأموني وكلاهما يعودان إلى ما قبل عهد المعتصم . اما الثالث وهو المجري الرئيسي - قاطول الرشيد المسمى ابو الجند - فكان موازياً للمجريين المذكورين من الجنوب وقد لاحظت آثار قطعيتين أو ثلاث منه في الضفة الجنوبية الحالية من سهل سامراء

= octagon of Qadissiyah itself remains doubtful; it is evidently an unfinished building, and one must also consider Harun Al-Rashid as possible author « the great problem of the Qatul abu'l Jund ». Of course there was a Sassanian Qatul Al - Kisrawi, connected with the Nahrawan system, but I hesitate to consider Qadissiyah as Sassanian . »

المرتفع . والارجح ان ابا الجند كان يجتاز ملتقى العظيم بدجلة فيسير الى بعض المسافة موازياً القاطول الكسروي الذي يأتي من الشمال حتى يجتمع الاثنان فيكونان النهروان . والذي حدث في زمن المستنصر هو أن نهر دجلة ترك مجراه المستقيم من جنوبي القادسية مباشرة وتحول في قعر قاطول أبي الجند ، وعلى أثر ذلك انشأ المستنصر نهر دجيل (الشطيح) في وسط قعر دجلة القديم اليابس (١) .

وفي رأينا ان كل هذا بعيد عن الصواب وقد شرحنا تفاصيل الوضع في الفصول المتقدمة ووضحنا حوادث انشاء نهر القورج ، ثم اعادة حفر نهر القائم على عهد الرشيد وهو النهر الذي سمي بأسم « أبي الجند » ، واخيراً تحول نهر دجلة في مجرى القورج للأسباب التي اوردناها في هذا الخصوص (٢) . فيتضح

(١) وهذا نص قوله باللغة الانكليزية : -

«The two branches still existing (running w to E) are the Q. al - Yahudi and al-Ma 'muni , both older than al - Mu 'tasim . The third and main branch , the Q. abul - Jund of Harun , ran parallel to them in the south . I observed two or three traces of it in the present southern bank of the higher level of the Samarra plain . The abul-Jund must have passed the modern junction of Adaim and Tigris and have paralleled for some distance the continuation of the Q . al - Ki srawi , coming from the north , until both become the «Nahra - wan » . What happened at the time of al-Mustansir was that the Tigris left the straight line of its bed just below Qadissiyah and broke into the bed of the abu - l - jund . Mustansir , then , built the Dujail (shutait) canal in the dry bed of the old Tigris . »

(٢) راجع البحث الذي تقدم في ص ٢١٢ و ٢٢٦ و ٢٢٩

من ذلك ان آثار القطعتين أو القطع الثلاث من النهر التي لاحظها هرزفد في الضفة الجنوبية الحالية من سهل سامراء المرتفع ما هي إلا بقايا « نهر القورج » الذي احتله نهر دجلة بعد تحوله الى الشرق . ويستفاد من ملاحظات المشار اليه انه لم يتتبع موضوع نهر القورج وتطورات هذا النهر الذي لعب دوراً خطيراً ليس في تاريخ ري سامراء حسب وانما في تاريخ بغداد نفسها أيضاً . اما نهري « اليهودي » و « الماموني » اللذين يشير اليهما هرزفد ويرى انهما كانا يسيران في اتجاه نهري القائم والصنم فهما النهران اللذان ذكرهما ابن سراييون وقد شرحنا رأينا عنها في البحث الذي يلي (١) .

والظاهر انه لم يكن لدى هرزفد مجال لدراسة جغرافية منطقة سامراء القديمة وهي الدراسة التي تتصل بتاريخ الانهر وتطورات مجرى دجلة في تلك المنطقة اتصالاً مباشراً ، وقد حصر اهتمامه في الحفريات الأثرية في الاماكن البارزة كـ « بيت الخليفة » و « المنقور » و « العاشق » ، وعلى هذا انحصرت بحائه ودراساته كلها تقريباً في الأبنية والاساليب المتخذة لترينها وتزويقها وتحسينها ، أي الصنائع الفنية الاسلامية كالنقوش والزخارف الجصية والتخاريم وغيرها من الآثار المتعلقة بذلك ، ولا شك انه خدم بهذا الفن العربي خدمة جليلة يقدر عليها كل تقدير .

١٥ - موقع منشآت المعتصم على القاطول

أما المنشآت التي أقامها المعتصم في هذه المنطقة قبل ان ينتهي الى سامراء فهناك مصدران يمكن الاستعانة بهما على تعيين مكانها ، أولها ما دونه المؤرخون من ان المدينة التي انشأها المعتصم تقع على دجلة وعلى القاطول ، وثانيها بقايا الابنية التي تشاهد في هذه المنطقة . والذي نستخلصه من المصدر الأول هو أن

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « نهر نيزك وقواطيل ابن سراييون الثلاثة » في الفصل السادس [مادة ٤] .

المدينة بما فيها القصر كانت على ضفتي نهر الصنم الأسفل ، شرقي سور القادسية . وينطبق هذا المسكان تماماً على وصف المؤرخين للمنطقة التي أنشئت فيها المدينة ، فإن هذا الموضع ، كما ذكر المؤرخون ، ضيق لا مجال فيه للتوسع كما أن أراضيه مكونة من حصص وافهار لا تساعد على البناء (١) . وكل هذا يدلنا على أن المعتصم كان يحرص كل الحرص على أن يجعل مدينته تشرف على نهر دجلة وتتصل به على طول امتدادها ، بغية جعل بنايات السكن قريبة من ضفته مما يسهل نقل مياه الشرب إليها ، وهكذا فقد انحصرت المدينة في المنطقة الضيقة الواقعة بين الضفة اليمنى لمجرى القائم والضفة اليسرى لمجرى الصنم وفي منطقة الساحل الضيقة التي على دجلة وهي المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الصنم ، كل هذا حرصاً على تحقيق رغبة جعل المدينة متصلة بدجلة . أما الأبنية التي على ساحل دجلة والواقعة على الضفة اليمنى لنهر الصنم فقد اكتسحها مجرى دجلة كما اكتسح مجرى الصنم نفسه بحيث لم يبق أي أثر يستدل به على هذا المسكان . واما الأبنية التي على الضفة اليسرى من نهر الصنم فلا تزال آثارها ماثلة للعيان يمكن مشاهدتها بين مجرى القائم ومجرى الصنم ، شرقي سور القادسية ، وهي مؤلفة من عمارات متقطعة مبنية بالابن والطين عدا القصر الذي في تل الاصبعين (وهو القصر الذي بناه المعتصم على ما نعتقد) ، فهو مبني بالآجر ، ويستدل من آثاره على انه كان قصراً واسعاً . اما حصن القادسية الذي يقع غربي أبنية المعتصم فالأرجح ان المعتصم استعمل ساحته لنصب الخيم ، ولعل الابنية الطينية التي في داخل الحصن انشئت من قبله في ذلك الوقت أيضاً لسكنى قواد الجيش وعوائلهم .

١٦ - مَسَمَاتُ الْمُعْتَصِمِ عَلَى الْقَاطُولِ وَ « الطول الاصبهرت »

نستخلص مما تقدم ان حدود مدينة المعتصم لم تتعد حدود الضفة اليمنى

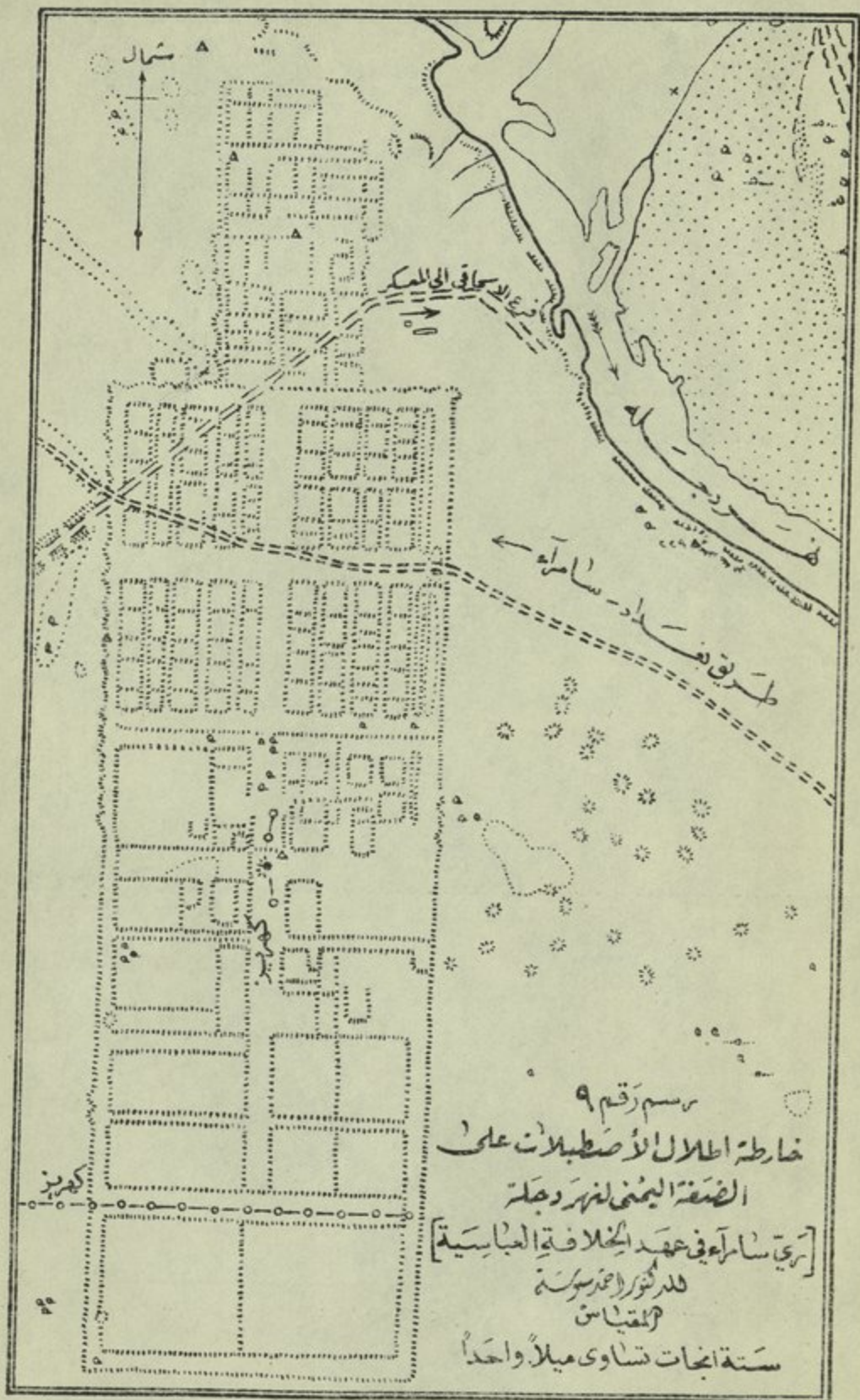
(١) راجع وصف اليعقوبي الذي تقدم في ص ٢٢٧ و ٢٥٤

لمجرى القائم لأن المنطقة الشمالية التي على الضفة اليسرى لمجرى القائم ، أي منطقة «المشحات» التي بنى بها الرشيد قصره ، منطقة واسعة جداً وفيها من الأراضي السهلة الخالية من الحصى ما يحقق التوسع المطلوب فيما لو رغب المعتصم أن يبتعد عن نهر دجلة ويتجه نحو تلك المنطقة . وعلى هذا فإنا نعتقد ان المعتصم كان قد رسم في ذهنه خطة ترمي الى بناء مدينته الجديدة على نهر دجلة وجعل التوسع على طول مجرى النهر على ان يستفاد من ضفتيه في هذا التوسع عند الضرورة ، وهي الخطة التي اتبعها بعد ذلك في تخطيط مدينة سامراء ، الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بأن بقايا أبنية «الاصطبلات» الواقعة أمام مدينة المعتصم والتي تمتد على طول الجانب الايمن من دجلة هي من بقايا أبنية المعتصم ، وهي الثكنات التي بناها لجنوده والاصطبلات التي انشأها لخيوله . وهناك ما يدل على ان هذه الثكنات بقيت مشغولة من قبل الجيش العباسي بعد انتقال المعتصم الى سامراء ولعلها استعملت في عهد الخلفاء الذين جاؤا من بعده أيضاً. اما العامل الذي حمله على بناء هذه الثكنات في الجانب الغربي من دجلة فهو نفس العامل الذي حمله بعد ذلك على عزل سكن الجيش عن سكن أهل المدينة في سامراء ، ولا يخفى ان هذا العامل هو العامل الأساسي الذي حمله على ترك مدينة بغداد وانشاء مدينة جديدة ، بحيث يتسع له المجال فيها لفصل سكن الجيش عن الاهلين وعزل أقسام الجيش حسب عناصرهم الواحد عن الآخر . ولا شك في أن المعتصم كان ينوي اقامة جسر هناك كما فعل بعد ذلك في سامراء (١) .

١٧ كهريز المعتصم في القادسية

وبلاحظ ان المعتصم انشأ كهريزاً لا يصلح مياه الشرب الى مدينته الجديدة

(١) حول معسكر «الاصطبلات» المذكور راجع ماتقدم في ص ٩٣-١٠٣ والرسم رقم ٩ .





البحر
 مدينة القاهرة
 مدينة الإسكندرية

مدينة الإسكندرية
 مدينة القاهرة
 مدينة الإسكندرية

١٧
 مدينة القاهرة
 مدينة الإسكندرية
 مدينة القاهرة

على القاطول^(١) فيستمد هذا السكهريز المياه من نهر دجلة في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين من شمالي صدر نهر الصم ثم يسير شرقاً باتجاه حصن القادسية فيخترقه من جهته الشمالية حتى ينتهي الى بنايات مدينة المعتصم شرقي الحصن . وقد انشيء هذا السكهريز في مجريين متوازيين احدهما خاص بموسم الفيضان والثاني خاص بالموسم الصيفي . ويبلغ طول هذا السكهريز من صدره حتى بنايات المعتصم زهاء اربعة كيلومترات (راجع الرسم رقم ٨) . وانشاء هذا السكهريز يؤيد ما ذهبنا اليه من أن نهر القادسية الذي كان قد حفره كسرى لحمل المياه من القاطول الكسروي الاعلى الى حصن القادسية كان مندرساً في زمن المعتصم ، إذ لو كانت هذا النهر عامراً في ذلك الوقت لما احتاج المعتصم الى انشاء هذا السكهريز لايبصال المياه الى المنطقة المجاورة للحصن .

ويظهر ان انشاء السكهريز كان من الاعمال المألوفة في منطقة سامراء ، وكان يلجأ اليها في اكثر الحالات المستعجلة التي تتطلب السرعة لايبصال المياه الى امكنة السكن نظراً لما في عمل السكهريز من توفير في عمليات الحفر باعتبار ان السكهريز لا يحتاج الى غير نفق ذي حجم محدود ، ولنا في الكهريز الذي انشأه المتوكل لايبصال المياه الى مدينة المتوكلية ، قبل اتمام حفر نهر المتوكل^(٢) ، دليل شبه بعمل المعتصم الذي يرمي الى ايبصال المياه الى أبنيته شرقي سور القادسية .

١٨ - مرائب «المشروعات» ومربزة المعتصم على القاطول

بناء على ما تقدم لا يسعنا إلا أن نرى فيما ذكرته دائرة الآثار العراقية على لسان مديرها العام معالي الدكتور ناجي الأصيل في مقال « مدينة المعتصم

(١) السكهريز هو المجرى الذي يحفر على شكل نفق تحت الأرض لسحب المياه الجوفية به واسانها الى الاراضي الزراعية سيجاً (راجع البحث التالي الخاص بنظام ري السكهريز في الفصل الخامس) .

(٢) راجع البحث التالي عن كهريز المتوكلية في الفصل التاسع .

على القاطول»^(١) من أن خرائب «المشراحات» الواقعة على الضفة الشرقية للقاطول (مجرى القائم) من جملة بقايا قصر المعتصم تسرعاً ظاهراً وان استنتاجها هذا غير مبني على دلائل مقبولة سواء أكانت تاريخية أو واقعية. فلو كان امتد بناء المعتصم الى منطقة المشراحات الواقعة على الجانب الأيسر للقاطول (مجرى القائم) لما ذكر اليعقوبي بأن «المسكان الذي انشأ فيه المعتصم أبنيته على القاطول ليس فيه سعة وان أراضيه متكونة من حصى وافهار بحيث يصعب البناء عليها»، لان البقعة التي في جهة المشراحات تؤلف أوسع بقعة من أراضي سامراء السهلة الخصبة التي تصلح لانشاء البساتين والدور وهي تقع بين القاطولين (القاطول الأعلى الكسروي وقاطول الرشيد الأسفل) فتمتد الى مسافة حوالي عشرين كيلومتراً في الطول وزهاء أربعة عشر كيلومتراً في العرض، ويمتاز موقع هذه البقعة بسهولة إيصال المياه اليها سيحاً من القاطول الأعلى. هذا كما ان منطقة «المشراحات» علاوة على سعتها تتكون من تربة خصبة ليس فيها حصى ولا افهار. ثم لو كان مشروع النهر الذي انشيء في تلك المنطقة لايصال المياه الى حصن القادسية^(٢) وبناء «المشراحات» من عمل المعتصم لما كان هناك ما يحمله على الانتقال الى سامراء ولا سيما وانه يتمذر انشاء مثل هذا المشروع الممتاز في أي مكان آخر من تلك المنطقة. كل ذلك يؤيد استنتاجنا المتقدم وهو ان المدينة التي شرع المعتصم في بنائها على القاطول ثم استبدل مكانها بموقع سامراء تقع على الضفة اليمنى لمجرى القائم في جوار «حصن القادسية» الذي كان قد انشأه الفرس من قبل، ممتدة من تلك الضفة غرباً الى نهر الصنم الأسفل (مجرى القاطول الشتوي) ثم الى ضفة نهر دجلة غربي نهر الصنم. اما موضع المشراحات فهو مكان قصر الرشيد بالأصل ثم انشيء فيه قصر الجير والبركة التي أمامه وهي البركة

(١) راجع ما تقدم في ص ٢٥١-٢٥٢

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن النهر المذكور في ص ١٥٢ و ٢٤١ و ٢٤٩-٢٥٠

التي استخلصنا من تتبعاتنا انها بركة البحري نفسها . وان أوضح دليل على أن قصر الحير والبركة من عمل المتوكل هو ان السور الذي يحيط بالمشرحات ، وهو السور الذي يضم حير الحيوانات وينتهي الى قصر المشرحات في الجنوب^(١) ، متصل في زاويته الجنوبية الغربية بالسور الذي يحوط مدينة سر من رأى من جهة الشرق ، فيتمد السور الأخير من الزاوية المذكورة الى قصر بركوارا غرباً ومن ثم الى جامع الملوية . وهناك من الدلائل أيضاً على ان النهر القديم الذي يتفرع من القاطول الاعلى وينتهي الى حصن القادسية اعيد حفره ، كما اعيد تنظيم مصدر مياهه في القاطول الاعلى على عهد المتوكل . وقد قام المتوكل بهذه الاعمال خلال الثلاث عشرة سنة التي قضاها في سامراء قبل أن ينتقل الى المتوكلية .

وأخيراً لا بد من الاشارة الى ما ورد من تناقض في مقال « مدينة المعتصم على القاطول » فبينما يزعم صاحب المقال ، وهو واثق كل الوثوق من استنتاجاته بأن « خرائب قصر المشرحات مع بركته والمباني القائمة على جانبيه ليست إلا المدينة التي ابتناها المعتصم على القاطول^(٢) » يعود فيشكك فيما اعتبره استنتاجاً قاطعاً فيقول « واننا سننتهز الفرصة لاجراء تنقيبات علمية في بعض أقسام مدينة المعتصم لاظهار معالم القصر وغيره من الأبنية ، والاطلاع على دفائنها ، فلعل في ما تبطن ما يفصح عن سرها ويؤيد ربطها بعصر الخليفة المعتصم بالله^(٣) . »

(١) راجع البحث عن حير الحيوانات في الفصل السادس .

(٢) عدد تموز ١٩٤٧ من مجلة « سومر » ص ١٦٩

(٣) نفس المصدر ص ١٧٠

قناة المتوكل

١ - نهر

كان المعتصم قد اكتفى بجعل عاصمته « سامراء » تمتد على عازاة دجلة في الطول ليسهل حمل مياه الشرب من نهر دجلة في الروايا على البغال وعلى الابل ، ولذلك لم يفكر في القيام بمشروع ري كبير يؤمن ايصال المياه الى قلب العاصمة ، وقد رأى أن يوجه عنايته الى الجهة الغربية من دجلة، حيث وجد هناك امكانيات أوسع لإنجاز مثل هذه المشاريع فقام بذلك فعلاً منشكاً نهر الاسحاطي كما تقدم ذكره (١).

ولكن المتوكل، وهو الذي كان له ولم خاص بمثل هذه المشاريع العامة، بحيث يصح لنا القول أنه كان من أحرص الهواة في هذا المضمار، لم يقنع بهذا ، ولذلك فقد بذل قصارى جهده لتحقيق مشاريع الري على الجانب الذي تقع فيه عاصمته ليتسنى له الابداع في تنسيق بناياته وحدائقه وقصوره من جهة ، والتوسع نحو الشرق دون أن يخشى الابتعاد عن ساحل النهر من الجهة الاخرى، وهكذا فكان أول مشروع قام به بعد توليه عرش الخلافة المشروع المعروف بـ «قناة المتوكل» أو «قناة سامراء» الذي يؤمن ايصال المياه الى عاصمته سامراء بطريقة الري الجوفي المعروف بـ «ري الكهاريز» .

ويشتمل هذا المشروع على كهريزين ضخمين ، يستعمل احدهما في الشتاء والآخر في الصيف ، وهما يستمدان المياه من نهر دجلة شمالي الدور (دور تكريت)

(١) راجع البحث الذي تقدم عن نهر الاسحاطي في صفحة ٧٩

فيسيران مسافة حوالي أربعين كيلومتراً حتى يصل إلى قلب العاصمة « سرّ من رأى » ، وقد مدّ المتوكل هذين الكهريزين إلى الجنوب فيخترقان « المطيرة » ثم يسيران حتى يصلوا إلى جوار القادسية . وبفضل هذا المشروع تمكن المتوكل من إنجاز مشاريعه الجبارة في قلب العاصمة والتوسع شرقي مدينة سامراء باتجاه منطقة الحير ، ومن أهم هذه المشاريع إنشاء حوض للسباحة خلف قصر الخليفة « دار الخليفة » ، وهو الحوض المعروف اليوم باسم « بركة السباع » ، ثم البركة الواسعة التي في الجهة الشمالية الغربية من بركة السباع^(١) ، وأخيراً حلبة السباق وتلها الذي يشرف عليها المعروف باسم « تل العليق » ، وهي الحلبة التي أنشأها المتوكل في جهة الحير والتي كان لا بد من إيصال المياه إليها لرشها دوماً ودك الاتربة التي تهبها حوافر الخيل^(٢) . وهذه القناة هي التي مكنت المتوكل من ترميم المسجد الجامع الذي أنشأه في أول الحير بالمياه الدائمة فجعل فيه على حسب قول البيهقوبي « فوارة ماء لا ينقطع ماؤها » . وقد وصف ياقوت الحموي هذا المشروع في معجمه وقال في وصفه : « واشتق المتوكل من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء^(٣) » .

وجاء في تاريخ الطبري ذكر هذه القناة في عدة مناسبات فسكان يطلق عليها اسم « القناة » دون ذكر اسم سامراء مما يدل على أنها كانت من الأعمال الرئيسية العامة المشهورة في ذلك الوقت . فن جملة الحوادث التي جاء فيها ذكر القناة حادثة قتل أبي نصر في دار الجوسق على عهد المهدي ثم لقاء جثته في بئر من آبار القناة^(٤) .

(١) حول هاتين البركتين راجع ما تقدم في ص ٦٨ و ٦٩ و ١٤١ والبحث التالي الخامس بهما في هذا الفصل .

(٢) حول هذه الحلية وتلها راجع ما تقدم في صفحة ١١٧

(٣) حول الجامع المذكور وفوارته راجع ما تقدم في صفحة ١١١

(٤) الطبري (٣ : ١٨١٩ ، ١٨٣٤)

وقبل ان نتطرق الى البحث عن مشروع « قناة المتوكل » هذا قد يكون من المفيد ان نعرض صورة مجملية لنظام ري الكهاريز ، وهو النظام الذي اتقنه الاقدمون من آشوريين وكلدانيين وفرتيين وساسانيين ومن بعدهم العرب فطبّقوه في منطقة سامراء كما طبّقوه في المناطق الشمالية .

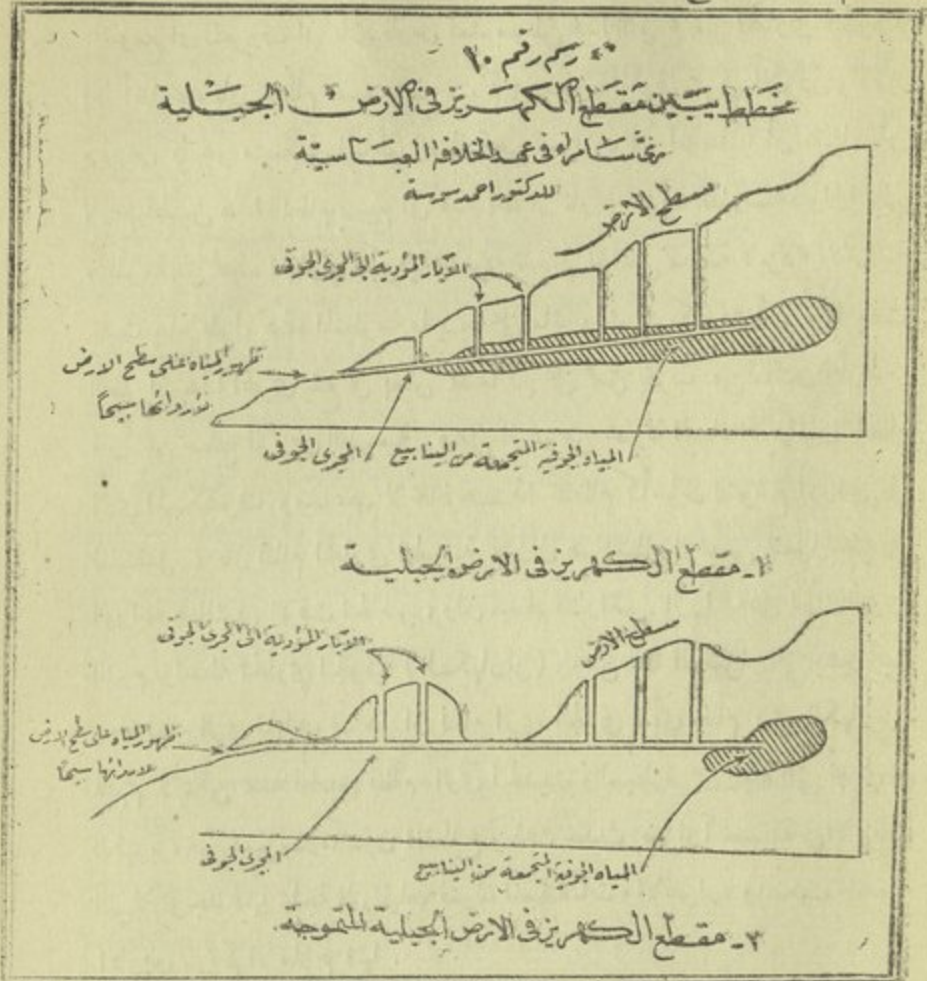
٢ - نظام ري الكهاريز

والكهاريز مجرى على شكل نفق تحت الارض لسحب المياه الجوفية التي تنبع من العيون هناك واسالتها الى الاراضي الزراعية سيجاً . والعادة ان تحفر آبار على مسافة معينة على طول النفق لرفع اتربة المجرى بواسطة ، ثم تستعمل هذه الآبار كنفوذ هوائية الى النفق كما تستعمل أيضاً للنزول منها الى النفق اذا ما اقتضى نزحه أو تنظيفه من الترسبات والعوائق التي قد تحول دون جريان المياه فيه . وتغطي عادة هذه الآبار ببناء ذي باب عند فوّهاتها على سطح الارض لمنع تسرب الاتربة الى المجرى الذي تحت الارض فتفتح الابواب للنزول الى المجرى عند اللزوم . وتختلف المسافات بين بئر واخرى حسب طبيعة الارض، فهي تتراوح من خمسة امتار الى عشرة امتار وتمتد الى عشرين متراً في بعض الاحيان ، وتسير هذه الآبار في اتجاه واحد الى مسافة طويلة وهي تدل على اتجاه الكهاريز وطوله (راجع الرسم رقم ١٠ - مقطع الكهاريز في الاراضي الجبلية) .

ويطبق عادة هذا النظام في الاراضي الجبلية المتكوّنة من مواد متماسكة كالأحجار المتصلبة والصخور المترجّة مع المواد الصلبة حيث تحول هذه المواد المتصلبة دون انسداد المجرى الجوفي .

اما الاراضي الجبلية المتموجة التي ترتفع تارة وتنخفض طوراً ، فيسير المجرى فيها على شكل نفق تحت الارض في الاقسام المرتفعة من الاراضي ثم يظهر على

سطح الارض على شكل جدول مكشوف في الاراضي المنخفضة (راجع الرسم
رقم ١٠ - مقطع الكهرز في الاراضي الجبلية المتعوجة) .



والكهرز تسمية محلية، ولعلها انجمية، اطلقت في العراق على المجرى الجوفي مدار
البحر، اما العرب فقد اطلقوا عليه اسم «قناة» واطلقوا على الآبار التي على طول
القناة «فقر» مفرداً «فقير» (راجع التخصص). وقد جاء في «المرصد» ان
القناة وجمعها القنا آبار ينحرف بعضها الى بعض حتى يظهر ماؤها على جميع الارض.
ويظهر ان تسمية «قناة» فارسية الأصل حيث لا تزال هذه التسمية حتى الآن
مصطلح عليها في ايران للدلالة على الكهرز .

٣ - نظام ري السكهاريز في بلاد فارس

ومع ان المعروف ان بلاد فارس تعد موطن هذا النوع من المجاري الجوفية إلا أننا نجد بان النظام نفسه متبع اليوم في سورية^(١) وفي شرقي الاردن واعدن وقبرص كما هو متبع في المناطق الشمالية من العراق ، على انه علينا أن نقول بأن تاريخ تطبيق هذا النظام يرجع الى أقدم اطوار تاريخ المدينة الفارسية، وان اعظم منظومة من هذه المجاري الجوفية القديمة تقع في نواحي مدينة «يزد» الإيرانية حيث يبلغ طول هذه المنظومة ما يربو على مائة وعشرين كيلومتراً ، ومما يلتفت النظر ان هذا المجرى يقع في بعض الاماكن على عمق يقرب من مائتين وأربعين متراً عن سطح الارض الطبيعية . وعلى الرغم من محاولة الدعاة الإيرانيين لنظام الري المكشوف ومساعدتهم لاتخاذ هذا النظام كأساس للتوسع الزراعي في المستقبل ، فان نظام المجاري الجوفية لايزال هو النظام الرئيسي المعمول عليه في الزراعة هناك في الوقت الحاضر ، وان معظم الاراضي الزراعية في إيران تروى اليوم بواسطة المجاري الجوفية (السكهاريز) . ومن جملة الاضرار التي يشير اليها دعاة نظام الري المكشوف هو ان نظام الري الجوفي ، أي نظام ري السكهاريز ، قديم لا يمكن معه تطبيق نظام الري الحديث والسيطرة على المياه التي تجري في الكهريز، فهي تسيل دوماً دون انقطاع وبذلك تحدث أضراراً جسيمة في الاوقات التي لا توجد فيها حاجة الى المياه، فتولد المستنقعات والاهوار، وتضعف خصوبة الارض بتراكم الاملاح فيها .

٤ - نظام ري السكهاريز في العهد العربي

ويدلنا التاريخ على ان العرب كانوا قد برعوا في الاعمال الهندسية منذ أقدم

(١) يوجد في سورية على مابلغنا من المصادر السورية الرمية اكثر من خمسمائة قناة (مجرى جوفي) وتسمى القناة هناك « بخارة » وقد سميت بالفرنسية « موغارة » ، ويلاحظ ان كلمة « كهريز » مصطلح عليها هناك للدلالة على مجرى المياه القنطرة (Sewer) .

«الأزمنة» ، وهناك ما يدلنا على انهم ثبتوا في كتبهم القواعد الاساسية لعلم الري والمساحة . ومن جملة كتبهم عن هندسة السكهاريز واستنباط المياه كتاب «انبات المياه الخفية» تصنيف أبي بكر محمد حسن الحاسب السرخي (٥٤٠٧ - ١٠١٦م) الذي يبحث في الامور المتعلقة بهندسة السكهاريز وبعلم المساحة والتسوية . ومن عجيب ما يلاحظه المرء في هذا الكتاب ان الاصول التي كانت متبعة في ذلك العهد لا تختلف بشيء عن الاصول المتبعة في أيامنا هذه إلا بالوسائل والآلات التي انتجها التقدم العصري . فالكتاب المتقدم ذكره يحتوي على معلومات قيمة عن كيفية حفر السكهاريز وصيانتها وسائر الامور المختصة بالهيدرولوجية (علم خصائص الماء) . ويلاحظ القارئ في هذا الكتاب مصطلحات فنية غريبة اغلبها يرجع الى أصل فارسي . وأهم ما نستدل به على اهتمام العرب بمشروعات السكهاريز واستنباط المياه الجوفية ما كتبه مؤلف هذا الكتاب في مقدمة كتابه قال : «لست اعرف صناعة اعظم فائدة واكثر منفعة من انبساط المياه الخفية التي بها عمارة الارض وحياة أهلها والفائدة العظيمة فيها» .

٥ - نظام السكهاريز الخاص في سامراء وقناة المتوكل

ويختلف نظام السكهاريز الذي كان متبعاً في منطقة سامراء عن نظام الكهاريز الاعتيادي الذي تقدم وصفه في كون المصدر الذي كانت كهاريز سامراء تستقي منه المياه هو نهر دجلة وليس المياه الجوفية (العيون والينابيع) ، لذلك نجد ان الكهاريز المذكورة أقرب الى الجداول منها الى السكهاريز ، من حيث اختلاف مناسيب المياه في النهر الذي يستمد منه السكهاريز ايراده المائي في مختلف المواسم ، ومن حيث توافر الطمي والدهاة في موسم الفيضان . وعلى هذا الأساس انشأ المتوكل قناته على شكل كهريزين ، احدها ، وهو الكهريز الاسفل ، يستعمل في موسم الفيضان عندما تكون المياه مرتفعة ومشحونة بالطين والاطيان الغرينية ، والآخر ، وهو الاعلى ، يستعمل في موسم الصيهود حين يهبط منسوب المياه في النهر ،

وللتخلص من المياه الزائدة في موسم الفيضان بغية المحافظة على الكهريز الشتوي من الانهدام من جهة ، والوقاية ضد أخطار الفرق من الجهة الثانية ، أنشأ مصارف خاصة لهذا الغرض ، فإن القسم الاعلى من الكهريز الذي كان يمر بموازاة القاطول الاعلى الكسروي كان يصرف المياه الزائدة في الضفة اليسرى من القاطول المذكور ، أما في القسم الجنوبي ، أي بعد أن يعبر الكهريز مجرى القاطول ، فإن المياه الزائدة تصرف في الضفة اليسرى لنهر دجلة . وللتخلص من الاطيان والدهلة أنشأ المتوكل أحواضاً واسعة على نمط جدول كبير مكشوف بين مسافات معينة على طول الكهريز الشتوي بغية حصر ترسب الدهلة فيها حيث يسهل رفعها من القعر الى سطح الارض . وتعرف هذه الاحواض بالانكليزية في علم الري باسم (Silt traps) ، أي صيادات الطمي ، اما في سامراء فيسمونها اليوم باسم « حدادير » ، مفرداً دحدورة ، أي الحفائر التي تنحدر اليها المياه . ويمكن مشاهدة هذه الاحواض على طول القناة الشتوية وان الاتربة التي على اطرافها المتكونة من الحفريات الاصلية ومن تطهيرات الدهلة تؤلف تلوالات عالية جداً مما يدل على كثرة الترسبات التي كانت ترفع منها بعد كل موسم من مواسم الفيضان .

يتضح مما تقدم ان الطريقة التي اتبعت في انشاء قناة المتوكل هي الطريقة المزدوجة ، حيث اتبعت الطريقتان - طريقة الري المكشوف وطريقة الري الخفي - في انجازها ، على ان ذلك لا ينفى كون القناة اشبه بالجداول المكشوفة منها بالكهريز الخفية على الرغم من انها اعتبرت من المنشآت الجوفية وسميت بالقناة .

وتوجد هناك قناة قديمة من نوع قناة المتوكل في منطقة سامراء ذاتها إلا أنها تعود على ما نعتقد الى عهد قديم جداً ولعلها ترجع الى ما قبل عهد الفرس . وهذه كانت تتفرع من نهر دجلة ايضاً في نقطة تقع قرب « الفتحة » على بعد نحو الى مائة كيلومتر من شمالي سامراء ، ففسر شرقي دجلة الى مسافة طويلة على

شكل كهريز حتى اذا ما اجتازت الأراضي المرتفعة ووصلت الى أمام قرية تكريت ظهرت على شكل جدول مكشوف مسافة قليلة ، ثم تعود فتجري على شكل كهريز تحت الارض الى مسافة طويلة في تلك المنطقة حتى تنتهي الى الاراضي السهلة المجاورة الى الملح في الحد الغربي من بحيرة الشارح . ويمكن تتبع آثار هذه القناة الى مسافة طويلة على الرغم من انها تختفي في كثير من اقسامها وهذا ما يؤيد بانها من أقدم الكهاريز التي انشئت في هذه المنطقة (راجع اللوحة رقم ١) .

ولا شك في ان مشروع قناة المتوكل يمد من اعظم مشاريع الري ، التي انشئت على عهد العباسيين في منطقة سامراء ، أن لم يكن اعظمها ، ويكفي ان نشاهد سعة القناة وهي تمر في الاقسام التي تظهر به على سطح الارض على شكل جدول مكشوف ليتسنى لنا ان نتصور جسامه هذا المشروع . فان الجدول الذي يظهر على سطح الارض شمالي « الدور » ، وهو جزء من الكهريز الشتوي ، لا يقل حجمه عن حجم نهروان نفسه ، كما ان المصرف الذي يصرف مياه الفيضان من القناة الى دجلة قرب « سور أشناس » لا يقل حجماً عن حجم أي جدول واسع . اما طول القناة التي تمتد به على شكلها المزدوج فيبلغ حوالي خمسين كيلو متراً .

٦ - وصف قناة المتوكل

تبدأ قناة المتوكل على شكل كهريز يتفرعان من الجانب الشرقي لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد نحو اربعين كيلومتراً من شمالي سامراء ، ويسير هذان الكهريزان مسافة بضعة كيلومترات موازيين الى نهر دجلة ، ثم يظهر الكهريز الشتوي على شكل جدول واسع مكشوف مسافة كيلومترين تقريباً حتى إذا ما اقترب من « الدور » عاد فأختفي واستمر في مجراه على شكل كهريز الى جانب الكهريز الصيفي . ويخترق الكهريزان بعد ذلك « قرية الدور » ثم يسيران

جنوباً بموازاة ضفة القاطول الكسروي الشرقية جنوباً حتى إذا ما بلغنا مسافة نحو عشرين كيلومتراً من جنوبي « الدور » ظهرا على سطح الارض على شكل جدولين مكشوفين، فيسيران على هذا الشكل بصمة كيلومترات ثم ينعطفان الى الغرب فيتحدان عند الكيلومتر (٢٢) من القاطول الكسروي، في نقطة تقع امام سور أشناس من الشرق ويعبران في المسكان المعروف بـ « فكة مرير » أو « الملفك » من فوق القاطول على عبارة موحدة تتهي الى حوض واسع على ضفة القاطول الغربية . وفي هذا الحوض شعبة تقاسيم مهمة تبدأ منها تفرعات كثيرة أهمها القناة الرئيسية التي توصل المياه الى سامراء ، وهذه تسير على شكل كهريز أيضاً حتى تنتهي الى سامراء . ويتفرع من هذا الحوض أيضاً مصرف واسع يبلغ عرضه حوالي ٢٠ متراً يعرف باسم نهر « مرير » ، فيصرف مياه القناة الزائدة الى دجلة في موسم الفيضان . ويسير هذا المصرف باتجاه الغرب فيترك « سور أشناس » الى يمينه ثم ينتهي الى نهر دجلة . أما طول المصرف ، بين حوض التقسيم ودجلة ، فيبلغ حوالي ثلاثة كيلومترات بين صدره عند حوض التقسيم و « سور اشناس » . ويبلغ منسوب قعره في الصدر ، أي عند حوض التقسيم ، ٦٠ ر ٧١ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط في نهايته عند سور اشناس الى ٦٨ ر ٧٠ متراً . ويستدل من الآثار المتقدمة على أنه كان على صدر هذا المصرف ناظم تنظم بموجبه كمية المياه التي تصرف الى دجلة حسب مقتضى الظروف . ويظهر مما ورد في وصف البحري أن المصرف المذكور كان يعرف بـ « الخندق »^(١).

والاعتقاد السائد أن مصرف « مرير » هذا صدر من صدور النهر وان أي انه يتفرع من نهر دجلة ويصب في القاطول الكسروي ، في حين أن المناسيب تثبت لنا بأنه ينحدر من القاطول نحو دجلة بأحدار ١ في ٣٠٠٠ كما يتضح من المناسيب المذكورة ، ولعل السبب الذي أدى الى هذا الاستنتاج هو أن المصرف

(١) راجع ما تقدم في صفحة ١٢٤ .

يبلغ من السعة في الحجم والارتفاع في الضفاف ما يضاهي بهما جدول النهر وان نفسه ، وفضلاً عن ذلك أن صلة هذا المصرف بقناة المتوكل لم تخطر على البال . والغريب أن الخرائط الانكليزية سمّت هذا المصرف « نهر حلوة » وقد نقلت خرائطنا العربية هذه التسمية أيضاً ، في حين انه لا يوجد مثل هذا الاسم في كل هذه المنطقة . وتدل المستويات التي رصدناها في هذا المسكان على أن منسوب قعر مجرى القاطول الكسروي في المسكان الذي تعبر من فوقه عبارة القناة يبلغ ١٨ ر ٦٨ متراً فوق سطح البحر كما نستخلص من مناسيب قعر القناة في القسم الذي أظهر فيه على شكل جدولين مكشوفين قبل اجتيازها العبارة أن منسوب قعر العبارة التي كانت تعبر عليها القناة من فوق القاطول يبلغ حوالي ٥٠ ر ٧١ متراً الى ٧٢ متراً فوق سطح البحر ، أي أن منسوب قعر العبارة كان أعلى من منسوب قعر القاطول بحوالي ٥٠ ر ٣ الى ٤ امتار .

أما القناة التي كانت تتفرع من الحوض وتتجه نحو سامراء فكانت تمون مسجد الملوية بالمياه . كما انها كانت تمون حلبة السباق أو ساحة الفروسية في منطقة الحير بالمياه عن طريق الخندق الذي يحيط بـ « تل العليق » ، وهو التل الاصطناعي المرتفع الواقع شمالي سامراء والذي كان يشرف على الحلبة ، واخيراً كانت القناة تمون بركتي قصر الخليفة بالمياه ايضاً . ولتحقيق هذه الاهداف شقت كهاريز فرعية من القناة الاصلية تتصل بكل من هذه الاماكن لأيصال المياه اليها .

أما الكهريز الفرعي الذي ينتهي الى « تل العليق » فيتشعب من شرقي القناة الرئيسية في نقطة تقع على مسافة نحو ثلاثة كيلومترات من جنوبي حوض التقسيم ويتجه الى الجهة الجنوبية الشرقية حتى ينتهي الى الجهة الشمالية الغربية من الخندق الذي يحيط بـ « تل العليق » ، وهو التل الذي يقع في الجهة الشمالية من جامع الملوية ، والجهة الشمالية الشرقية من بيت الخليفة . ويشاهد كهريز فرعي آخر

يخرج من الخندق الذي يحيط بالتل في الجهة الجنوبية الغربية منه فيسير باتجاه الجنوب الغربي حتى ينتهي الى القناة الرئيسية . ويظهر أن هذا الكهريز كان يعيد المياه الزائدة التي تتجمع في الخندق الى القناة الرئيسية (راجع اللوحين ١ و ٢)^(١) .

٧ - بركتا قصر الخليفة ، البركة النهارية والبركة الليلية

وكانت القناة الرئيسية التي تتجه نحو سامراء تمر من قرب « بيت الخليفة »^(٢) . من شرقيه فتموّن بركتيه بالمياه . وتقع البركة الاولى في الجهة الشرقية الخلفية من « بيت الخليفة » في اتجاه محور الايوان الكبير على بعد نحو ستمائة متر منه . وقد سميت هذه البركة بأسماء مختلفة منها « الزندان » و « الهبيّة » ، أي الهاوية ، و « هاوية السباع » ، وهي تتألف من حفرة مربعة منقورة في الصخر يبلغ عمقها أكثر من عشرة امتار ، وطول ضلعها نحو واحد وعشرين متراً ، ويتوسط هذه الحفرة بركة كبيرة مستديرة تستمد مياهها من الكهريز الفرعي ، الذي يتشعب من القناة الرئيسية ، وعلى الأرجح أن الحفرة كانت مسقفة فنظمت على شكل سرداب بغية منع دخول الشمس والهواء الحار اليها . وقد نقرت في كل ضلع من اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة ارابين نقشت على جدرانها نقوش جصية جميلة ، وكل هذه الاوابين تطل على البركة التي في وسط السرداب ، وكان المدخل الى السرداب مؤلفاً من درجين منتظمين متصلين بدھليز منتظم وكان يقع هذا المدخل في غرفة جميلة نقشت على جدرانها سلسلة جمال ، وكانت هذه الغرفة جزء من الاوابين التي تحيط بالسرداب من جهاته الاربع .

وكيف كان فاننا نميل الى الاعتقاد بأن هذه البركة انشئت لتحقيق غايتين ، اولاهما تأمين حوض سباحة للخليفة والآخرى تأمين ملجأ صيفي يقضي فيه ساعات الحر

(١) حول « تل المليك » المذكور وخندقه راجع ما تقدم في صفحة ١١٧ .

(٢) حول « دار الخليفة » المذكورة راجع ما تقدم في صفحة ٦٦ .

في ايام الصيف المحرقة . والظاهر أن المتوكل لم يكتف بهذا الحنبأ الذي اقتصر استعماله على اوقات النهار فاعتزم انشاء بركة اخرى على شكل بركة ليلية مكشوفة يقضي فيها جلساته الغروبية والليلية . وقام بذلك فعلاً فأنشأ بركة أوسع واعمق من بركة السباع المغطاة وذلك في الجهة الشمالية الغربية منها . وهذه البركة المكشوفة منقورة في الصخر ايضاً وتقع في وسط حفرة مدورة يبلغ قطرها نحو مائة وخمسة عشر متراً ، أما قطر البركة فيبلغ نحو ثمانين متراً . وكانت هذه الحفرة على ما يظهر من الآثار المتبقية محاطة ببنايات كثيرة التقسيمات ، ويمتدق هرزفلا أن البناية التي في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة كانت الخزانة العامة . وكانت البركة تستمد مياهها من بركة السباع في كهريز يمتد بينهما ، وتشاهد بين البركتين بئر مربعة الشكل تتصل بالكهريز المذكور لعلها كانت منفذاً للدخول منه الى الكهريز لتنظيفه عند الحاجة أو للوقوف على مستوى المياه في الكهريز منها . والأرجح انها انشئت بقصد استقاء الماء منها لغرض الشرب أو لحاجات اخرى تتطلبها اعمال القصر ، لأن شكلها المربع يجعلها تختلف عن المنافذ الاعتيادية التي على خطوط الكهاريز . أما المياه الزائدة التي كان لا بد من صرفها الى مكان واطىء فكانت تصرف الى نهر دجلة في كهريز آخر يبدأ من حافة البركة الاخيرة وينتهي الى دجلة . والغريب أن شكل هذه الحفرة المدورة أدى الى اعتقاد بعض الغربيين بأن الحفرة كانت « امفيثاتراً » ، وهذا بعيد عن الواقع .

٨ - امتداد قناة المتوكل الى الجنوب

والظاهر ان قناة المتوكل لم تقف عند حد قصر الخليفة لأن آثارها تدل على انها كانت تسير نحو سامراء فتمون المسجد الجامع الكبير الذي يقع شرقيها ، ومن ثم تمتد بكهريزها المزدوجين الى « المطيرة » جنوباً ومنها الى جهة مجرى القائم الى مسافة غير قليلة بموازاة الضفة اليسرى من ذلك المجرى .

ولا تزال السكهاريز التي كانت تمر من مدينة سامراء عامرة معظمها يقع تحت بيوت سامراء الحالية، ويستعمل أهالي سامراء بعض هذه الكهاريز لصرف مياه الامطار فيها أو صرف بعض المياه القذرة في بعض الحلات .

ولعل القصد من تمديد القناة الأخير ايصال المياه الى حير الحيوانات الذي اعتمز المتوكل انشائه بين القاطول الاعلى الكسروي ومجرى القائم ثم عدل عن ذلك بعد ان اتضح له امكان احياء نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول الاعلى الكسروي وايصال المياه الى هذه المنطقة سيحاً ، وهو النهر الذي قام باحيائه فعلاً فسمي « نهر نيزك » وسنبحث عنه فيما بعد^(١) .

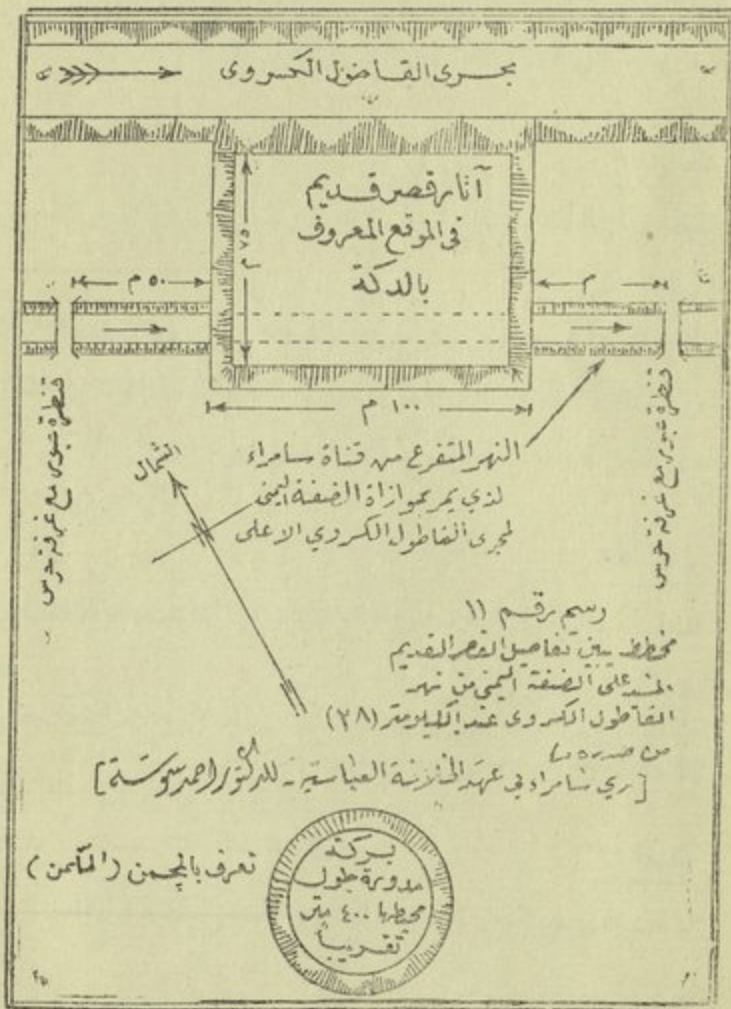
٩ - النهران المنفرعان من القناة عند حوض التقسيم

وكان عدا قناة سامراء الذي تبدأ من حوض التقسيم عند فسحة مرير وتنتهي في جنوبي سامراء نهران صغيران يتفرعان من نفس الحوض احدهما يسير غرباً لمسافة حوالي كيلومترين في اتجاه «سور اشناس» وهو يلاصق الحافة اليمنى لمصرف مرير ، والثاني يسير شرقاً على محاذاة الضفة اليمنى لمجرى القاطول الاعلى الكسروي وملاصق لها ثم ينتهي عند صدر نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول عند الكيلومتر (٣٠) منه^(٢) . ويقع عند الكيلومتر ٥/٥٠٠ من النهر الثاني قصر مرتفع يعرف موضعه اليوم باسم (الدكة) ، وقد بني هذا القصر على حافة القاطول الكسروي اليمنى فيطل على القاطول من جهة ويشرف على سامراء من الجهة الثانية . اما النهر الذي يقع القصر عليه فسكان يمر من تحت القصر في عقادة من البناء ، وتوجد آثار قنطرتين على النهر، قنطرة شرقية وقنطرة غربية، يقع كل

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « نهر نيزك » في الفصل السادس .

(٢) حول نهر القادسية المذكور راجع البحث الذي تقدم في ص ١٥٢ و ٢٤١ و ٢٤٩

منها على مسافة خمسين متراً من القصر كما انه توجد بركة صغيرة أمام القصر من الجنوب تعرف اليوم باسم (المسكن) كانت ولا شك تستمد مياهها من النهر نفسه . وكان أمام هذا القصر ساحة واسعة محاطة بسور مستطيل لا تزال آثاره ماثلة للعيان فيبلغ طول ضلعه الطويلة كيلومترين ونصف كيلومتر وطول ضلعه القصيرة كيلومتر ونصف كيلومتر (راجع الرسم رقم ١١ والبحث المتقدم الخاص بـ «قصر الدكة» في صفحة ١٢٢) .



وفي النهر المذكور الذي ينتهي في القصر انحدار شديد فيبلغ انحداره ما يقرب من واحد في الألف ، وقد دلت التحريات التي قمنا بها ان مذبذب قعره في آخر السكيلومتر الاول منه يبلغ ٧١٦٠ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط الى ٦٥٢٠ متراً عند السكيلومتر الثامن منه .

إضافات وتصويبات

صفحة ٥٠

يضاف الى الجملة الاولى المنتهية بكلمة (دار الخليفة) في السطر الثاني عشر

ما يلي :-

وقد أشار المسعودي الى ان أرض الدير المذكور كانت تعرف بالوزيرية
« واليها يضاف التين الوزيري ، وهو اعذب الاتيان وأرقها قشراً وأصفرها
حباً ، لا يبلغه تين الشام ، ولا تين أهان وحوان » .

صفحة ٦٢

تستبدل الجملة الثانية التي تبدأ بكلمة (ولا يزال) في السطر الخامس عشر

بما يلي :-

ولا يزال هذان الواديان يكونان مجعاً لمياه السيول في المنطقة التي تمتد بين
« سور اشناس » شمالاً و « المطيرة » جنوباً ، ويعرف الوادي الشمالي باسم
« وادي النفل » والوادي الجنوبي باسم « وادي الموح » .

صفحة ٦٥

تضاف الحاشية التالية بعد كلمة (بختيشوع المتطبب) الواردة في السطر

الرابع :-

هو من اسرة سريانية اشتهرت بتماطي الطب . وقد كان هؤلاء الناس حلقة الاتصال
بين العلوم القديمة - اليونانية وغيرها - والحضارة الاسلامية .

صفحة ٦٦

يضاف الى آخر السطر الواحد والعشرين المنتهي بكلمة (زهاء ١٦٠م) إشارة

ما يلي :-

وقد قدر هرزفولد مجموع المساحة التي كان يشغلها القصر ، بما في ذلك الممرات والقاعات والحمامات والثكنات الكائنة في الطرف الشمالي الغربي للقصر وكذا الجمائل التي تشرف على دجلة بـ ١٧٥ هكتاراً ، أي حوالي سبعمائة مشاركة عراقية .

صفحة ٧١

تضاف الجملتان التاليتان بعد السطر السادس الذي ينتهي بكلمة (التقسيمات) :-
ومما يؤيد ان « دار العامة » كانت أول بناية عامة انشئت في العاصمة الجديدة انها اقيمت في موضع الدير الذي ابتاعه المعتصم قبل شروعه في إنشاء سامراء (١) .
قال اليعقوبي في هذا الصدد : « قال أحمد بن أبي يعقوب كانت سرّ من رأى في متقدم الايام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها وكان بها دير للنصارى بالموضع الذي صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة وصار الدير بيت المال (٢) » .

ويرى هرزفولد ان الأبنية القائمة في الركن الشمالي الغربي من الحفرة الكبيرة تؤلف ثكنات الجيش ، ويرجح انها كانت ثكنات الخيالة . أما ثكنات المشاة فتفصلها عنها قطعة من الأرض خالية من البناء . وكان في هذه الثكنات ٦٠٠ غرفة ينزلها نحو ٣٠٠٠ من الجنود ، وكان في الزجبة الكبرى ثلاثة مساجد لم تكن محاربتها على سمت القبلة تماماً . وتشرف هذه الثكنات على الحديقة وشاطيء دجلة لبنائها على مرتفع من الأرض كما انها تقع الى جانب الشارع الاعظم الذي كان يصلها بالقصر ، وقد كان الطريق الوحيد الذي كان يصل جنوبي المدينة بشمالها . (راجع خارطة دار العامة حسب تخطيط هرزفولد) .

(١) راجع البحث الذي تقدم الخاص بشراء الدير المذكور في صفحة ٥٠ .

(٢) راجع كتاب « البلدان » .

تضاف الجملة التالية الى ما بعد الجملة التي تنتهي بكلمة (راجع لوحة رقم ٢)
في السطر الثامن : —

ويلاحظ ان هرزفرد رسم الجسر على خارطته عن سامراء القديمة في موضع
يقع جنوبي مدينة سامراء الحالية مباشرة ، في حين ان الجسر كان يقع في شمالها
أمام قصر الماروني كما تقدم .

تضاف الجملة التالية الى ما بعد الجملة التي تنتهي بكلمة « تاما » في السطر
التاسع عشر : —

والظاهر ان كريزويل ، استاذ العمارة الاسلامية في جامعة فؤاد الأول ،
يرى ان « الجوسق » و « دار العامة » اسمان لقصر واحد ، وان « باب العامة »
هو المدخل الرئيسي للقصر ، إلا أننا لم نعث على أي مصدر تاريخي يؤيد ذلك ،
ولا سيما ان المراجع المعول عليها تثبت بأن « دار العامة » كانت بمثابة البلاط
الملكي الذي يحتوي على قاعات العرش والدواوين الرسمية الخاصة به . وما يؤيد
ذلك ان الدار المذكورة كانت تسمى « دار السلطان » أيضاً ، أي دار الحكم .
وقد دلت تدقيقاتنا في الاطلاع المجاورة لدار العامة على ان « الجوسق » كان
يقع جنوبي « دار العامة » في موضع الاطلاع السكائنة على ضفة نهر دجلة
بالقرب من « هورة أم السور » الحالية (راجع اللوحة رقم ٧) . وقد أيد هرزفرد
ذلك فثبت موضع الجوسق في الخارطة التقريبية التي وضعها لمدينة سر من رأى
جنوبي « دار العامة » .

تضاف الجملة التالية الى آخر ما ورد في مادة « قبة الصليبية » : —

ومما هو جدير بالذكر ان هرزفلد يرى انه من المحتمل جداً أن تكون « قبة الصليبية » موضع قبر المنتصر الذي كان قد انشيء في شهر ربيع الثاني من سنة ٢٤٨ هـ ، مستنداً الى ما ذكره الطبري من أن المنتصر « هو أول خليفة من بني العباس فيما قيل عرف قبره وذلك ان امه طلبت اظهار قبره ... واسم امه حبشية وهي أم ولد رومية^(١) ». ويرى هرزفلد أيضاً ان مقبرة المنتصر هذه كانت تضم ، علاوة على قبر المنتصر ، قبري المعز والمهتدي مستنداً الى قول الطبري أيضاً من أن المعز لما مات في سنة ٢٥٥ هـ « اشهد على موته بنو هاشم والقواد فدفن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع^(٢) ». وكذلك قوله من ان المهتدي محمد بن الواثق لما توفي في سنة ٢٥٦ هـ « صلى عليه جعفر بن عبدالواحد وعده من اخوة أمير المؤمنين ودفن في مقبرة المنتصر^(٣) ». ومما حمل هرزفلد على الوثوق من اعتقاده المذكور انه قام ببعض الحفريات في أرضية « القبة » فعثر على ثلاثة قبور اسلامية تحتها . ويرى كريزويل انه اذا صح رأي هرزفلد هذا أمكن أن تعد « قبة الصليبية » من بين أقدم المقابر الاسلامية ، كما انه يرى ان « القبة » تعود الى عهد متأخر من عصر سامراء العباسي لأنها مبنية بنفس المادة التي بنى بها « قصر العاشق » ، وهو القصر الذي انشيء على عهد المعتمد .

(١) راجع الطبري (٣ : ١٤٩٨)

(٢) راجع نفس المصدر (٣ : ١٧١١)

(٣) راجع نفس المصدر (٣ : ١٨٢٣)

صفحة ١١٠

يضاف الى الجملة الاولى المنتهية بكلمة (برجاً) في السطر السابع ما يلي : —
على اعتبار ان اثني عشر برجاً تقع في كل من الضلعين الطوليتين وثمانية أبراج في كل من الضلعين العرضيتين ، عدا الابراج الاربعة الكبيرة التي في الاركان ، فيكون مجموع عدد الابراج ٤٤ برجاً .

تستبدل الجملتان الثانية والثالثة المبتدئتان بكلمتي (وكان) و (ويستدل)
 الواقعة في السطر التاسع والسطر السادس عشر على التوالي بالجملتين التاليتين : -
 وكان في جدران المسجد واحداً وعشرين باباً مختلف سعة كل منها باختلاف
 الموقع من المحيطان ، فتبلغ سعة أكبرها ٤٧٥ متراً وسعة أصغرها ١٥٠ متراً .
 ومن هذه الابواب خمسة في الضلع الشمالية لحائط المسجد (بابان صغيران في
 جانبي الضلع وثلاثة أبواب كبيرة في الوسط) وثمانية في كل من الضلعين المستطيلتين
 اللتين في الشرق والغرب (ثلاثة أبواب صغيرة وخمسة أبواب كبيرة) ، وتتفق
 مواقع الابواب في الحائط الشرقي مع مواقع أبواب الجانب الغربي . اما الضلع
 الجنوبية فلا يوجد فيها غير المحراب الذي يواجه « القبلة » وغير باب صغير في
 كل من جانبي المحراب ، وقد اختيرت مواقع الأبواب بحيث تتفق ونظام الاروقة
 في داخل المسجد . ولدى تدقيق اتجاه جدار القبلة تبين انه يقع على ١٩٨ درجة
 و ٣٠ دقيقة على حين ان « القبلة » تقع على ١٩٦ درجة و ٤٦ دقيقة ، أي ان
 اتجاه الجدار يرجع درجة واحدة و ٤٤ دقيقة الى الشرق .

ويستدل من استكشافات هرزفد على انه كان في حرم المسجد ٣٥ رواقاً مؤلفة
 من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها تسعة أعمدة ، وفي القسم الشمالي
 المقابل لحرم المسجد ٢٥ رواقاً أيضاً مؤلفة من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف
 منها ثلاثة اعمدة . وتمتد هذه الصفوف من الاعمدة على شكل خطوط ذات
 زوايا قائمة الى داخل المسجد بالنسبة الى الجدارين ، الشمالي والجنوبي للمسجد ،
 ويلاحظ ان الرواق الاوسط من الـ ٢٥ رواقاً المذكورة في كلا الجانبين اكثر
 اتساعاً من البقية . أما الجانبان الغربي والشرقي من المسجد ففي كل منهما ٢٣
 رواقاً مؤلفة من ٢٢ صفاً من الاعمدة في كل صف منها أربعة أعمدة . وبذلك
 تكون جملة عدد الاعمدة ٤٦٤ عموداً . وكانت السقوف ترتكز على العمدة مباشرة

دون طيقان من البناء (راجع خارطة مسجد الجامع الكبير الذي انشأه المتوكل في سامراء حسب تخطيط كرزويل).

صفحة ١١٢

يضاف الى الجملة المنتهية بكلمة (مشارة) الواقعة في السطر الخامس ما يلي :-
وتوجد داخل هذا السور، بين جدران المسجد وبين السور، آثار أبنية قديمة تدل على انه كانت حوالى المسجد مدارس دينية يدرس فيها الطلاب الذين كانوا يسكنون هناك على نمط هيئة المدارس الدينية الحالية في الجوامع والاماكن المقدسة.

صفحة ١١٣

تستبدل الاسطر الثلاثة الأولى من الجملة لثانية التي تبدأ بكلمة (يتضح مما تقدم) وهي السطور ١١ و ١٢ و ١٣ بما يلي :-

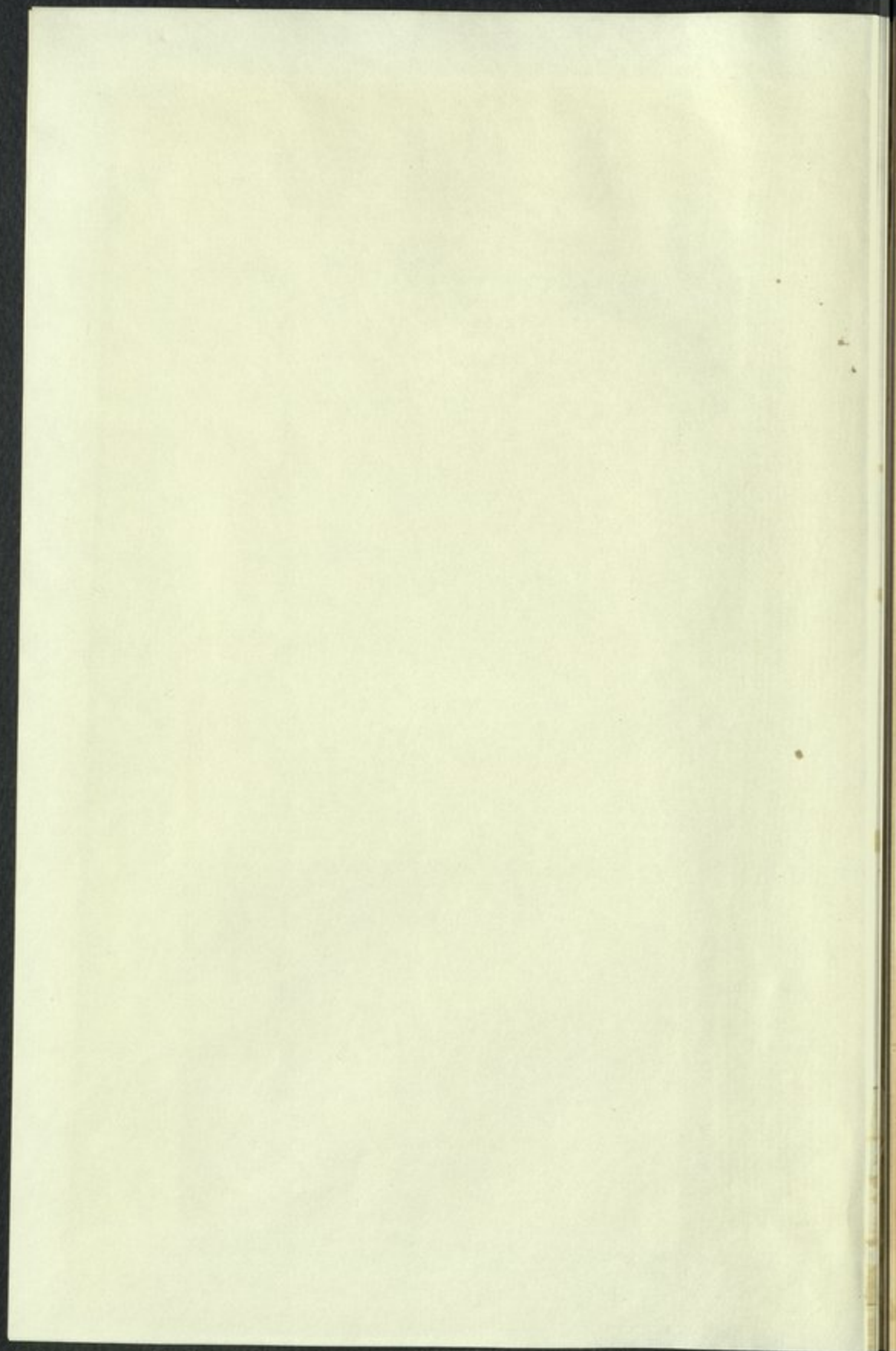
يتضح مما تقدم ان الشوارع الثلاثة التي كانت تؤدي الى المسجد كانت تتفرع من الشارع الاعظم الذي ينزل من وادي ابراهيم بن رباح ، وهو الشارع الرئيسي الذي كان يسير محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة ومختزقاً حدائق « دار الخليفة » (دار العامة) الواقعة أمام الدار من جهة الغرب ، فتترك الشارع الاعظم جنوبي « دار الخليفة » و « قصر الهاروني » و « قصر الجوسق » وتتجه شرقاً حتى تفضي الى المسجد في جانب الحائط الغربي الذي كانت فيه ثمانية أبواب ، وذلك بعد ان تختزق السور الخارجي للمسجد .

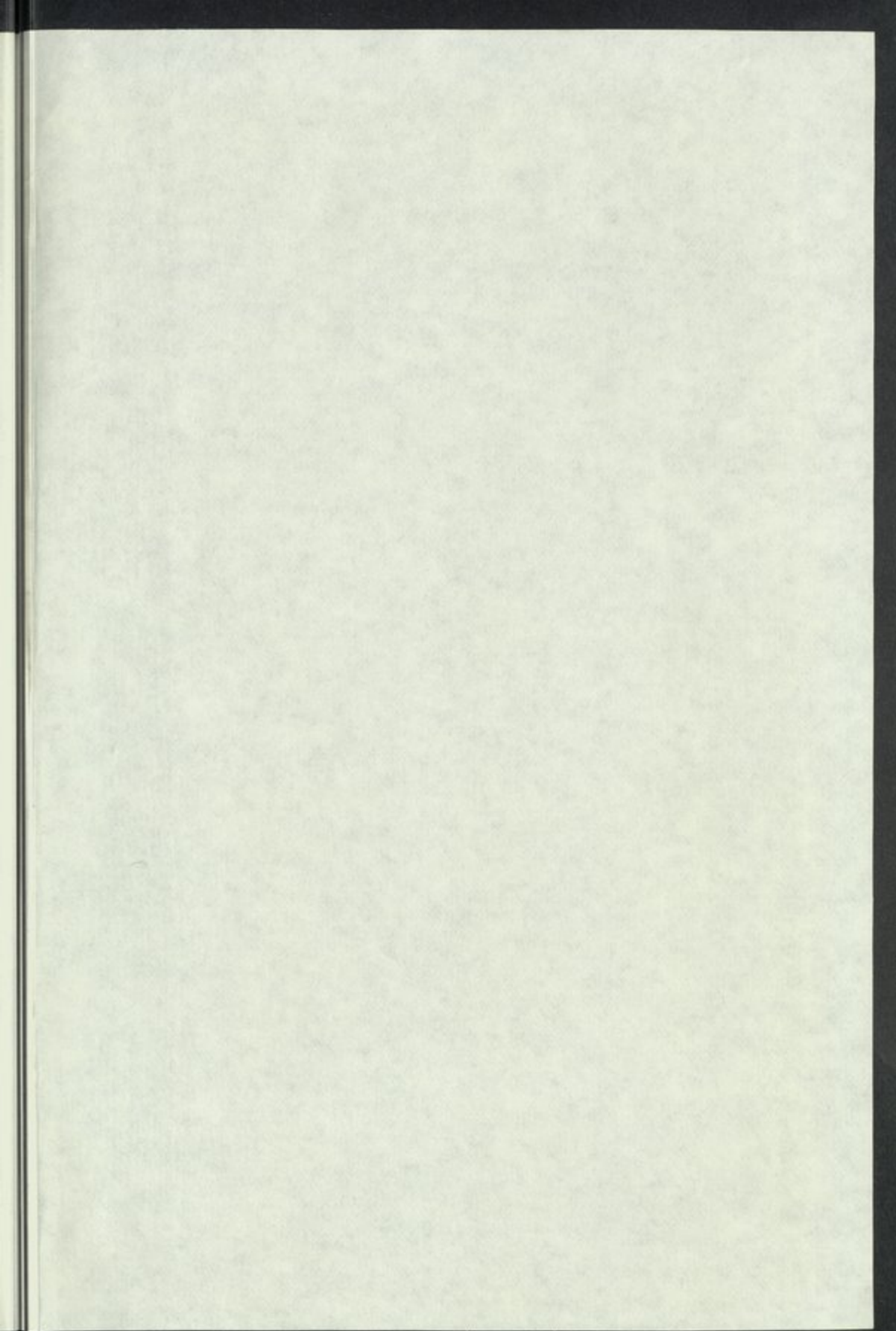
تضاف الحاشية التالية الى ما بعد كلمة (وسامراه) الواردة في السطر الخامس

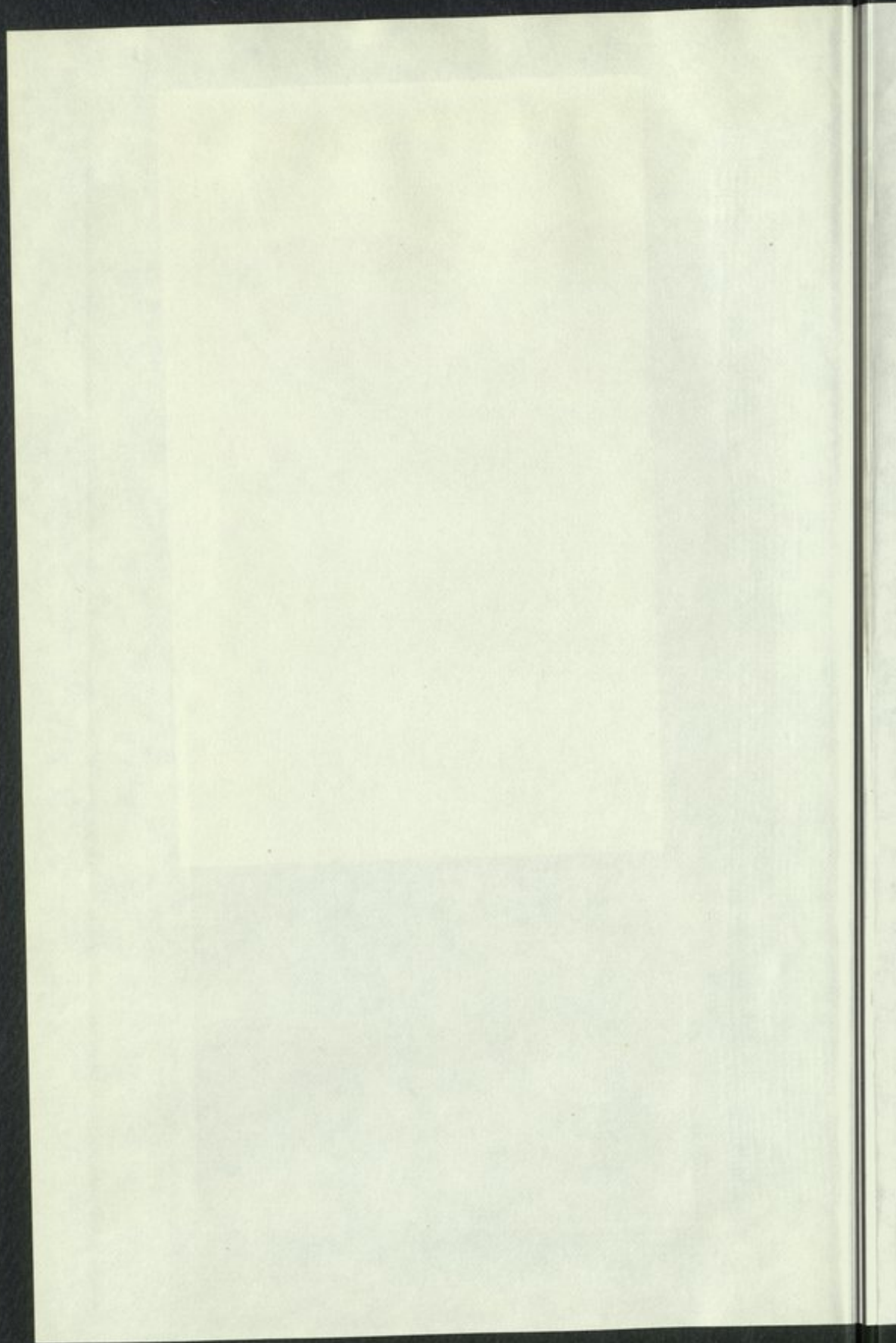
عشر: —

ذكر لنا السيد محمود بك السنوي انه لما كان مديراً لناحية ممبكة قبل اكثر من عشرين عاماً عثر في اطلال « عكبرا » على آجرة كبيرة الحجم من النوع الذي نسميه اليوم « الفرشي » كانت كتبت عليها كلمة « عبقرة » ، والارجح ان هذه الكتابة ترجع الى العهد الفارسي .

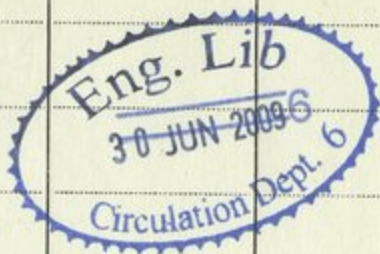
1882
1883
1884







DATE DUE



E:626.8:S96rA:v.1:c.1

سوسة، أحمد

ري سامراء في عهد الخلافة العباسية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01072119

Eng. & Arch. Libra

E
626.8
S96rA
v.1

